

يَوْمَ يَقُولُ لِنَافِقُوهُ وَالْمَافِقَاتِ لِلَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَلْحَقُوا
بِهِمْ مِنْكُمْ قِيلَ اِهْبُوا ذُرِّيَّتُكُمْ فَالْمُتَوَفَّوْنَ فَوْرًا فَضْرًا
بَيْنَهُمْ بَسْمٌ بِأَبٍ بَاطِلٌ فِيهِ الرَّمَّةُ وَطَائِفَةٌ مِنْهُ قَبْلُ الْعَذَابِ
قُرْآنٌ كَرِيمٌ

النِّفَاقُ وَالْمَنَافِقُونَ

فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِبْرَاهِيمَ عَلِيَّ سَهَابٍ

لِيَسَالِبَهُ فِي الْقَوَائِنِ مِنَ الْجَامِعَةِ الْعَمَرِيَّةِ
مَأْمُورٌ مَرَكُزُ قُوسٍ

تصانیف

تفضل الغفور له الشيخ مصطفى أبو سيف الحماني بمراجعة الكتاب
وبالكلمة الآنية أمكنه الله فبيع جناته وجمعنا به في رحمته وفضله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بين النفاق والمنافقين ، وإن باتغوا مهما بالغوا
في الاختفاء ، لأنه العالم بأحوال كل العالمين ، ظواهرهم وبواطنهم
عنده سواء . وأشهد ألا إله إلا الله شهادة المخلصين الصادقين ،
لا شهادة ذوى القلوب المريضة من المنافقين الأدنياء ؛ فمن
هؤلاء يبرأ من التشابه بهم عقلاء المؤمنين ، وكيف يرضى التشابه
بهم عاقل وهم المفضوب عليهم من رب الآلاء . وأشهد أن سيدنا
ومولانا محمداً عبده ورسوله خاتم المرسلين ، الذي من الخوف
منه نافع من نافع من الأشقياء ؛ فاختار أخف الضررين تسترهم
في جملة المؤمنين المارقين ؛ ولم يقتلهم لئلا يتحدث الناس بأن محمداً
يقتل أصحابه الأوفياء ؛ وهذا ضرر أكبر لأنه يصرف الناس
عن الدين ، وما لهذا رحمة الله للعالمين جاء ، اللهم صل وسلم وبارك

(ب)

على سيدنا محمد الأمين المأمون وعلى آله وأصحابه وكل من سار
سيرهم من الاتقياء . (أما بعد) :

فقد اطلعت على هذا الكتاب الكريم (التفاهة والتناقضون
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فأعجبني جد الإعجاب
لأنه بقلم الأديب الكبير الأستاذ إبراهيم على سالم أحد الأفاضل
النجباء ، كيف لا وهو أبان لنا موضوعاً بينه رب العالمين في
مواضع كثيرة من كتابه الامام ، ومن بين موضوعات هذا
العلم بالظواهر والبواطن سبحانه وتعالى - فليتمتع به القارئ
الصافي الايمان وليفرح به وليدع لصاحبه بطول الاجل والتوفيق
لكل خير ، خصوصاً أمثال هذا البحث الجليل الذي بين لنا
مقصد ذلك الكاتب النليل بالكتاب . واقرأ قوله زاده الله
حرصاً على التشبه بسيد الوجود آخر الانبياء صلى الله عليه وسلم
وأصحابه رضى الله عنهم : (فما أردت بالكتاب إلا أن أصاحب
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأتمثل الحوادث تتجسد أمامي
نفأحاول أن أشم شيئاً من نفحات ذلك العصر ، وأن أدخل أنفي
بوقلي وروحي في ذلك التراث الوثير من الاخبار لعل بصيصاً

(ج)

من نور النبوة يحيى من النفس مواتها ويرفعها من أرجاسها ويفصل
ما قد يكون عالقاً بها من النفاق والرياء (تفهم ما أشير إليه .
وشكراً للمؤلف لا يحد لما بذله من الجهد المضنى فى هذا الموضوع
والسلام عليه ورحمة الله وبركاته)

مصطفى أبو يوسف الحماسى ٩ شوال سنة ١٣٦٧
(طبق الأصل) خطيب الحرم الزينى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٨

شاء حسن ظن أخينا في الله الأستاذ السيد عرفه المدرس بالمدارس
الثانوية أن يقدم لنا الكتاب بهذه الكلمة فلم نر بداً من نشرها
شاكرين له حسن ظنه وإن كنا موقنين أنه قال ما نتأمله :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله السيد السند الكريم

لقد كان أول أمر أنزله الله على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
من السماء قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) خلق الانسان
من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان
ما لم يعلم) وأنا أنسج على هذا المنوال فأطلب من كل مثقف أن
يقرأ هذا الكتاب مستحضراً ذهنه ، مناقشاً فكره في موضوعه
الطريف ، وحسن تناوله الظريف . ولست أقصد بطرافته الابتداع
لما لم يكن موجود العين ، ولا التصدي لتحليل لم يسبق اليه ، ولكنني
ذهبت الى ناحية الجمع والتمحيص ، وعرض صورة حية من صور
الانسانية المترعة بمظاهرها الخيرية والشريرة ، وإذا كان المؤلف
قد اختار الأخيرة فذلك لأنه م بار في طرق الاولى مطبوعاً بخير

محتطب فأراه الله حدوده وبين لروحه نور اليقين وظلمة المعاصي ؛
 فرأى لزما عليه حتى يكون شاكرًا لربه أن يقف على تلك الحدود
 لينج عنها من يوشك أن يتورط فيها شأن القائد المحنك الواصل
 بنفسه تراه يتنحى ناحية الخوف ليندود عن جماعته أسباب المهالك
 ويخبرهم سوء المنقلب . وأنه لا خسران يعادل خسران رحمة الله
 يوم العرض عليه في موقف لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ولا يقبل
 من نفس شفاعته ، ولا يؤخذ منها عدل . فعليك أيها الحبيب قراءة
 هذا الكتاب وترديد قراءته لتعلم مقدار هذا البحث القيم في
 التعريف بخلق إنسانى ذميم ألبسته له الحياة الاجتماعية ، وقوته
 الاطلاع الشخصية حتى أكل القلوب وطمس معالم الإنسانية ، وأقام
 الدنيا وأقعدتها في جميع أطوار التاريخ ، ثم بلغ أشده وتجلى في
 هفوات زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . ولا غرو فإن
 لكامل التام لا يظهر إلا إذا قرن بالنقص التام . وكل ذلك ستجده
 مفصلاً في كتاب إبراهيم (النفاق والمنافقون في عهد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم) أيها القارئ فتملى نفسك روعه . وحيث
 تعرف شرف الموضوع وتقر لكاتبه بمحمد المجهود وتود لو أنه

(و)

أتبعه بمثله في العصور الأخرى لئلا يتعد الخلق عن مثل هذه السقاف
وليعيشوا إخوانا متناصرين حاسبين ليوم معادهم كل حساب .
فألى الإمام يا إبراهيم ولا تليينك شئون الوظيفة فتحرم العلم من
قلبك وفكرك وبحبك أكثر الله من أمثالك ، وأناك ما تصبو
إليه من اتصال بحبل الله المتين ، وشرfk بشفاة سيد المرسلين ،
وأطال عمرk مع مدد بروك من عنده ليسلكك في سلك العاملين
المأجورين ؟

السيد عرف

(طبق الأصل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الحى القيوم العلى العظيم ، والصلاة والسلام على
الرسول الكريم ، الشاهد المبشر النذير ، السراج المنير ، سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وبعد فقد قال ابن المقفع فى الادب الصغير إن : « سليقة
العقل مكنونة فى مغزها من القاب ، لا قوة لها ولا حياة فيها
ولا منفعة عندها حتى يعتملها الادب الذى هو نماؤها وحياتها
ولقاحها . وجال الادب بالمنطق ، وكل المنطق بالتعلم ، ليس حرف
من حروف معجمه ، ولا اسم من أنواع أسماؤه إلا وهو
مروى متعلم مأخوذ عن إمام سابق من كلام أو كتاب وذلك
دليل على أن الناس لم يتدعوا أصولها ولم يأتهم علمها إلا من
قبل العايم الحكيم .
فاذا خرج الناس عن أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا :

قولا بديعاً ، فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم وإن أحسن وأبلغ ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد يا قوتاً وزبرجداً ومرجاناً فنظامه قلائد وسموطاً وأكاليل ووضع كل فص موضعه ، وجمع الى كل لون شبهه ، مما يزيده بذلك حسناً فسمى بذلك صائغاً رقيقاً وكصاغة الذهب ، والفضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلى والآنية ، وكانحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة وسلكت سهلاً جعلها الله ذللاً ، فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً مذسوباً اليها مذكوراً به أمرها وصنعتها .

فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يستحسن منه فلا يعجب به إعجاب المخترع المبتدع ، فانه إنما اجتباها كما وصفته ومن أخذ كلاماً حسناً عن غيره فتكلم به في موضعه على وجهه فلا يرين عليه في ذلك ضؤ ولة فانه من أعين على حفظ قول المصيين ، وهدى للاقتداء بالصالحين ووفق للاخذ عن الحكماء ولا عليه ألا يزداد فقد بلغ الغاية وليس ينقصه في رأيه ولا

بغائضه من حقه ألا يكون هو استحدث ذلك وسبق اليه .

وانما أرجو من اراد هذا الحديث عن ابن المقفع ألا يتوقع قارىء أن يجد في هذا الكتاب بحوثاً فنية مؤسسة على ما اصطلاح عليه أهل الفن في التأليف الحديث من التقسيمات والدرس والبحث والتحليل . وقد يكون أكثر الجهد في جمع أخبار المناقب المبعثرة في مطولات كتب السيرة النبوية والتاريخ والتفسير والحديث ، وجمع كل خبر الى مناسبه وصاحبه . وقد اقتضى هذا الجمع جهداً مضمناً وزمناً طويلاً بلغ بعضه من السنين نظراً لضيق وقت الفراغ . وحتى لقد حرصت كثيراً أن أورد الخبر بلفظه ، كما ورد في كتب السير ، ولو كان اللفظ غريباً .

وانى لأعلم أن الكتاب على وضعه الحالى ينقصه كثير من التحقيق ، فعالم الحديث يرى فيه أحاديث قد تكون موضعاً للتحقيق من جهة نوع الحديث وصحته ، ورجال السند . وعالم التاريخ يرى في بعض أخباره ما يحتاج للتحقيق ، وخاصة فيما قد

أختره من الروايات المتناقضة . وعالم الفقه يرى في بعض أبحاثه أنها مقتضية غير شافية . فيألى هؤلاء أحنى رأسى ملتصداً المعذرة . فما أردت بالكتاب إلا أن أصحاب عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأتمثل الحوادث تتجسد أمامى ، فأحاول أن أشم شيئاً من نفحات ذلك العصر ، وأن أدخل أننى وقلبي وروحي في ذلك التراث الوثير من الاخبار ، لعل بصيصاً من نور النبوة يحى من النفس مواتها ويرفعها من أرجاسها ، ويغسل ما قد يكون عالقا بها من النفاق والرياء . ولقد يهذى العاشق بمحبوبته فيقسم من حبيها ومنزلها وصورتها وما كلفها ومشربها وملهاها ما تلهب به نفسه فيتمتع بما قد يستعز في قلبه من لظى الحب . ولقد ينفق الناس أموالاً طائلة في المصارح والملاهى والسينمات وقراءة الروايات ليخلقوا حولهم جواً من الشعور بما يجدونه فيها من الخيالات والاقاصيص . أفلا تكون لى من ذلك مندوحة فأحاول أن أتمثل عصر النبوة وأتشم شيئاً من جوهه ، وأن أستصحب معى من شاء من القراء .

ولقد كنت منذ حداثة سني أقرأ القرآن فيروني وأنا طفل صغير أن أسمع لفظ المنافقين فأستشعر صراعا عنيفا لا أدرى جداه بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمنافقين ، وكان الزمن كلما مضى بي إلى الفتوة يدفعني أن أستزيد علما بهذا الصراع ، وأن أستطلع ما أستطيع استطلاعاه من أمره حتى كانت أمسية جميلة بمسجد الحرم الزيفي بعد صلاة المغرب إذ هممت بالخروج فسمعت شيخ المسجد الوقور - محمود البيلاوي رحمه الله - يتحدث الناس بحديث المنافق بشر الذي رفض الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب الاحتكام إلى كعب بن الأشرف اليهودي ، فأفاض الشيخ وقص القصة رائعة رنانة ، ثم نشر الآيات التي نزلت في هذا الشأن ، وشرح أوصاف المنافقين وأحوالهم ، كما وردت في أول القرآن من سورة البقرة . فما أن انتهى الشيخ من حديثه حتى هفت نفسي إلى الاستزادة من هذا التاريخ العجيب الذي نرى الآن أمثاله فاشيا بين الأحياء .

وما كنت لأفكر أول الأمر أن يكون هذا بحثاً ولا كتاباً ، وإنما كنت أدون عما أفرؤه مذكرات أحفظ بها لنفسي وخاصة في أخبار المنافقين ، إذ كنت أفرد لها مجموعة مستقلة ، حتى اطلع عليها عزيزه على نفسي فدعاني أن أجمعها فأخرجها كتاباً ، وما كان تأليف الكتب من شأني بعد أن انتهيت في عمل يأكل الزمن النهاماً ويقضى على صاحبه أن يستغرق فيه . ولكن صاحبي أني إلا التشجيع بالمعاودة والإلحاح ، فأقت على الأمر أعالجه ويستعصى على وأتركه تحت ضغط مشاكل الحياة وآلامها ، ثم يترامى لي كالحلم الجميل فأترزع إليه حتى يسر الله بفضله على النحو الذي أتقدم به الى القراء .

ولم يصل الى على أن جمعت أخبار المنافقين من قبل في كتاب واحد ، فليكن شفيهي الى الناقد البصير جهدي . ولعل ذلك يفتح للقلوب الكبيرة أبواباً لتكملة البحث ، ولعل اذ

وصلنى الزمن وأتاح لى الفرصة أن أستكمل ما قد ينكشف
من النقص . ويكفينى الآن أن أنقض غبار الزمن عن أفاتين
النفاق فى ذلك العهد ، وكلى رجاء وأمل أن ينقض غيرى غبار
الزمن عن أفاتين النفاق التى جاءت بعد ذلك العهد ، فأحدثت
كثيراً من الفتن وخلقت كثيراً من المشاكل والفرق .
وبالله التوفيق ٩

ابراهيم على سالم

سمنود ٢٤ رجب سنة ١٣٦٧

٢ يونيو سنة ١٩٤٨

محتويات الكتاب

مقدمة عامة

١ - ١٨

تعريف النفاق - الكذب عنصر أساسي من عناصر الحياة - علاقة الكذب بالعدم وبالأشخاص - أسباب الكذب - الحكم على الكذب - الكذب والغريزة - خواص النفاق - العالم بدون نفاق - النفاق في الأمور الخطيرة - النفاق في الحروب - الجاسوسية - النفاق في السياسة والحكم - تداخل النفاق في كثير من الجرائم الخلقية - النفاق والكذب ألفاظ مكروهة مردودة - ما كيافلى والنفاق - بعض تعاليم ما كيافلى - قيمة تعاليم ما كيافلى - النفاق سابق لما كيافلى - النفاق في صدر الإسلام - درء النفاق والمدينة الفاضلة .

مقدمة تاريخية

١٨ - ٣١

تاريخ العرب وتاريخ المدينة - لم يكن العرب دولة واحدة والسبب في ذلك - دولة اليمن - دولة المناذرة والغساسنة ولبنده وتبعيتها لغيرها - النظام القبلي في بلاد العرب - النظام القبلي لا يعرف الملكية

تاريخ المدينة قبل الاسلام - قبائل المدينة - الخلاف بين الأوس والخزرج - حروب الأوس والخزرج وظهور زعامة عبد الله بن أبي سؤل - يوم بعاث - الميل الى الوثاق ونبذ العرب والعزم على تتويج عبد الله بن أبي ملكا على المدينة

الباب الاول

نشوء النفاق وحوادث المنافقين

بدء النفاق

٢٢ - ٤٦

تضاؤل النعمة القبلية بالمدينة - جامعة الأوس والخزرج
تحت اسم الأنصار - الظواهر الجديدة بالمدينة وتضامن الأنصار -
المعاهدة - شئون الدين لم يؤمنوا - أبو عامر الفاسق - عبد الله
ابن أبي زعيم المنافقين - اشتغال ابن أبي البغاء - ابن أبي قبل
تظاهره بالاسلام - ابن أبي أثناء دخول النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة ، ثم عند مروره بأطمه - ابن أبي وابنه عبد الله -
اجتذاب ابن أبي للأعراب - محاولته إشعال الفتنة بين
الأنصار .

- ف -

أثر موقعة بدر وإسلام ابن أبي

٤٧ - ٥٠

قوة المشركين في موقعة بدر - نتيجة الموقعة بالنسبة لليهود
والمناقين - الأرجاف الكاذب قبل عودة الجيش - تظاهر
ابن أبي بالاسلام .

في موقعة بني قينقاع

٥١ - ٥٧

خروج بني قينقاع على العهد وسبب ذلك - تبرئ عبادة
ابن الصامت منهم وموالاة ابن أبي لهم - تحدى اليهود - شفاعته
ابن أبي لليهود

ابن أبي بعد اجلاء بني قينقاع

٥٧ - ٥٩

أعمال متفرقة ..

في موقعة أحد

٦٠ - ٧٩

ابتلاء المؤمنين واختبارهم - ظهور المناقين الجماعى في أحد -

عدد المشركين في أحد - استشارة النبي صلى الله عليه وسلم
لأصحابه - ابن أبي في الاستشارة - الرأي بالحرب داخل المدينة
وخارجها ، ثم تغلب الرأي الثاني - خروج ابن أبي ومعه اليهود
ورفض التحاقهم بالجيش - غرض ابن أبي - محاولات ابن أبي -
سبب استحضار اليهود - ضعف المنافقين - غرض ابن أبي في
إدخال الفشل على العسكر - استمرار بعض المنافقين في الجيش -
الارجاف والشبهة بعد الواقعة - شماتة المنافقين - سياسة النبي
صلى الله عليه وسلم في عدم قتل المنافقين - ابن أبي وابنه
عبد الله بعد أن أصيب - ابن أبي يحاول استعادة مركزه يوم
الجمعة .

في غزوة بني النضير

٨٠ - ٨٨

دور المنافقين - سبب الغزوة - ما فعله ابن أبي - اغترار
اليهود بإرشاد المنافقين - اخلاف المنافقين وعودهم - سبب وعود
ابن أبي - حزن المنافقين على بني النضير .

في غزوة الخندق

٨٩ - ٩٥

تخاذل المنافقين . سبب الغزوة . المنافقون يصدد بعض المعجزات . نقض يهود بني قريظة العهد . سخرية المنافقين اشتداد الخوف والبلاء . عدم ظهور ابن أبي في هذه الحوادث .
في غزوة بني المصطلق

٩٦ - ١٢٢

دوران هamaan للمنفقين . سبب خروج المنافقين في الغزوة .
الدور الأول محاولة توسيع الخلاف بين المهاجرين والأنصار لسبب تافه . زيد بن أرقم يروي أقوال ابن أبي . اعتذار ابن أبي وحلفه . فشو الحديث . عبد الله بن عبد الله بن أبي يعرض قتل أبيه . الأمر بالرحيل في ساعة منكرة . السير الحثيث نزول سورة المنافقين . معاتبة قوم ابن أبي له وتعنيفه . عبد الله ابن عبد الله بن أبي يعترض أباه .

الدور الثاني حديث الافك . سبب الحديث . ابن أبي يتولى الحديث عقب الدور الأول . قصة الافك على لسان السيدة .

عائشة رضى الله عنها . الفترة بين حديث الافك وآيات البراءة .
الاستشارة . الاستعذار . غرض ابن أبى من الحديث وذكر
من انزاق اليه .

بعد غزوة بنى المصطلق الى تبوك

١٢٣ — ١٢٨

في صلاح الحديبية . المشركون من قريش يدعون ابن أبى
للطواف . الشكوى من قلة الماء وما تم في ذلك . العبد بن قيس
في الحديبية .

في غزوة خيبر . عدم تأثيرهم بفتوح المسلمين .

في غزوة تبوك

١٢٩ — ١٧٣

مميزات الغزوة وسورة براءة . الأمر بالغزوة . التناقل الأول
البكاون . تصيد الأعذار . التخلف وبعض أعذاره . عزل
المنافقين . تأليف فرقة لتشتيط الهمم . عدم الحزى من الدعاية .
ابن أبى ويأسه من الدعاية . المتخلفون . خلو المدينة من الرجال
الأشداء عدول أبى خيثمة عن التخلف . الجاسوسية في الجيش .

— ش —

الشدة في طلب الماء . المنافقون يتحدثون عن ضياع ناقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكيف تأواوه في العودة من تبوك . حادث
العقبة . ارجاف المنافقين ثم اعتذارهم . قصة التوبة وأهميتها .

مسجد الضرار

١٧٤ — ١٨٠

فكرة انشاء المسجد . أسماء بناته . المسجد عش للتآمر واحداث
الفتن . هدم المسجد .

وفاة ابن أبي

١٨١ — ١٨٦

احتضاره وطلبه قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم . الصلاة
عليه . تفسير للغرض من اعطائه القميص والشروع في الصلاة عليه .

الباب الثاني

تعريف النفاق وعناصره وأهميته

١٨٧ - ٢٢٦

النفاق لغة . معنى النفاق وتحديد الفخر الرازي لذلك بتقسيم
أحوال القلب واللسان . أقسام الناس حسب العقيدة . أهمية
شأن المنافقين وتفصيله في القرآن . الفرق بين الكافر والمنافق .
اختلاط المنافقين بالمسلمين . تمييز المنافقين . حديث خصال
المنافقين واختلاف الآراء في ذلك . نتيجة الآراء . المراد
بالحديث . خطر الكذب والخيانة والاخلال بالوعد على العقيدة
- قصة ثعلبة بن حاطب . الارتباط بين الظاهر والباطن وأهمية
أحوال القلب . أنواع القلوب . مرض القلب وعلامة ذلك بالنفاق
انتشار الكذب . معرفة كثير من المنافقين . المنافقون لم يكونوا
على درجة واحدة في النفاق .

الباب الثالث

معاملة المنافقين

٢٢٧ - ٢٥٦

أهمية البحث . الجاسوسية في الحرب والسلام ومقاومتها في العصر الحاضر . علاج النفاق . أقسام الناس حسب ظاهر العقيدة القاعدة الأساسية في معاملة المنافقين . النهي عن الحكم بالظن . السبب في عدم قتل المنافقين وآراء الأئمة في ذلك . معنى الزندقة . تشعب الفرق والزندقة . أشكال النفاق بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . ملخص آراء الأئمة . عدم التغافل عن شأن المنافقين وجهادهم .

النهي عن موالاة المنافقين اشتراك اليهود في النفاق . منافقون

يتآمرون بالمسجد ، ويأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإخراجهم . سبب النهي

الباب الرابع أحوال المنافقين وصفاتهم

٢٥٧ - ٢٩٧

النفاق جامع لجميع الآفات والنخصال الذميمة . عامل الحيرة .
يشارك في جميع أحوال المنافقين وصفاتهم . مثلان عن الحيرة من
القرآن . تجسد المثاليين في جميع أحوال المنافقين ثم في الدار الآخرة .

١٠ . حالة التربص

٢٠ . حالة الخوف

٣٠ . المنافقون في الصلاة

٤٠ . المنافقون في الصدقات والانفاق في سبيل الله

النفقة في الحروب . نقد باذل الصدقة . نقد توزيع

الصدقات

٥٠ . حالة المنافقين في الصدقات بين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه وأحد المنافقين

قصة بشر المنافق مع اليهودي

قصة بشر بن أبيرق

٦٠ . المنافقون في القتال التخلف والاستئذان

— ذ —

الباب الخامس

أعمال المنافقين وأسلحتهم

٢٩٨ — ٣١٦

- | | |
|------|---|
| ١٠٠. | اليمين الكاذبة |
| ٢٠٠. | الخداع — التبييت — استغفار المنافقين |
| ٣٠٠. | إثارة الخلاف بين المسلمين |
| ٤٠٠. | التنفير من المؤمنين — زعم التناقض — السخرية |
| ٥٠٠. | الدعاية السيئة |
| ٦٠٠. | شهادة المنافقين |

- ض -

الباب السادس

عرض عام

٣١٧ - ٣٤٢

ماحق

عن الآيات القرآنية التي وردت في شأن المنافقين .

obeikandi.com

مقدمة

تعريف النفاق : النفاق ضرب من ضروب الكذب ، والكذب عنصر من عناصر الحياة في جميع أشكالها وألوانها . والكذب أنواع وفنون يتصاعد بعضها فوق بعض من التافه اليسير إلى الخطر العسير . ويمتاز النفاق بأنه ينحط إلى دركات الكذب السفلى ، ويلف في طياته كلها تلوى اشتاتاً من الجبن والصلف والخسة والصفافة ، ويدعو إلى الحقد والخسدة والضعف ويفتن في إخراج المآسى المروعة من الخبث والدهاء والمكر السوء وأكل الحقوق .

الكذب عنصر : وليس من الغرابة في شيء أن نقول بأن
أساس من الكذب عنصر أساسي من عناصر الحياة :
عناصر الحياة
 فالواقع أن العالم يجري على أسس راسخة من الكذب والنفاق ، ليس في ذلك شيء كثير ولا قليل من المبالغة أو الخيال . وقد تكون هذه الحالة صعبة على النفس ، وقد تكون موجبة للآسى ولكنها على أى حال الحقيقة الواقعة التي لم تقض عليها الأديان ولا مواعظ الوعاظ ؛ فإنه مهما كان ويكون من تكاليف الأديان ومواعظ الوعاظ باتت حاج سبل الخير والحق ؛ فإن القاعدة الغالبة على الناس أن يسيروا في سبل الشر والضلال والباطل .

وقد أوضح الله تعالى سبل الخير في منطق أخاذ وحجج دامغة ومرغبات حافزة ومع ذلك أراد ولاراد لقضائه أن تسير الكثرة من بني آدم في مناهج الضلال وأخبر بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز فقال : وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ، (يوسف ١٠٣) وتمت حكمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، (هود ١١٩)

علامة الكذب : والإنسان مخلوق من العدم يرفعه الدين بالعدم وبالإنسان والايمن بالله إلى الحق المضى ، وتجذبه شكول العدم إلى وهاد الباطل المظلم ، والباطل من العدم ومظهره الكذب . ولنا أن نتدبر قول الحق الأعلى ، إن الانسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، فإن هذه الآية الكريمة تدل فيما تدل أنه الأصل في الانسان أن ينزل إلى الحسرات عن طريق شهواته وغرائزه فهو يتردى من هذا الأصل في مهاوى الباطل المظلم ولايستطيع أن ينجو من ذلك الظلام إلا أن يهتدى بنور الايمان والعمل الصالح وأن يتشع بأردية الصبر على خشوتها وأشواكها ليصل الى نور الحق . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وصف جهاد النفس بأنه الجهاد الأكبر وجمل الكذب من الفجور وجعله باباً من أبواب النفاق

أسباب الكذب : ما هي الأسباب التي تدعو الإنسان إلى الكذب ؟ الواقع أنها عديدة لا يحيط بها حصر . وأكتفي بأن أبين بعضها على سبيل الأجمال : فالكذب إما أن يكون سعيًا وراء نتيجة أو يكون إشباعًا لشهوة الخيال . والنتيجة في النوع الأول إما أن تكون فائدة تعود على الكاذب سواء أنتاج منها ضرر للغير أم لم ينتج وأما أن تكون قاصرة على إيذاء الغير دون فائدة تعود على الكاذب . وقد تكون الفائدة مستحقة أو غير مستحقة : أما غير المستحقة فالكذب للوصول إليها أمره واضح ، وأما المستحقة فقد يستمضي الحصول على الحق من الغاصب الخبيث الذي يحكم قليس الحق بالباطل فيضطر صاحبه أن يدرأ الشر بالشر والكذب بالكذب . وأما النتيجة التي لا تحتوى الاضرار بالغير دون فائدة تعود على الكاذب فإنما يصدر ذلك عن نفوس شريرة خبيثة يصير الكذب من شهواتها الجامحة التي لا تستطيع أن تكبح جماحها .

الحكم على الكذب : ومقدار الحكم على هذه الوجوه جميعها هو إيذاء الغير وجودًا وعدمًا ، ومقدار ذلك الذي إن وجد ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، وإذن فالحكم على الكذب يدور مع نتيجته وفق شدتها

ولذلك لم يكن الكذب حراماً لذاته بل لما فيه من الضرر فإن
أقل فوائده ادخال الجهل على الغير ، ولذلك ذهب الفقهاء إلى أن
بعض الكذب جائز وبعضه واجب . وقد وضع لذلك الامام
الغزالي قاعدة فنية وهي أن الكلام وسيلة إلى المقاصد ، فكل
مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصديق والكذب جميعاً
فالكذب فيه حرام ، وأن أمكن التوصل إليه بالكذب
دون الصديق فالكذب فيه مباح أن كان تحصيل ذلك المقصد مباحاً
فإن كان المقصود باطلاً واجباً كان واجباً ، مثال ذلك أن الكذب
واجب إن كان فيه عصاة دم امرئ مسلم اختفى من ظالم وكان
في الصديق سفك دم المسلم ظالماً إلا أنه ينبغي أن يحتزر من
الكذب ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى
أن يتداهى إلى ما يستغنى عنه ، وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة
فكون حراماً في الأصل إلا لضرورة .

الكذب والفرقة : والكذب يكاد يكون عادة تمشي مع
الغرائز وتتغلغل في أحشائنا النفس ، وبذلك ينصرف إلى جميع
وجوه الحياة ، ويتشكل طوعاً للشهوات فيرضيها ويزينها ويلهبها ،
ويخفيها ويتستر عليها ، وقد يضفي عليها مسوحاً زوراً للفتيلة ،
وعلاج النفس من جميع أنواع الكذب صغيرها وكبيرها أمر

صبر يحتاج الى جهاد طويل ورياضة شاقة .

خواص النفاق : أما النفاق فهو وإن كان من أنواع الكذب ، إلا أنه يتضمن حتما إيذاء الغير ويهدف اليه . وأمره لا يقتصر على مجارة الغرائز واشباع الشهوات ، وإنما يقتضى فنونا من الصناعة وضروبا من التشكيل والتهيتة والمظاهر ، ولا يصبر عادة إلا بمرور الزمن عندما تتأصل له فى النفس عقدة يرتكز عليها ويصدر منها واليها .

والنفاق يلزم الانسان فى حياته ملازمة شيطانه ويترأى له عونا وساعدا كلما تقلبت له الأحوال وأعوزه الحظ أو تراكت عليه المحن . وهو ينبوع الذى تفجرت من أعماقه جميع المآسى والآثام والشرور ، وله تاريخ واسع بدأ منذ بدأت البشرية ، وهو فى ذاته جبن وضعف ، ولكنه يتضمن جرأة شديدة على معارضة الحق ، وقوة غامرة فى استصناع الباطل ، ومقاومة عقيدة لما قد يعترضه من عقبات . ويقذف أول أساطيره على الأديان فزيفها ولعل أصدق مثال لذلك ما كان يزور به الكهنة عبادة الله ويقلبونها الى تماثيل وأصنام وطقوس مأوها الزيف والبهتان .

العالم بدون نفاق : ولنا أن تصور العالم وقد عجز الناس عن النفاق والكذب أو اتفقوا أن ينفذوها أى تبادل يطرأ إذن على الناس ؟ أنرام يختلفون أم يتقاضون ؟ أم يتضاربون أم يتحاربون ؟ وهل نرى شيئاً من المآسى القاسية التى تفشو الآن فى حياة الأفراد والجماعات ؟ لا شك أن أغلب هذه الشرور تنقطع جذورها بانقطاع النفاق وإذن لساد السلام واطمأن الناس وسعدوا بالمحبة والتضامن .

النفاق فى الأمور الخطيرة : ويتسلط الكذب عامة والنفاق خاصة على جميع أشكال الحياة ، إلا أن النفاق يتصرف عادة إلى الأمور الهامة الخطيرة . وكلما اشتد خطر الأمر بعد عن مناط الكذب البسيط ووقع فى منطقة النفاق ودخل فى أوضاعه المعقدة . ولذلك كان أشد أوضاع النفاق ماتعلق بالجوش وأعمال الحرب وما تعلق بالحكم وأعمال السلطان .

النفاق فى الحروب : وهنا يأتى لنا أن نقف طويلاً ونمعن الأفكار ملياً فإذا صحائف التاريخ فى جميع عصوره وإذا بالأحداث الحاضرة تجري كلها على قواعد عتيقة مشتقة من النفاق .

الجاسوسية : فالقاعدة المعروفة فى الحروب الحاضرة المبيدة أن أكثر من نصفها يقع فى نطاق الجاسوسية أو

ما أطلقوا عليه لفظ الطابور الخامس ، وأن الحروب الخفية بين أقلام المخابرات أشد وأنكى من حروب الجيوش البرية والبحرية والجوية ، وأن النجاح فيها أو الفشل أشد أثراً وأبعد نتيجة ، وما أعمال الجاسوسية وأقلام المخابرات إلا ضروب معقدة مرتكزة على النفاق في نطاقات واسعة ونظم مدروسة مرتبة .

النفاق في السياسة والحكم : وأما أعمال الحكم والسياسة ومقتضيات الاجتماع بصفة عامة ، فمجال النفاق فيها واسع الأطراف . وللكذب والشروع فيه صولات وجولات . نرى ذلك واضحاً في ميدان السياسة والدبلوماسية بصفة خاصة ، وما يعقد لها من هيئات ومؤتمرات . وما تلك الهيئات والمؤتمرات إلا معارض ومنتديات ، يستعرض فيها رجال السياسة والعلم والخاصيون والسفاكون ومن تبعهم منتهى ما وصل اليه العقل البشرى من أفانين النفاق والكذب وأساليب الخداع والدهاء والخبيث ، مخلوطاً بالالفاظ المعسولة الجميلة ومصبوغاً بألوان مستعارة من الحق والمنطق ومختبئاً تحت أستار جميلة من العلم والأدب والبلاغة والخطابة . ولذلك نراها ابتدعت الأوضاع الباطلة ألواناً زاهية فسمت الفتح والغزو استعماراً ، فلما بهت اللون صبغت له كلمات الانتداب والوصاية واستعملت ألفاظ التعليم والتدوين

والتدريب للحكم الذاتي. تغطية لمعانى النهب والسلب وانتهاز
الفرص. وأنتجت هذه الأخلاط المتنافرة نتائجها الطبيعية وهو
انتشار الروح المدمرة وفتون الأباداة والتخريب. وتجرى الأمور
في مسائل الحكم والادارة على هذا النمط حيث تنشأ ألقاظ
جميلة براقه تضم طرفا من الحق وتحنى أطرافا من النفاق كالدهاء
والكياسة والدربة ودقة الادارة.

النفاق يتداخل في الجرائم الخفية : والنفاق عنصر أساسى
يتداخل فى تركيب كثير من الجرائم الخفية التى تنخر كالسوس
فى المجتمع كالفية والنميمة والوشاية وشهادة الزور - ثم هو
إلى جانب ذلك يغرس فى حنايا النفس أمراضاً عضالا تقذف
بها إلى الهلاك كالغرور والزيغ والصلف والكبرياء والحقده
والحسد والضغينة.

النفاق والكذب ألقاظ مكروهه : والكذب والنفاق ألقاظ
مكروهة مرذولة لا يتعامل الناس بها وإن تعاملوا بمدلولها ،
ويعتزون فى اصطناعها وفيض الفضائل تسيل من أفواههم ،
ولا يذكرونها الا ومعا أنماط من الزجر البالغ للتباعد عنها
والاشارة بهدى الصديق والنجاة به ، نحمد الكثير من ذلك فى
جميع أسفار الحكمة والسياسة والأخلاق . هذا بيد أن قاعدة

واحدة اضطرد العمل بها وهي نبذ الفضائل واصطناع النفاق
لبلوغ المآرب .

ما كيا في النفاق : ولا نجد أحدا وصلت به الجرأة على
الصراحة في هذا الشأن وتقيبه الناس إلى نبذ الفضائل عند
الاقتضاء إلا رجلا إيطاليا مفلوكا من كتاب القرن السادس عشر
الميلادي . لا يزال رجال السياسة إلى عصرنا الحاضر يتبعون
تعاليمه ، ويهتدون بهديه ، إذ يحض على عدم الاهتمام بالصدق
والفضائل ، وذلك الكاتب هو نيقولا ما كيا في الذي ولد عام
١٤٦٩ وتوفي عام ١٥٢٧ ميلادية .

ونظرا لخطوره تعاليم ما كيا في التي أو دعها كتابه الأمير ،
وإلى اعتبارها المثل الأعلى لدى جميع رجال السياسة والحكم
منذ وضعت إلى عصرنا الحاضر ، ثم إلى ما تضمنه هذا الكتاب
من أساليب النفاق والخداع ، فإنني أرا في مضطرا أن أعرض
طرفا وجيزا أو على الأصح صحيحة واحدة مما نصت عليه تلك
التعاليم ، لعل فيها موضعا للبحث والمقارنة لما نحن بصدد مع
شيء غير قليل الطرافة .

من تعاليم ما كيا في : يقول ما كيا في في كتابه الأمير تحت
عنوان : كيف يكون وفاء الأمراء ، مانصه : لا ينبغي للأمير

الحذر أن يحفظ العهد إذا كانت عند مصلحته ، وما دامت
الأسباب التي دعت للوعد قد انقضت عندها . (المقصود بالأمير
حاكم المقاطعة وقد كان العهد عهد الاقطاعيات) إذا كان الناس
كلهم أخيارا فإن القاعدة التي ذكرتها تكون لا شك سيئة ،
ولسكنهم أشرار ولن يحفظوا لك عهدا فلست مضطرا لحفظ
عهودهم . ثم أن الأمير لا يفقد حيلة شرعية يركن إليها إذا لم
يف بوعده ، وأن الأمثال في هذا الباب كثيرة تثبت أن السلم
قد تززع مرارا وأن الوعود قد نسيت تكرارا بأمراء لا وفاء
لهم ، وأن الذين استطاعوا من الأمراء تقليد الشعب قد فازوا
وانتصروا ، ولكن من الضروري أن يخفى الرجل هذه الخليقة
وأن يكون ماهرا في فن التظاهر بغير شعوره ، ثم أن الناس من
البساطة بمكان وهم أصحاب حاجات وصاحبها أرعن مطيع فلا
يعدم الخادع فريسته . ثم يقول ما كيا في بعد ذلك بقليل مانصه :
« ليس من الضروري أن يتصف الأمير حقيقة بكل الفضائل
التي سبق الكلام عليها ولكن من الضروري أن يذاع عنه
الاتصاف بها ، واني أجسر فأقول أن الانصاف بكل تلك
الفضائل خطر ولكن الظهور بالتحلى بها نافع . إنه من الخير لك
أن تظهر بالتقوى والأمانة وحب الإنسانية والدين والاخلاص

وأن تكون في الواقع كذلك ولكن ينبغي أن تكون متنبها
 بحيث إذا اضطرت للتحويل إلى الصفات الأخرى كان ذلك بدون
 مشقة . وينبغي العلم بأن الأمير لا سيما الحديث لا يمكنه ممارسة
 كل تلك الخلال الموصوفة بالحسن لدى الرجال لأنه يكون في
 أغلب الأحيان مضطرا للاحتفاظ بالملك فيعمل ضد الإيمان
 والاحسان والانسانية والدين ، لذا ينبغي أن يكون له عقل
 سهل التحويل والانتقال حسبما يقتضيه قلب الأحوال ولا يترك
 صنع الخير ما استطاع ، وأن يكون قادرا على صنع الشر إذا
 احتاج لذلك . وينبغي للأمير ألا يحرك لسانه بكلمة لا تدل على
 أنه متعل بالخلال الخمس السالفة الذكر ، فلا يرى فيه الرأي ،
 ولا يسمع منه السامع إلا الأمانة والعفة والتقوى وحب
 الانسانية ، وأهم تلك الصفات صفة التقوى ، لأن الرجال
 يحكمون عادة بالنظر لا بالخبرة ، وكل الناس ترى فيك مظاهره ،
 وقليلون يلمسون حقيقتك ، وهؤلاء القليلون لا يستطيعون أن
 يقاوموا الكثيرين المحتمين بسلطة الأمير ، فليعش الأمير
 وليحافظ على عرشه دون النظر في الوسائل ، فأنها ستبقى على
 الدوام معتبرة شريفة بمدحها الكل ، لأن العامة مأخوذون
 بالظواهر وبتأثير الأشياء . والعالم لا يشمل إلا العامة ،

والفيلسوفون من الخاصة لا يظهرون الا عندما يضل الكثيرون .

فيله تباله ما كياڤلى : أرأيت أيها القارىء مقدار الدين والاخلاق فى نظر ما كياڤلى ؟ ومع ذلك فقد اعتبر كتابه " الأمير " أعظم كتاب فى فلسفة السياسة ، واعتبر ما كياڤلى أنه رفع الستار عن اسرار صناعة الحكم الدقيقة ، وأنه وضع علماً جديداً بحذافيره هو علم السياسة العملية حل فيه ألغاز السياسة ، وصير صناعة الحكم الصعبة المراس عملية من عمليات الجبر البسيط ، وغذى بأرائه وحكمه نفوس جميع أبطال التاريخ الحديث (راجع كتاب الأمير وترجمته للأستاذ محمد لطفى جمعة المحامى طبعة مطبعة المعارف سنة ١٩١٢) واشتق من اسمه مذهبا فى السياسة سمي ما كياڤلزم يتضمن مبادئه التى ترتكز على كل عمل قائم على الحبث والدماه المقرونين بالاثرة وتقديم الغاية على حسن الوسيلة . وقد أجمع المؤرخون أو كادوا على أن اسم ما كياڤلىست أصبح علما على كل سياسى شديد قوى العقل والقلب لا يقف به الشرف أو العفه أو هيبة إله دون اقتراف أفظع الآثام لبلوغ الغاية (من كتاب الأمير السابق الإشارة إليه) .

والآن لعلك أيها القارىء اتخذت من البيان السابق مجرأ فوضعت تحته كثيرا من الاحداث والأشخاص التى تقوم على

رؤوس السياسة والسلطان ، ثم وضعت تحته بعد ذلك كثيرا مما يصيب شخصك من الأحداث وما يصل إليك من اصدقائك واقربائك ومعارفك من خير أو شر ، فإن هذا المجهر قيم أن تنفذ أشعته في تلك الجسوم فيكشف لك عن مكنوناتها ويضوئ لك بين الظلمات صراطا حريزا عن الغش والخداع .

ولقد حفز ما كيافى القلوب المريضة أن تستغرق في أسباب مرضها ، وأن تسدر في غلوائها وأهوائها ، وجعلها ضحية لشهوة الحكم والسلطان . وبعد أن كان الحكم ورجال السياسة يمشون فى النفاق والكذب مشية الحذر المترقب الوجل ويعتبرون أنفسهم خارجين عن حدود الدين والقانون إذا بهم يحدون من ما كيافى مرشدا يعلمهم أن البعد عن النفاق باسم الدين أو الحكم أو الخلق الحسن وهم وحق لا كياسة فيه مادام أمر الملك يقتضى ذلك . وكأن تعاليمه كانت رقية من رقى ابليس مست أحد أغلاق جهنم فانفتح بمسها ألوف من أبواب الرجس يفور تنها وبصاعد لهيها على ضحايا البشر .

وفرقت واسع أن يرتكب الشر باسم الشر طوعا لشهوة جامحة تأخذ بخناق صاحبها ، وبين أن يرتكبه وهو يتشدد أنه يفعل حقا لا إثم فيه ، ويدخل الغش على نفسه فيخدعها ويوهمها

أن ما يفعله كياسة تتفق مع اتساع علمه ووحدة ذكائه .

النفاق سابق لا كياقل : لم يكن العالم خاليا من النفاق قبل ما كياقل فالنفاق وليسد الفراغ في أوضاعها الضالة ؛ ولم يخل منه شيء حتى الدين والنشريع والحكمة . ولكن ما كتبه ما كياقل قد فتح الأبواب وحرص على الجرأة على الدين والخلق ، وضحي بكل شيء في سبيل الحكم وبث تلك الأفكار السامة في عقول عدد لا يحصى ، ولا زالت تلك الأفكار تنشكل وتتكاثر كما تتكاثر الجرائم الفتاكة .

والآن أرجع بك أيها القارىء تسعة قرون قبل ما كياقل لا عرض عليك ضروبا أخرى من علاج النفاق تنزهت أن تنزل إلى سوقه ثم انفصل لك مثلا شرفت وارتفعت أن يدنسها النفاق ولسكنها أحاطت به بغضا ثلها خبيثته في نطاقه الضئيل كالسكب العقور : يحبس فيقتله نباحه أو تهذب ضاريتة . وتلك المثل إنما كانت في الطريقة التي عالج بها رسول الاسلام محمد عليه السلام أهل النفاق مع شدة ضرورتهم ودهائهم إلى ما كان من خيبتهم وضياع أمرهم .

النفاق صدر الاسلام : لقد كانت قصة النفاق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة طويلة طريفة كأنها حلقات صراع

بين الاسلام والنفاق . بدأت منذ دخل الرسول الكريم المدينة وتداخلت حوادثها في أغلب حوادث الدعوة الاسلامية ، وحارب المنافقون النبي صلى الله عليه وسلم حروبا خفية مليئة بالدهائن والتجسس والتآمر ، وحاولوا أن يزيلوا عليه وعلى المسلمين أشنات الكافرين وضعاف القلوب ، وكانت لهم في ذلك مكائد خطيرة عصم الله نبيه الكريم والمسلمين منها ولم يحيدوا قط عن نهج الخلق المستقيم ، ولم ينزلوا إلى درك مقاومة النفاق بالنفاق ، ولم يفكروا في طرح تعاليم الدين والأخلاق للرد على تلك المكائد .

درء النفاق والمدينة النافذة : وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم

والمسلمين أن يدرأوا النفاق بالنفاق . فإن الاسلام أتى بتعاليم خاصة ومبادئ معينة تتنافى مع النفاق وتحقق المدينة الفاضلة أو النموذج الأعلى للدولة ونظام الحكم ومقتضيات الاجتماع . وهو حلم طالما تراى في أذهان الفلاسفة والحكام منذ العصور السحيقة في القدم . ولنا بصدد تفصيل ماورد عن سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم عن ذلك ، ولكن كتاباتهم وفلسفتهم كانت محاولات نحو السعي وراء الكمال بعد أكثرها عن الأماكن العملية ، وأغرق بعضها في التصورات الخيالية البعيدة عن طبائع البشر ، وحاول البعض الآخر أن يقربوا منها ، وفشل

الجميع في تحقيق تلك المدينة سواء في كل ما تخيلوه أو في بعضه .
كذلك فشل أصحاب نظرية الانسان الكامل Superman في
تكييف المثل الأعلى للفرد وفي تحقيقه ، وظل الحالم في كايما
يتراى كالسراب أمام الفلاسفة ، حتى بعث الله محمداً صلى الله
عليه وسلم فحقق المدينة الفاضلة أو الدولة الرشيدة النموذجية في
المدينة (يثرب) وما دخل تحت لوائها ، كما تحقق الانسان الكامل
في شخصه الكريم عليه الصلاة والسلام ، وكانت لمحة خاطفة
أضأت في ثنايا الزمن لتسكون نموذجاً يقتدى به الأفراد
والجماعات إذا تراصوا وتواصوا على ارنياذ مسالك السعادة .

وللمدينة الفاضلة أو الدولة الرشيدة أركان ثلاثة : الرئيس
الكامل والنظام الكامل والشعب الكامل . أما الرئيس الكامل
فقد تحقق في شخص النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان كامل الخلق
والخلق حريصاً على صالح الجماعة والأفراد قائداً حازماً وسياسياً
أريباً إلى غير ذلك مما ورد في وصف ذاته الكريمة مما يستحيل
أن يجتمع في فرد واحد ويكفى أن الله تعالى قال مخاطباً له في
القرآن الكريم : وإِنَّكَ لَعَلَى خَاقٍ عَظِيمٍ . وأما النظام الكامل فهو
النظام الذي أتى به القرآن الكريم في قواعد كلية جامعة صالحة
لجميع الأفراد والجماعات في جميع العصور والأمكنة . فكان من

إدارة النبي صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات وصاحب الشخصية الكاملة وعلى نظم القرآن أن وجد الشعب الكامل .

جمع أشقات العرب : ومن عجب أن تكون بعثة النبي صلى

الله عليه وسلم في شعب يدرج في أسوء نظم الاجتماع والحكم وتسوده الفوضى الخلقية ، وتمزقه النعرة القبلية وحمية الجاهلية فتقوم فيه الحروب لا تفقه الأسباب ، وتظل نيرانها مستعرة سنيناً طوالاً من أجل التناؤد بالالفاظ والتفاخر الكاذب بالانساب وما أشبه ذلك من توافه الأسباب . ومع ذلك يجمع النبي صلى الله عليه وسلم شعبه ، ويحكم أموره ، تحت أبداع دستور وأتم نظام ، ألا وهو نظام القرآن الذي فصل أحوال الفرد وأحوال الجماعة وعلاقة كل منهما بالآخر في دقة لا يمكن الإحاطة بتفصيلها .

وكان قد أعجب العجب علاج النفاق ، وهو داء العالم العضال ، وذلك الصراع الذي دام ما يقرب من عشر سنوات فكان في كل حلقة من حلقاته آيات من الهدى والإرشاد الحكيم .

ولقد أردنا أن نرفع من أستار الماضي ثمانية وستين سنة وثلاثمائة وألف لتفقد ما كان شأن ذلكم الأبرار وهم يهتدون بكلام الله العلي الأعلى ، ويأتمرون بأمر سيد الخلق ويقتدون به

لنعلم ما كان من شأنهم مع طغاة النفاق وجبابرة الكذب وزعماء
التجسس ، لعل في ذلك عبرة وذكرى ، ولعل فيه صقلاً للنفس
من بعض أوهامها وجهالاتها ، ولعل فيه تخفيفاً وعزاءً لما نقاسيه
من آلام تطاحن النفاق وتطاعن الرذائل

.....

تاريخ العرب والدينه : وقبل أن ندخل في ذكر تاريخ المنافقين
ونشأتهم والاحداث التي أحدثوها ، نرى لزوماً علينا أن نذكر
في هذه المقدمة الملحة وجيزة عن تاريخ العرب ونظمهم في الحكم
والاجتماع بصفة عامة ، ثم بتاريخ المدينة المنورة ، أو يثرب ، كما
كانت تسمى قبل الاسلام بصفة خاصة ، وذلك لاتصال تاريخ
المنافقين ونشأتهم وحوادثهم بذلك اتصالاً متشابكاً ، ولأن من
الاسباب الكبرى التي أوجدت هذا الحزب وأحكمت أواصره
ضعف عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي على النبي صلى الله
عليه وسلم إذ كان على وشك أن يتوج ملكاً على يثرب .

لم يكن العرب دولة واحدة والسبب في ذلك : لم يكن العرب

دولة واحدة قط قبل الاسلام ، ولم تتكون فيها دولة ذات شأن
إلا في الجزء الجنوبي الشرقي منها وهي بلاد اليمن . وإنما نشأت
حويلات صغيرة لم تبلغ شأواً كبيراً في الحضارة وهي حول
المناذرة والغساسنة وكندة ، وكانت على الدوام تابعة لغيرها

ومن الدول العظيمة كفارس والروم كما كانت نشأتها في جهات معينة لظروف خاصة .

والسبب الذي لم تنشأ من أجله بلاد العرب دولة ذات حضارة واسعة يرجع إلى طبيعة البلاد ، فأنها صحراء شاسعة الأطراف يبلغ طولها نحو ٦٥٠ ميلا وعرضها نحو ٦٢٠ ميلا وهي عالية تمام الخلو من الأنهار ، بجربة لا ينزل المطر فيها إلا نادرا . وذلك فيما عدا اليمن .

دولة اليمن : والعمران يكثر أو يقل طبقا لمقتضيات الحياة ، ولذا اتسعت دائرته بعض الاتساع في بلاد اليمن التي أطلق عليها لذلك مؤرخو اليونان اسم العرب السعيدة بينما لقبوا غيرها بالعرب الصخرية والعرب الصحراوية . وقد استطاع أهل اليمن في الأزمان السحيقة في القدم أن ينظموا الانتفاع بمياه الأمطار ، وأقاموا لها سدودا اشتهر منها في التاريخ سد مأرب ، وتمكنوا بذلك أن يزرعوا الأرض ، وقامت لديهم مدنية واسعة ودولة قوية ، حكمها ملوك لا يزال التاريخ يقص من أعمالهم الكثير . وأهم الدول التي نشأت باليمن ثلاث : الدولة الحميرية فالدرلة السبئية فدولة حمير والنبابعة . ومن ملوك هذه الدول قحطان وعرب ويشجب وحمير وذو الازعار وذو نواس

والملك بقميص وقد أنشروا المدن الكبيرة والقلاع العظيمة
والقصور الفخمة وكان ملكهم وراثيا وسلطات الحكم لديهم
مركزة في يد الملك ، وسكرو النقود ونقشوا عليها صور الملوك
وأسماءهم وأسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند ، وزينوها
برموز سياسية واجتماعية . وكانت الامة منقسمة في عصورهم
إلى أربع طبقات (١) الجند المسلح (٢) الصناع (٣) الفلاحين
(٤) التجار . وقد ازدهرت لديهم التجارة والصناعة والزراعة
وبلغت في ذلك شأواً بعيداً ، وامتدت مزارعهم وحدائقهم
واستغثروا كثيراً من البقاع القابلة للاستثمار بين اليمن والشام .
فلما اتسعت رقعة دولتهم أصابهم ما يصيب الدول فانغمسوا في
الملاهي وعكفوا على الملذات وكثر ظلمهم وأعرضوا عن عبادة
الله وتقراءه فسلط الله عليهم سيل العرم فخرّب عمارتهم وبساتينهم
وأهلك منهم خلقاً كثيراً وتفرقوا بدداً في صحراء جزيرة العرب
وقد ذكر الله تعالى شأنهم في قوله عز وجل : **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي**
مَسْكَنَتِهِمْ آيَةٌ لِّمَن تَتَذَكَّرُ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُبْذَلُونَ بِكُمْ**
وَأَشْكُرُوا لَهُ **بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** **فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا**
عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ **وَيَذَلْنَاهُمْ لِمُجْتَنِبِيهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلٍ نَّحْتُمِ**
وَأَثَلٍ وَشَيْءٌ مِّن سَدْرٍ قَلِيلٍ **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ**

بجوارها دولة كبرى وذلك إذ جاورت الأولى فارس وجاورت
 الثانية الروم وكاتتا كبرى دول العالم في ذلك الوقت ، فأصبحت
 المناذرة تابعة لفارس كما تبعت السياسة الروم ، وصارت كل
 منهما تسير تبعاً لسياسة الدولة التي تتبعها حتى في الحروب . ورأى
 كل من دولة فارس والروم أن في ذلك مصلحة لها لأن تلك
 الدويلات الصغيرة كانت لها بمثابة صمام الأمن في بلاد العرب ،
 فقد كانت هذه البلاد موحدة تقراء شاسعة الأطراف لا تغرى
 الفاتح المستعمر من الملوك ذوى الأطماع أن يحسب أول فتحها
 أو استعمارها ولا يحازف أن يلقى بجيوشه لتهلك في أتون فيها
 الشاسعة فتبطلها ، ثم أنه لا غنى للقوافل عن ارتيادها للتجارة
 وغير التجارة . فكانت هذه الدويلات الصغيرة تكنى ملوك
 الدول الكبرى مؤونة الصلة بالقبائل الضاربة في جوف هذه
 الصحراء ، وبقيت أيدي الفرس والروم تلعب مع أصحاب التيجان
 في هذه الدول فتثبت تعيينهم وتصلهم وتسخرهم ويمشون على
 هديها وسياستها ، ولم يشذ عن ذلك إلا المنذر الثالث بن امرئ
 القيس بن ماء السماء ٥١٤ - ٥٦٣ ميلادية في عهد قباذ ملك
 الفرس . وسبب ذلك أنه ظهر في بلاد الفرس في ذلك الوقت
 شعب موحد وكان يرمى إلى الاشتراك في الأموال والنساء

ويكن بعض أعيان الفرس قد أحرزوا أموالاً كثيرة وبجواهرات
وعقارات كبيرة القيمة ، فأراد قباد أن يستعين بهذا المذهب على
مشاركتهم ، فثار الإشراف في وجه قباد وأنكر المنذر هذه
البدعة وانضم إلى الثأريين على كسرى ، فتغير قباد على المنذر
ووجد في الحارث الكندي ملك كنده خصماً منافساً من العرب
للنذر ، وكان قد امتد سلطانه إلى نجد وودا لحظرة لدى ملك
الفرس ، فاستنجد به قباد على المنذر وغزا الحيرة وتغلب على
جيوش المنذر ، فهرب وظل محتبئاً إلى أن توفي قباد ، وتولى أمر
الفرس ابنه كسرى أنو شروان ، وكان على غير رأى والده ،
فخرج المنذر من محتبئه وأقبل عليه فرحب به وأعادته إلى منصبه
بعد قتل مزدك وهرب الحارث الكندي وكان ذلك نهاية الدولة
الكندية حيث انقسمت عقب ذلك إلى أمارات صغيرة لكل
أمير سيادة على بعض القبائل وظلت كذلك حتى قضى عليها
الإسلام .

ومن أشد الدلائل على تبعية الدولتين العربيتين لفارس
والروم أن كثيراً ما وقعت الحرب بين المناذرة والغساسنة مع أن
كليهما عربيتان ، وذلك عند وقوع الحرب بين فارس والروم ،
ومع أن كلا من فارس والروم لم يحاول مطلقاً أن تتغلغل في

حتم البلاد وهذا لئلا لعدم القاعدة من غزوها ، والمرة الوحيدة
التي حاول الفر من فيها ذلك متوا بشر هزيمة بفضل تضامن العرب
والتي في رقعة ذي قار سنة ٢ للبعثة النبوية .

النظام القبلي في بلاد العرب : هذه هي الدول التي نشأت
ببلاد العرب ، وفيما عدا البقاع التي نشأت فيها هذه الدول ، فإنه
النظام القبلي وهو النظام الطبيعي للدوى المتنقل هو الذي كان
يسود سائر البلاد وخاصة أشدها جدبا وهو الحجاز لأنه عبارة
عن سلسلة الجبال التي تمتد من الشمال عند بوادي الشام حتى
تقضى إلى الجنوب عند حواضر اليمن على مسافة تتراوح بين
ثلاثين وخمسين ميلا شرق البحر الأحمر فيطلق على قسمه الغربي
من البحر إلى سلسلة الجبال اسم تهامة ويطلق على قسمه الشرقي أي
شرق سلسلة الجبال اسم نجد .

نشأت القبائل التي آوت إلى هذه البقاع على شطاف من
العيش . وكانت متصلة على الدوام بسائر الدول العربية بحكم
النسب وأعادتها وتقلاتها إلا إذا استثنينا من تحصر بمكة . ومن
هذه القبائل جرهم وأرلاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام
حيث تزوج من جرهم وألجب اثني عشر رجلا فكانت نسلهم
وهم قرأ في تهامة وعار إليها الشرف حتى توسعت إليها من

تجمن قبيلة خزاعة فاستولت على شرف حرم واتقلت على
ورطمة القبيلة .

النظام القبلي لا يعرف الملكية : لم تعرف هذه القبائل نظام
الملكية ، ولم يكن بينها نظام مسطور ولا دواوين ، وإنما
كانت تعيش على النظام القبلي ولا تعرف رئاسة الرئاسة
للقبيلة . وكانت رئاسة القبيلة في قریش مقسمة الأجزاء ، كل
جزء منها يتمثل في وظيفة معينة ، وقل أن تجتمع في شخص
واحد وهي خمس وظائف : (١) رئاسة دار الندوة وهي دار
أنشأها قصي كبير قریش ليجتمع فيها شيوخ القبيلة للتشاور في
المسائل الهامة . (٢) اللوا . وهو رمز لقيادة الجيش (٣) الحجابة
وهي خدمة السكبة الشريفة وفتح بابها (٤) السقاية وهي سقى
الحجيج (٥) الرقادة وهي إطعام من لازاد معه من الحجاج

مكان المدينة قبل الإسلام : أما المدينة المنورة فأنما أطلق

عليها هذا الاسم بعد أن هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم
وكانت تسمى قبل ذلك يثرب . ولم ينشأ فيها قبل الإسلام أى
دولة ولا نظام من نظم الحكم وعاشت في جميع أطوارها قبل
الإسلام في نظام قبلي : حكومتها حكومة القبيلة . والذي يتبين
من التاريخ أنها كانت في المصنوع القديمة موطناً لثلاث قبائل من
اليهود : بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع ، هاجروا من بلادهم

من الشمال ثم صاروا يربوون حتى ما صلح من أرضها كما استوطنتها
من حولها خير وفدك ووادي القرى إلى أن نزل حارث بن ثعلبة
العنقاء من أوائل ملوك القنسانة على يهود يثرب وخيبر . وسبب
ذلك أنه لما هرع غسان إلى الشام عقب سيل العرم كون بها
قوة القنسانة وكان أوائل ملوكها وخلفه ابنه ثعلبة العنقاء ولما
مات ثعلبة تولى بعد ابن أخيه عمرو فكان ذلك سببا لسيخط ابنه
سارثه فرحل من الشام إلى الجنوب ونزل على يهود يثرب وخيبر
وسألهم الحلف والجوار والأمان والمنعة فأعطوه من ذلك
ما سأل واستعمر ولداه أرس وخزرج الأرض وتناسلوا
وكثروا ، ولم يكونوا أول أمرهم أهل نعم ولا شاء لأن البلاد
لم تكن بلاد مرعى ولم يكن لهم نخل ولا زرع ، فاشتغلوا لدى
اليهود بزرعهم الأرض ويحيون مواتها والأموال لليهود إلى
أن كثروا فغلبوا اليهود على الأرض وقتلهم وصارت الغلبة
لعرب الأوس والخزرج .

قبائل المدينة : لهذا كانت المدينة قبل الإسلام مكونة من
نحس قبائل : اثنتان من العرب هما الأوس والخزرج وثلاثة من
اليهود هم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع . وكانوا يعيشون
على النظم القبلية ، ولكل قبيلة زعيمها ورؤساؤها يتدافعون مع

القبائل الأخرى على أسس التفاخر والتناحر والتناحر دون أن تكون هناك دولة أو رئيس موحد .

الخلاف بين الأوس والخزرج : ودب الخلاف بين الأوس والخزرج بعد أن توطدت أقدامهم بالمدينة ، وقامت بينهم حروب عديدة بسبب خلافات فردية كانت ثور لها . الثرة القبلية وكان النصر تارة للأوس على الخزرج وغالباً للخزرج على الأوس . وقد اشتدت هذه الحروب ودخلت في أواخرها قبائل اليهود فأنحازت قريظة والتضير للأوس وانضم بنو قينقاع إلى الخزرج . وبلغت هذه الحروب أشدها قبيل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

حروب الأوس والخزرج وظهور زعامة عبد الله بن أبي بن سلول : ونظراً لأن تلك الحروب تعطينا صورة مفصلة لحالة المدينة قبيل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها فإنا نورد بعضها منها ، وخاصة فيما يتعلق بأحد رؤساء الخزرج حيث ظهر كثيراً في هذه الحروب باعتباره سيداً مطاعاً وزعيماً عادلاً حليماً ، ثم ما لبث إذ دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أن صار ثعباناً خطراً وتزعيم النفاق حتى لقب فيما بعد رأس المنافقين وكثر معه مكائده للسلطين وهو عبد الله بن أبي بن سلول .

ومعه الله بن أبي بن سلول من بني عوف بن الخزرج . وكان
أول ظهوره في حروب الأوس والخزرج يوم السرارة وهو يوم
كان فيه حرب شديدة بين عمرو بن عوف من الأوس وبني الحرث
من الخزرج وكان سيها أن رجلا من بني عمرو قتل رجلا من
بني الحرث فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلة ، فاستكشفوا
أهله فعملوا كيف قتل ، فتهبوا للقتال وأسلموا إلى بني عمرو بن
عوف يؤذنونهم بالحرب فالتقوا بمكان يقال له السرارة وعلى
الأوس حضير بن سمالك والد أسيد بن حضير الذي صار فيما
بعد من أجلاء الصحابة ، وعلى الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول
أبو الحباب فاقتلوا اقتتالا شديدا دام أربعة أيام ثم انهرمت
الأوس إلى دورها وتبادل شعراء الأوس والخزرج الفخر
بما حدث .

وصار عبد الله بن أبي يشترك في الحروب التي تلت ذلك
وهي كثيرة ، وكانت تنشب لأسباب تافهة فينسب عنها القتل ،
ثم تولى قيادة الخزرج في حرب الفجار الأولى وهي حرب قامت
بين القبيلتين لقتل الأوس ثلاثة غلمان من الخزرج كانوا رهنا
للبيات في صلح سابق بينهم . ولكن عبد الله بن أبي خرج على
الخزرج هو وأبي الخزرج معهم في حرب الفجار الثاني الذي أعلنته
الأوس ضد الخزرج وذلك لأن الخزرج في ذلك الوقت

نقضت عهدا بدون سبب وكان ذلك العهد بينها وبين يهود قريظة والنضير ألا يناصروا الأوس وأودعوا الخزرج أربعين غلاما رهنا لعدم التعاون مع الأوس ، فقال عبد الله بن أبي بن سلول هذا بني ولأمي ، ونهى عن قتلهم كما نهى من دعا إلى ذلك وهو عمرو بن النعمان البياضي عن قتال الأوس ، وحذره عمرو عاقبه البغي . ولم يقتل عبد الله بن أبي ومن أطاعه من كان لديهم من الغلمان وأطلقهم .

يوم بعاث : وكان من أثر ذلك أن عادت يهود قريظة والنضير إلى مناصرة الأوس ، واجتمعت الخزرج وحشدت وأرسلت إلى حلفائها من أشجع وجهينة كما أرسلت الأوس إلى حلفائها من مزينة . ومكثوا أربعين يوما يتجهزون حتى التقوا ببعاث من أعمال قريظة وتخلف عبد الله بن أبي بن سلول وافتلوا اقتتالا شديداً وقتل قائد الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وانهزمت الخزرج ، فبينما عبد الله بن أبي يتردد براكبا قريبا من بعاث يتجسس الأخبار إذ طلع عليه بعزمرو بن النعمان قتيلا فلما رآه قال ذق وبال البغي .

الدل إلى لوثام ونبت الحرب والزم على تنويج عبد الله بن أبي ملكا على ديبته .

كان يوم بعاث آخر حروب كثيرة بلغت زهاء العشرة

فما نكس الأوس والخزرج وعطلت مصالحهم وأفتت
 كثيرون منهم فشموا القتال وبدأت نفوسهم تنصرف من الحمية
 الجاهلية إلى روح الوثام ومالوا إلى الاستقرار والسكينة ومعهم
 اليهود . والظاهر أن هذه الروح قد نشأت بهم إلى الميل والنظام
 وتقليد دول العرب التي نشأت في الحيرة والشام وكندة تحت
 النظام الملكي لتصرف كل من القبائل إلى مصالحها متضامنة
 تحت لواء الملكية بعيدة عن المناقرات القبلية . وقد روى
 المؤرخون أن الأوس والخزرج اتفقوا بعد أن شموا القتال
 أن يتوجوا ملكا عليهم عبد الله بن أبي بن سلول لما رأوا
 فيه من الحلم والكياسة ، وصاروا يجهزون لهذا التتويج إلى أن
 دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعقد معاهدة
 بينه وبين الأوس والخزرج واليهود ، وانصرف الناس عن
 الغيرة القبلية شيئا فشيئا كما انصرفوا عن تتويج عبد الله
 ابن أبي .

وهذا يعطينا صورة محددة بعض التحديد للحالة السياسية
 والاجتماعية التي كانت تسود المدينة وقت أن دخلها النبي صلى
 الله عليه وسلم مهاجرا من مكة ، والتي كان لها شأن كبير

في الحوادث التي تلت مقامه في المدينة ، حيث بارزه اليهود
بالمعاداة سرا وعلانية ، وانضم اليهم من لم يؤمن من الأوس
والخزرج وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول حتى اضطر
إلى الاسلام رياء ليتمكن من الكيد والدسائس فتكونت من
هذه الاخلاط منابت النفاق ومراقد الفتنة والتآمر .

الباب الأول

نشوء النفاق وموارد المنافقين

بدء النفاق

نضاؤل النعمة القليلة بالمدينة : بدأ الاسلام يدخل المدينة والنصرة القبلية بين الأوس والخزرج في أوج شدتها أيام بعث ، ثم بدأ بفشو وقد انفثأت حدتها وتقارب الخلاف بين القبيلتين حتى كاد أن ينعدم ، وبدأ التفاهم والقرابة والصوالح المشتركة تلعب دورها لتؤلف بين قلوبهم حتى أزمعوا أن ينشئوا بينهم دولة عربية يثرب على غرار دول العرب ، وأجمعوا أن يولوا عليهم عبد الله بن أبي ، وذكر المؤرخون وكتاب السيرة أنهم كانوا يهيشون له تاجا لتتويجه ملكا عليهم . ووقف اليهود من ذلك موقفهم القديم منذ غلبوا على أمرهم بالمدينة : يصانعون الأوس والخزرج ما اتحدوا وما اختلفوا .

جاءه الأوس والخزرج تحت اسم الانصار : ودخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد خمس سنين من حرب بعث ، وقد

فشا الإسلام فشوا كبيراً ، وأسلم أغلب الأوس والخزرج
وبدأت التسمية القبلية تتلاشى وتحل بدلها تسمية جامعة لها
باسم الأنصار وهي تسمية مشتقة من صميم الإسلام لأنهم
نصروا النبي صلى الله عليه وسلم .

الظواهر الجديدة بالمدينة — وتضامن الأنصار — وشهد اليهود
والذين تخلفوا عن الإسلام من الأوس والخزرج كيف
تظاهرت الجماهير في استقبال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف
عجت طرقات المدينة بهذا الاستقبال ، بما لم يسبق له مثيل في
تاريخها ، ولم يكن لهم عهد بمثل هذا التضامن البعيد عن النعرة
القبلية — ورد في السيرة الحلبية أنه لما ركب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخرج من قباء سار وصار معه الناس ما بين
ماش وراكب ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحاً
برسول الله وحرصاً على كرامته وتعظيماً له حتى دخل المدينة ؛
ولعبت الحبشة بمحرابها ، فلما دخل المدينة أضاء منها كل شيء
وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير (أى الأسطحة) عند
قدومه ، وجعل النساء والصبيان والولائد يقنن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جنت بالأمر المطاع

وجعل رؤساء الأوس والخزرج يدعونه للقيام لديهم
ويستضيفونه وآمن أغلبهم وعلى رأسهم سعد بن معاذ وأسيد
بن حضير من الأوس ، وسعد بن عباد من الخزرج رضوان
الله عليهم أجمعين .

للمعاهدة وبدأ الرسول الكريم حياته بالمدينة بأن ركز
وضعها السياسى فى معاهدة جامعة بينه وبين المهاجرين من مكة
وبين بطون الأوس والخزرج وقبائل اليهود الثلاث من آمن
عنهم به ومن لم يؤمن . وكانت المعاهدة تشمل عدم الاعتداء
من أحد على الآخر وضمانا للأمن بين الجميع ولهذا اضطرت
اليهود والذين تخلفوا عن الإسلام أن يدخلوا فى هذه المعاهدة
خضوعاً للأمر الواقع من جهة ولأن التيار الذى واجهوه كان
تياراً جارفاً لم يكن لهم عهد بمثله ورأوا من الخرق والحق أن
يحاولوا مقاومته .

شئون الدين لم يؤمنوا ومع ذلك فإن تلك المعاهدة لم تمنع كثيراً من اليهود من محاجة النبي صلى الله عليه وسلم وعداوته ومحاولة تأليب القبائل عليه وخصوصاً قبائل العرب الضاربة حول المدينة ولكنهم فشلوا. أما رؤساء الأوس والحزرج الذين لم يسلّموا فكان لهم شئون أخرى غير شئون اليهود : فقد كانوا يدعون الشرف في قومهم ، ولم يكن ذلك الشرف الجاهلي في غالب أمره حقاً إنما كان مرتكزاً على الطمع والدعابة والنهويش على الطباع البشرية ، باتخاذ مظاهر العظمة الكاذبة والصلف والخيلاء . ودعوى العدل والعقل لم تكن تخرج من أفواههم إلا ضرباً من الهذيان ؛ ولذلك امتلأت قلوبهم بالحفيظة والضغن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وثارت نفوسهم للزعامة التي سلبوها ، فوقعوا بين تيار الأغلبية الإسلامية الجارف وبين رغائبهم الواسعة وعقوباتهم العتيدة ، فانتحى بعضهم ناحية العداوة الصريحة وعلى رأس هذا البعض أبو عامر عبد عمرو ابن صيفي بن مالك بن النعمان من رؤساء الأوس ، وانتحى البعض الآخر ناحية النفاق والتظاهر بالإسلام تقية من القتل ورغبة في التربص للمسلمين والايقاع بهم ، وعلى رأس هذا

الفريق عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان ينتظر تاج الملك
والذي أصبح فيما بعد رأس المنافقين وزعيمهم .

أبو عامر الطائي أما أبو عامر فكان قد تهرب قبل
النبوة وزعم أنه ينتظر النبي المبعوث ، وصار يذكر للناس كثيراً من
صفاته ويقول لهم قد قرب خروجه ، فلما هاجر صلى الله عليه
وسلم إلى المدينة ، واتضح صفاته للأنصار واتبعوه ، حسده
أبو عامر وأنكر نبوته . وأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قدم المدينة فقال ما هذا الدين الذي جئت به ؟ فقال :
جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال فأنا عليها . فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إنك لست عليها ، قال بلى ، قال إنك أدخلت
يا محمد في الحنيفية ما ليس منها . قال ما فعلت ولكني جئت بها
بيضاء نقية . قال الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً —
يعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم أى إنك جئت بها كذلك .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فمن كذب ففعل الله
تعالى ذلك به . فكان هو ذلك عدو الله خرج إلى مكة مباعداً
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يقيم بالمدينة وهو بها . فلما
تتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج إلى الطائف .

فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فات بها طريداً غريباً
وحيداً .

أبو عامر الفاسق في أحد وكان من مهازل غروره أنه
لما خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم
استصحب أتباعه الذين يعتز بهم وكان عددهم خمسة عشر رجلاً
وقيل خمسين غلاماً من الأوس . وذهب يغرر بقريش ويعدم
أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الجيشان
يوم أحد كان أول من لقي جيش الأنصار أبو عامر في الأحابيش
وعبيد أهل مكة فتأدى يا معشر الأوس أنا أبو عامر ، قالوا فلا
أنعم الله بك هيناً يا فاسق . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سماء الفاسق بدلاً من الراهب . فلما سمع ردهم عليه قال لقد
أصاب قومي بعدى شر ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم
بالحجارة . وهو الذى حفر الحفائر ليقع فيها المسلمون يوم أحد
. ووقع فى إحداها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن غريب الأمر أن ابنه حنظلة كان صادق الإيمان
موثقاً زوجاً لجميلة بنت عبد الله بن أبي وكانت هى وعبد الله

ابن عبد الله بن أبي بن سلول مؤمنين صادق الإيمان واستشهد
حنظلة يوم أحد .

عبد الله بن أبي أما عبد الله بن أبي بن سلول فكان
شأنه في الضغينة والحقد للمسلمين ولنبي صلى الله عليه وسلم
أشد من أبي طاهر الفاسق ولكنه لم ير أن يلجأ إلى هذه
الاشكال العنيفة . وكان من طبيعته وما عرف عنه في سابق أمره
لبن المريكة بحيث يتشكل للظروف كيفما كانت . فاضطر بادىء
الأمر إزاء إسلام الغالبية من قومه وعشيرته أن يدخل في
الحلف باقياً على شركه ، وأن يتظاهر بالود والمناصرة داخل
شروط الحلف - بيد أن أتواناً من الحقد كان يتلظى في أعماق
نفسه . فهذا التاج الذي كانت تتلأأ خرزاته أمام هيبته في
يقظته ومنامه ، وهذا السلطان الذي كان يبنى نفسه به ليصل إلى
مصاف الملوك من آل غسان والمناذرة وكندة واليمن - ذهب
كل ذلك جفاء فطار عقله من أجله شعاعاً ، والتاعت نفسه حسرة
عليه أشد اللوعة . وخيل إليه أنه واسع الحيلة قادر أن يذتير
الفرصة إذا صنعت أو يخلقها إذا لم تسنح فيقضى على من اعتقد
أنهم حرموه التاج والسلطة . على أنه لم يجد لديه للوصول إلى

يغيبته إلا أمرين : أحدهما أن يجمع شتات الذين لم يدخلوا في الدين الجديد من الأوس والخزرج ويضم إليهم يهود المدينة من بنى قينقاع وقريظة والنضير ، والثاني أن يستعين بالزعة القبلية ليوحد الفتنة بين المسلمين أو بينهم وبين القبائل الأخرى عند ما تكون مصلحته في ذلك . وقد لقي ابن أبي من كثير من الأوس والخزرج واليهود آذاناً صاغية ونجح إلى حد ما في إيجاد فرقة للتجسس بين المسلمين بلغت ما يقرب من ثلاثمائة كان لبعضهم أعمال واضحة سوف نذكرها في مناسباتها ، ولكن ابن أبي كان العامود الفقري لهذه الفرقة ، والروح المدبر لأحداثها ، وكانت تدابير ومكائده أبرز ما فعله ذلك الحزب البغيض .

اشتغال ابن أبي بالبغاء ويحسن هنا أن نذكر عن ابن أبي أمراً من أعجب أمره ، فإن ذلك الرجل الذي كان يرى في نفسه الكفاية للملك ، وكان يهيء نفسه للتتويج وتقلد السلطة والحكم ، وكان يعتبر نفسه رأس الشرف في الخزرج والأوس ، هذا الرجل كان يشتغل قوادا يتاجر بالبغاء . فقد ورد أنه عندما دخل الإسلام المدينة كان لعبد الله ابن أبي ست جوار معاذة

ومسيك وأميمة وهرة وأروى وقتيلة يكرهن على البغاء
ومضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل قول الله تعالى : **وَلَا تَكْرَهُوا قِيَانَكُمْ عَلَى**

البغاء إن أردن تحصننا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا (سورة النور ٣٣)
كما روى أن عبد الله بن أبي أسر رجلا فراود الأسير جارية له
وكانت الجارية قد أسلمت فامتنعت لاسلامها وأكرهها ابن أبي على
ذلك رجاء أن تحمل من الأسير فيطلب فداء ولده كما روى عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء عبد الله ابن أبي إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه جارية من أجمل النساء تسمى معاذة
فقال يا رسول الله هذه لا يتام فلان أفلا نأمرها بالزنا فيصيرون
من مناقبها فتهاه النبي صل الله عليه وسلم عن ذلك فأعاد الكلام
فزلت الآية الكريمة . ومن ذلك يتضح أي رجل من أصناف
الرجال كان ابن أبي ، وأي شيء كانت ليونته وحله إلا ديوثية
عريقة ، وبرودا في الطبع ، ودناءة في الخلق . ومع ذلك كان
يعجبه من نفسه أنه كان قارع الطول حسن الجسم جميل الصورة
إلى حدود قل أن يشاركه فيها أحد . وكان يظن أن هذه السمات
من ميزات التي تخضع له الناس وتهيئه للزعامة والملك ، إلى أن

عنى على ذلك قول الله تعالى « وإذ أرايتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم » والمدروفا خذرهم قائلهم الله أني يؤفكون » سورة المنافقون آيتهم فأوصله في ميزاته التي يعجب بها إلى درجة الخشب المسندة التي لا ينتفع بها في شيء فتترك ملقاة على الحوائط أو الحجارة .

ابن أبي قبل تظاهرة بالاسلام ولم يبادر ابن أبي أول الأمر إلى إظهار الإسلام رياء ، ولكنه بقي على كفره مدة تقرب من سنة إذ أنه لم يظهر الإسلام إلا عقب موقعه بدر . ولم يفته أيضاً ذلك الأثر البالغ للظواهر الجديدة التي طرأت على المدينة وما تنطوي عليه من الخطر فرأى أن أسلم الطريق أن يتجاهل ذلك الخطر وأن يحاول التقليل من شأنه وشأن النبي صلى الله عليه وسلم وشأن المظاهر الجماعية للصلاة والأذان وبناء المسجد وغيرها . وكان له في شئون ذلك أحداث أراد بها أن تؤثر في سكان المدينة فلم تنتج أي أثر ولم تعد عليه إلا بالفشل .

ابن أبي أتماء دخول النبي المدينة فمن ذلك أنه عند شروع النبي صلى الله عليه وسلم في الانتقال من قباء إلى المدينة عرج على

عبد الله بن أبي يريد النزول عنده تألفاً له ، وكان جالساً محتجباً ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يريد النزول عنده ، قال اذهب إلى الذين دعوك وانزل عليهم . فقال له سعد بن عبادة يا رسول الله لا تجهد في نفسك من قوله ، فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه ، فلما رد بالحق الذي أعطاك الله شرق ، فذلك الذي فعل به ما رأيت . فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابن أبي أثناء مرور النبي صلى الله عليه وسلم بأطمه ومن ذلك أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عليه إكاف (برذعة بأداتها) وأردف خلفه أسامة بن زيد بن حارثة ، يعود سعد ابن عبادة رضى الله عنه من مرض أصابه في بني الحارث من الخزرج ، وذلك قبل موقعة بدر . فمر بعبد الله بن أبي وهو في ظل أطمه مزاحم ، وحوله أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود ، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة رضى الله عنه . فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فسلم ثم جلس قليلاً فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ، وذكر بالله وحذر ، وابن أبي زام لا يتكلم ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته قال : يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً

فاجلس في بيتك ، فمن جاءك له فحدثه إياه ، ومن لم يأتك فلا
تغته به ولا تأته في مجلسه بما يكره منه فقال عبد الله بن رواحه
يلي يا رسول الله فاغشنا به واثنتنا في مجالسنا ودورنا ويوتنا فهو
والله ما نحب وما أكرمنا الله به وهدانا له . واستب المسلمون
والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون النعال فلم يزل بهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى سكتوا . فقال عبد الله بن أبي حن
رأى من خلاف قومه ما رأى :

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل

تذل ويصرعك الذين تصارع

وهل ينهض البازي بغير جناحه

وإن جذ يوماً ريشه فهو واقع

وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته فدخل على سعد
ابن عباد وفي وجهه بعض الغضب ، فقال والله يا رسول الله
إني لأرى في وجهك شيئاً ، ولكأنك سمعت شيئاً تكرهه قال
ألم تسمع ما قال أبو حباب يعني عبد الله بن أبي ثم أخبره بما
قال ، فقال سعد يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جامنا الله

ملك وانا لتنظم له الخرز لتوجه فر الله إنه ليرى أن قد سلبته
حلكا .

عبد الله بن أبي وابنه عبد الله وزاد الأمر على عبد الله بن
أبي عند ما آمن ابنه عبد الله وصدق في إيمانه وصار يحاول أن
يهدى أباه إلى الإسلام . وصارت تقوم بين الأب وابنه
منازعات بين حين وآخر . ومن طريف ما ورد في ذلك أن
ابنه رضي الله عنه قال يوماً للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله ذرني أسقي والدي من وضوئك لعل قلبه أن يلين فتوضأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه فذهب به إلى أبيه فسقاه وقال
له هل تدري ما سقيتك قال نعم : سقيتني بول أمك قال لا
ولكن سقيتك بول النبي .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي في
جماعة فقال لقد آذانا ابن أبي كبشه في هذه البلاد (يعني النبي
صلى الله عليه وسلم) فسمعها ابنه عبد الله فاستأذن رسول الله
أن يأتيه برأسه فقال له صلى الله عليه وسلم لا ولكن برأباك .

اجتذاب ابن أبي للاعتراب وكان لعبد الله ابن أبي كغيره

من رؤساء القبائل أتباع يسرون وراءه حيثما سار . وقد بدأ ينثر شبابه ليضم أعداء الدين الجديد من اليهود وغيرهم . فتحالف سرّاً مع يهود المدينة على رغم تباین نزعاتهم القبلية ، كما جمع من استطاع استهواءه من حلفائه وأعدائه السابقين من عربان البدو الضاربين حول المدينة ، وأثبتت الأيام وجود هذه المحالفات السرية كما سيتضح فيما بعد ، وكان ابن أبي يانس لهذه الجروع أيما إيناس ، ويشق فيها كل الثقة ، ويرى أنها كفيلة باحداث ما كان يريد إحداثه من الفتنة .

محاولة إشعال الفتنة بين الأنصار ومن ذلك أنه وقع في بعض الأيام أن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أتيت عبد الله بن أبي بن سلول متألّفاً له ليمكون ذلك سيّداً لإسلامه ومن تخلف من قومه . فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وركب حماراً ، وانطلق المسلمون يمشون بين يديه فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال إليك عني والله لقد آذاني نثن حمارك فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك . فغضب لعبد الله نفر من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه

فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدى والتعال ، فنزل قوله تعالى
« وإن طائفتان من المؤمنين اقاتلتا فأصلحوا بينهما فإن
بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء
إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن
الله يحب للأقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين
أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » . (الحجرات ٩)

والثابت أن بعضاً من أهل المدينة قد أظهر الإسلام نفاقاً
قبل أن يظهره ابن أبي ، ولا يبعد أن يكون ذلك قد تم بإيعازهم
وتحت إرشاده ليضع في صغرف المسلمين وبين ثناياهم عيوناً
وأرصاداً تعينه على تحين الفرص وتهيئة التدابير ولكن
الأحداث توالى سراعاً فلم تترك له أى فرصة ، وأضاعت عليه
جهوده وتدابيره ، وقلبت رأساً على عقب ما ألفه وألفته العرب
حبيذاً من ارتكاز الأوضاع الاجتماعية على العصية القبلية ،
وهو الأمر الذى عقد عليه كل آماله والأفق الوحيد الذى لم
يتسع بصره أن يمتد إلى سواه .

أثر موقعة بدر

واسطرم أبي أبي

قوة الكفار في موقعة بدر كان أول ما هال ابن أبي وأحلافه ومن كانوا على شاكلته ما أحرز المسلمون من النصر في غزوة بدر، فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه من أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ليلقوا جيش قريش الذي كان يفوقهم في العدد ثلاثة أضعاف إذ كان يتألف من خمسين وتسعمائة مقاتل معهم مائة فرس عليها مائة درع غير دروع المشاة تفروا من مكة على الصعب والذلول في مظاهرة من الفخر، والقيان يضربن بالدقوف ويغنين بهجاء المسلمين - فطرب المنافقون وأحلافهم لذلك أيما طرب، وأيقنوا أنها النهاية لهذا الدين الجديد وأشياعه، وجعلوا يتوقعون الأخبار بهذه النهاية التي رسمها في رؤوسهم الأمل الكاذب والتي قال الله تعالى عنها في سورة الأنفال : : إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم

مرض فر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز
حكيم ، (الأنفال ١٩)

نتيجة الوقعة بالنسبة لليهود والمنافقين كانت موقعة بدر طعنة
شديدة في صدر ابن أبي وصدور أتباعه كما كانت طعنة شديدة
في صدور اليهود ، فأنى لهذا العدد الوجيز أن يكسر شوكة
قريش في أوج عزها وبالع قدرها وكثرة عددها وهي زعيمة
قبائل العرب ، ومعقل الشرف والقوة ، وإذن فقد أثبتت الموقعة
أن المسلمين قوة واسعة إن يحسب لها المنهزمون من قريش
حساباً ، فأولى بهذا الحساب أن يضاعفه المواطنون بالمدينة
والذين لا يرون الدخول في هذا الدين الجديد .

الارجاف الكاذب قبل عودة الجيئ ومن عجيب الأمر أن
تستعر الحفيظة في قلوب المنافقين فلا يكادون يسمعون صوت
رسل النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر حتى قلبوا البشارة إرجافاً
بالحزيمة . وتفصيل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل
عبد الله بن رواحة بشيراً لأهل العالية وزيد ابن حارثة بشيراً
لأهل السافة - وهما من أقسام المدينة - يبشران أهلها

بما فتح الله على المسلمين . وأركب زيد بن حارثة ناقته القصواء
أما كعب بن الأشرف اليهودي فصار يكذبهما ويقول ان كان
محمد قتل هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها . ولكن رجلاً
من المنافقين لجأ لا إلى التكذيب كما فعل اليهودي ، ولكنه
اخترع من رأسه رواية لا أصل لها وصار يرجف بها في المدينة
ولقي أبا لبابة رضي الله عنه وقال له : قد تفرق أصحابكم تفرقاً
لا يجتمعون معه أبداً ، قد قتل محمد وغالب أصحابه ، وهذه ناقته عليها
زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب ، قال أسامة بن زيد
فبلغني ذلك فجئت حتى خلوت بأبي وسألته عما يقول الرجل
وقلت أحق ما تقول ؟ قال إي والله إنه لحق ما أقول يا بني
فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف
برسول الله لنقدمك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك
فقال إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه .

تظاهر بن أبي بالاء على أن تلك الأراجيف السخيفة لم
تكن لتغير شيئاً من الحقيقة ولا أن تحجب النتائج التي أحدثتها
موقعة بدر ، وأعلنت لجميع بلاد العرب ما للمسلمين من القوة ،
فأسلم كثير ممن لم يسلم من أهل المدينة من الأوس والخزرج

واليهود ، وانكسرت الاعداء واضطر عبد الله بن أبي بن سلول
 أن يذهب للنبي صلى الله عليه وسلم ويظهر إسلامه ، وبذلك بدأ
 حياة النفاق وتزعج مكاته وأرجاسه — وبدأ في الحال بالتقرب
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة عمه العباس رضي الله عنه
 وقد كان ضمن أسرى الموقعة إذ كان مع جيش قريش ، ولم يكن
 قد أعلن إسلامه ، وشد المسلمون وثاقه كبقية الأسرى فلما رجع
 النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واقتيد إليه الأسرى اقتدى
 العباس رضي الله عنه ثم أظهر إسلامه وأراد أن يسي
 صلى الله عليه وسلم أن يلبسه قميصاً وكان رجلاً فارغ الطول فلم
 يجدوا له قميصاً على طوله . فكساه عبد الله بن أبي قميصه لأن
 عبد الله بن أبي كان طويلاً كما مر . وكانت هذه أول لفظة منه
 يظن بها أنه يتغافل عقول المسلمين ويمتلك قلوبهم . ولم يكن لها
 أي أثر الا عند موته إذ أتى ابنه عبد الله وكان من فضلاء الصحابة
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب قميصه ليكفن أباه فيه وجاء
 بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه قميصه تطييباً لقلب
 ابنه وتأليفاً لبقية المنافقين ومكافأة لما فعله مع عمه العباس
 رضي الله عنه .

ابن أبي في موقعة بني قينقاع

خروج بني قينقاع من العمدة كانت الأيام شديدة العجالة على ابن أبي . وأنفاس النفاق بطبيعتها حيرى سريعة قل أن تهدأ زفراتها ، فزادتها هجلة الأيام سرعة واضطرابا . فما إن أظهر ابن أبي إسلامه عقب موقعة بدر ، وبينما هو يتلصص لنفسه مكمنا يتوارى إليه حتى يجمع شتات أمره ويفكر فيما هو صائر إليه ويضم إليه أشياعه ، حتى داهمه خطب فادح فيما حل بأحلافه القدماء يهود بني قينقاع إذ خرجوا على عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وحق عليهم العقاب واستحقوا الطرد من المدينة .

ووقف عبد الله بن أبي على شفير الحرج إذ كان بنو قينقاع أحلافا للخزرج من يوم بعث وقبله . فلم يجد بدا أن يطرح بعض أستار نفاقه وفاح من قلبه النفاق في شكل أثيم .

سب خروجهم ولم يكن سبب غدر هؤلاء اليهود إلا انحطاط الغرائز الانسانية وحب الفسق والمجون في شكل طائش ، فلم يكن لابن أبي أي عذر أن يتخذ أي مسلك للدفاع

عنهم . وكان من أمر هذا الغدر أن امرأة مسلمة كانت زوجة لأحد الأنصار المقيمين بالبدو ذهبت إلى سوق بني قينقاع ، وكانوا صاغة يقيمون بقسم من المدينة يقال له بطحان فيما يلي العالية ، فباعت إبلا وغنما لها ، ثم جلست إلى صائغ منهم ، فجعل جماعة منهم يراودونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فخله بشوكة وهي لا تشعر ، فلما قامت انكشفت سورتها فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستعصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتواثبوا من كل جهة ، فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم ومشي اثنان من رؤساء الخزرج وأحلاف بني قينقاع إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أحدهما عبادة ابن الصامت رضى الله عنه والثاني عبد الله ابن أبي وكان لعبادة من حلفهم مثل الذى لهم من عبد الله بن أبي فأما عبادة بن الصامت فخلعهم إلى رسول الله وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وأتولى الله

ورسوله والمؤمنين وأبرا من حلف الكفار وولايتهم . وأما
عبد الله بن أبي قتيب بحلفه مع اليهود وقال لسكني لا أبرا من
ولاء يهود إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرا من ولاية موالي
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب أرايت
الذي نفست به من ولاء يهود على عبادة فهو إليك دونه قال إذن
أفعل . وقد أنزل الله تعالى في ذلك :

د يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء
بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله
لا يهدي القوم الظالمين . فرى الذين في قلوبهم مرض
يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فمسى الله
أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا
في أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أ هؤلاء الذين
أقسموا بالله جهداً أيما نهم إنهم لكم خصموا أخصمهم
فأصبحوا خاسرين . يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم
عن دينه فسوف يأت الله به يوم الحجزم ويحبوه أولة على

المؤمنين أغرة على الكافرين مجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ، (المائدة ٥١-٥٦)

معدى اليهود ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني قينقاع وقال لهم : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النعمة - أي يبدر - وأسلموا فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى إليكم ، ولكنهم قد أخذتهم شدة الغرور فقالوا : يا محمد : إنك ترى أنا كقومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت لهم فرصة ، إنا والله لن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس ، فأنزل الله تعالى :

« قل للذين كفروا استغلبوا وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فتنة التقتل : فتنة تقتلوا »

في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم متباينين رأي العين والله
بؤيده ينصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

آل عمران ١١ - ١٣ ثم إن بني قينقاع تحصنوا في حصونهم وأطامهم وكانوا
يعتزون بها فصار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرم
خمس عشرة ليلة أشد الحصار من ١٥ شوال إلى أوائل ذي القعدة
وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، واستعمل على
المدينة أبا لبابة الانصاري . فغذف الله في قلوبهم الرعب . ولما
ضاق بهم الأمر وعلموا أنهم أخذوا ، لجئوا إلى تسليم أنفسهم
والنزول على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضوا عليه
أن يخلي سبيلهم وأن يجلوأ عن المدينة وأن لهم النساء والذرية
دون الأموال والسلاح . فأراد النبي صلى الله عليه وسلم قتالهم .

وهنا خرج عبد الله بن أبي لطفة عنهم
والاستشفاع لهم عند النبي صلى الله عليه وسلم في أصفق
أنواع الشفاعة وأجهر ضروب اللؤم وذلك أنه كلم النبي صلى الله
عليه وسلم وأخ عليه فقال : يا محمد أحسن في موالى ، فأعرض
عنه . فأدخل يده في جيب فخرج رسول الله من خلفه . فقال له

رسول الله ﷺ ويحك أرسلني ، و غضب حتى رآوا لوجهه سمرة
 وظللا لشدة غضبه ثم قال ، ويحك أرسلني ، فقال ، والله
 لا أرسلك حتى تحسن في موالى ، فأنهم عتروا ، وأنا امرؤ أخشى
 الدوائر وقد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدتم في غداة
 واحدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلوهم : لعنهم
 الله ولعنه معهم ، وتركهم من القتل وقال له : خذهم لا يارك
 الله لك فيهم ، ثم أمر أن يحملوا عن المدينة وكل باجلائهم عبادة
 ابن الصامت رضى الله عنه ، وأمهلم ثلاثة أيام . ولما انتهى اليوم
 الثالث سألوا عبادة أن يمهلم أكثر من ذلك فقال ، لا ولا
 ساعة واحدة ، . ومع ذلك فقد حاول ابن ابن يعاود
 الاستشفاع لهم ، وكانت له صفاة لا تمنعه من الالحاح . ولما
 وصل إلى مكان النبي صلى الله عليه وسلم وحاول الدخول إليه
 حجبته الصحابة ومنعوه من الدخول . فأراد أن يدخل عنوة ،
 ولكن أحدهم دفعه دفعة شديدة فاصطدم وجهه بالحائط وخرج
 وجهه ، فأنصرف مغضبا . وعند ذلك يقس لبني قينقاع كل
 لباس من بئسهم بالمدينة وقالوا لا نمكث في بلدة يفعل فيه

بأبي الحباب هذا ولا يتصر له . وتأهبوا للرحيل . وغير خاف
أنهم إنما خرجوا كرهاً ويأساً من كل محاولة ، وإنما ذكروا
ذلك مرضاة لعبد الله بن أبي بكيلون له النفاق قيراطاً
بصاع .

ابن أبي بعدا أساء بني قينقاع

أعمال متفرقة غلب ابن أبي على أمره بعد إجلاء بني قينقاع
ومرت سنة بين موقعة بدر وأحد لم يذكر التاريخ خلالها على
وجه التحديد فيما نعلم أموراً محدودة عن ابن أبي ؛ ولكنه
لا شك كان حثيثاً في عقد التحالف سرّاً بين أعداء الإسلام
وفي إنشاء حزبه أو طائوره الخامس حسب التسمية العصرية .
وقد وجد من الكثير آذاناً صاغية وقلوباً أثخنتها سهام الحفيظة
وسودتها سخائم الحقد والضغينة . وبدأوا يغشون مجالس
الرسول صلى الله عليه وسلم ويعلمون مكان المسلمين ، ونفوسهم
مملأى بالسخرية والحقد . وكانت علامات نفاقهم وسخريتهم
تتكشف للمسلمين بين آن وآخر ، فلا يستطيع المسلمون أن

يقطعوا عليهم طريق آثامهم وكبدهم ، لان التعاليم التي كانت
للنبي صلى الله عليه وسلم تقضى أن تقبل منهم علانيتهم وأن
توكل سرائرهم إلى الله . وقد كفاه الله فعلا شر تلك
السرائر .

ومن ذلك أن المنافقين خرجوا ذات يوم ومعهم عبد الله
ابن أبي فاستقبلهم قوم من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي
رضي الله عنهم . فقال ابن أبي لأصحابه : انظروا كيف ارد عنكم
هؤلاء السفهاء ، فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال : مرحباً
بالصديق سيد بني تيم ، وشيخ الإسلام ، وثاني رسول الله في
الغار ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ، ثم أخذ بيد عمر رضي الله
عنه وقال : مرحباً بسيد بني عدى الفاروق ، القوي في دين الله ،
الباذل نفسه وماله لرسول الله ، ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه ،
فقال : مرحباً بابن عم رسول الله وخخته ، وسيد بني هاشم
ما خلا رسول الله ، فقال له علي رضي الله عنه : اتق الله يا عبد
الله ولا تنافق ، فان المنافقين شر خليفة الله ، فقال له عبد الله
: مهلاً يا أبا الحسن أتقول لي هذا والله إن إيماننا بإيمانكم ،
ونصديقتنا كنصديقتكم ، ثم افترقوا فقال لأصحابه : كيف

رأيتوني فعلت ، فأتوا عليه خيرا ، فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت الآية :

« وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى

شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزون الله يستهزي

بهم ويمدحهم في طغيانهم يعمهون . أولئك الذين اشتروا الضلالة

بالحدي فأرجمت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (البقرة ١٤ وما بعدها)

ومهما يكن من أمر المنافقين وأعمالهم ومكائدهم ، فإن

الخطورة الكبرى كانت تظهر في أوقات الحرب . فقد ذهبوا

في الإيقاع بالمسلمين كل مذهب ، وتفتنوا في تدبير أسباب الهزيمة

ولهذا فقد رأيت أن أفصل أحداثهم في المواقع الحربية ، في كل

موقعة على حدة .

في موقعة أحد

اجلاء المؤمنين واختبارهم كانت موقعة أحد أولى المواقع التي كشفت عن المنافقين ، وفضحت كثيراً من مكائدهم ونواياهم وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم قوله :

« ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليضل عنكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، فأمنوا بالله ورسوله وإن تؤمنوا وتتنقوا فلکم أجر عظیم » . (آل عمران ١٧٩)

ولقد كان المنافقون مختلطين بين المسلمين اختلاطاً شديداً في شتى القبائل ، فاقترضت حكمة الله وسفته في خلقه أن يعلموا أكثر أمورهم بالاختبار والكسب ، لا بالاطلاع على الغيب ، وخفايا الأنفس ، ومكنونات الصدور . ولهذا كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، وعحق به المنافقين ، وكان

يوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهله
ولابته .

ظهور المنافقين الجماعى فى أحد لم يظهر شأن واضح جماعى
للمنافقين قبل يوم أحد ، سوى ما أحدثه عبد الله بن أبى بن
سلول عند إخراج يهود بنى قينقاع من المدينة ولكنه كان على
كل حال ظهوراً فردياً من ابن أبى . أما موقعة أحد ، فقد اجتمع
فيها مع ابن أبى عدد كبير من المنافقين ناهز الثلثمائة تميزوا
إذ ذلك بانحيازهم إليه ، ثم تخلفهم معه عن القتال . وقد كانت
خطوات المنافقين ومناوراتهم بزعامه ابن أبى مثالا للخديعة
والمكر السيئ . وجديرة بادخال الفشل فى ذلك الوقت المخرج
الذى به بدأت الموقعة ، ثم بالشهادة بالمسلمين لما أصابهم لما خالف
الرماة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

المشركون من قريش وعددهم فى أحد قصد المشركون من
قريش المدينة فى ثلاثة آلاف رجل ليأخذوا ثأرهم مما حدث
يوم بدر ، فنزلوا قريباً من جبل أحد يوم الأربعاء الثانى عشر
من شوال سنة ثلاث من الهجرة ، فأقاموا هناك يوم الخميس .

والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وقد أتاه الخبر بوصول ذلك الجيش . وسبق ذلك أن أنه صلى الله عليه وسلم كان قد رأى في منامه أن في سيفه ثلثة ، وأن بقرأ له تذييع ، وأنه أدخل يده في درع حصينه - فتأولها أن نقرأ من أصحابه يقتلون ، وأن رجلا من أهل بيته يصاب ، وأن الدرع الحصينة هي المدينة .

استشارة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه . أمام ذلك الخطر الدائم ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستشير أصحابه ، وخاصة كبار الأنصار رؤساء الأوس والخزرج ، ومن ضمنهم عبد الله بن أبي بن سلول .

والظاهر أن عبد الله بن أبي كان مشغولا في ذلك الوقت في تدبير السكيد للمسلمين وانتهاز الفرصة للقضاء عليهم ، فقد وافته الفرصة أيما موافاة ، وحضرت قريش ذات السطوة والقوة في عدد كبير وخيل كثير ، ومعهم النياق العوذ المطافيل ، والقيان والخنور ، وأنه لصاحب مكر وخديعة فماذا لو ساعدهم ليشتركوا مع الخزرج والأوس في نبش التاج ليضعوه فوق هامته .

ابن أبي في الاستشارة وقد واثته الفرصة أيضاً من جهة النبي

صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فقد أرسل إليه يستشيريه . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، بأذى ذى بدء ، أن يتحصنوا بالمدينة ، إلى أن يأتى إليها المشركون ، وقال لأصحابه : امكثوا بالمدينة فإن دخلها القوم ، قاتلناهم ورموا فوق البيوت ، وفى رواية أخرى . فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا شر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وقد كانت حجة هذا رأى واضحة من الجهة الحربية : فقد كانت المدينة محاطة بالمباني من كل ناحية كأنها الحصن ، ووافقه أكابر المهاجرين والأنصار .

ولما حضر ابن أبي ، ووجد نفسه لأول مرة موضع استشارة وثقة واهتمام ، ظن في نفسه أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين قد يغفلون عن نواياه . وأنهم قد غفروا له ما أحدثه بالأمس القريب عن يهود بنى قينقاع ، كما رأى أن تدبيره لا يتناقض في ظاهره مع رأى الرسول صلى الله عليه وسلم

وأكابر المهاجرين والأنصار . فالشبهة إذن بعيدة عنه فقال :
يا رسول الله ، أقم بالمدينة . لا تخرج إليهم ، لقد كنا يا رسول
الله نقاتل فيها ونجعل النساء والأطفال في هذه الصياصي ، ونجعل
معهم الحجارة ، ونشيك المدينة بالبنيان ، فتكون كالحصن من
كل ناحية . فاذا أقبل العدو رمته النسوة والأطفال بالحجارة ،
وقاتلناه بأسياقنا في السلك . إن مدينتنا يا رسول الله عذراء
ما فضت علينا قط ، وما دخل علينا عدو فيها إلا أصبناه ، وما
خرجنا إل عدو قط إلا أصاب منا ، فدعهم يا رسول الله ،
وأطعن في هذا الأمر ، فاني ورثت هذا الرأي عن أكابر قومي
وأهل الرأي منهم .

الرأي بالحرب خارج المدينة إلى جانب هذا الرأي شباب متحمسون

ورجال أحبوا لقاء العدو ، وغالبهم ممن أسف على ما فاتته يوم
بدر ، ونفوسهم تتحرق شوقا إلى قتال أهل الكفر والاستشهاد
في سبيل الله . فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا كنا نتمنى هذا
اليوم ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أننا جبننا عنهم ، وقال طائفة
من الأنصار على رأسهم سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه وهو

كبير الخزرج من المؤمنين ، إني لا أحب أن ترجع قريش إلى
قومها فيقولون حصرنا محمداً في صياصي يثرب وأطامها ، فتكون
هذه بجرته لقريش . وها هم هؤلاء قد وطئوا سعفنا ، فإذا لم
نذب عن عرضنا لم يزرع . وإن قريشاً قد مكثت حولاً تجمع
الجموع وتستجلب العرب من بواديها ومن تبعها من أحايشها
ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا بمساحتنا ،
أفيحسبوننا في بيوتنا وصياصينا ثم يرجعون وأفرين لم يكلموا ؟
لئن فعلنا لآزددنا جرأة ولشئنا الغارات علينا وأصابوا من
أطرافها ورضعوا العيون والأرصاد على مدينتنا ثم لقطعوا
الطريق علينا ، وقال النعمان بن مالك رضي الله تعالى عنه يرجو
الرسول صلى الله عليه وسلم في ضراعة وشوق إلى الموت في سبيل
الله ، يا رسول الله لا تحرمنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده
لأدخلنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولله ، فقال
أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا أفر يوم الزحف
فقال صلى الله عليه وسلم : صدقت ، وكان خاتمة هذا النقاش
أن قام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يؤيد الرأي الثاني

ويقول لابن أخيه الرسول عليه الصلاة والسلام : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاماً حتى أجادلهم بسيفي خارج المدينة . وهكذا انتهى الأمر بترجيح الرأي الثاني وهو الخروج لقتال المشركين من قريش ومن معهم خارج المدينة ، فوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كرهه ابتداءً ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

تخل الرأي الثاني وخروج بن أبي في كتيبة ومعها اليهود ورفض النبي لهم

لم ينجح ابن أبي في الفوز ببعيته ولكن أول الشر يطلب آخره ، وانخدع مرض لا ينفك آخذاً بخناتق صاحبه ، فعمد إلى كيد آخر ، فجمع كتيبة من ثلاثمائة مقاتل ممن كانوا على شاكلته في النفاق وضم إليهم جموعاً من اليهود ، وساروا مع جيش المسلمين ، حتى إذا وصلوا إلى مكان يدعى الشوط بين المدينة وأحد ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكتيبة ومن ضمنها اليهود فقال : ما هذا ، قالوا : حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول من يهود ، قال : وقد أسلموا ، فقبل . لا ، فقال : مروهم فليجمعوا إنا لا نتصر بأهل الكفر على أهل الشرك ، وردهم

فرجع عبد الله ابن أبي مخنفاً وتبعه من كانوا معه وقال عند ذاك :
 عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأى له ، ما ندرى علام نقتل
 أنفسنا ، ها هنا أيها الناس ، وقد عز ذلك على أحد الصحابة
 الأجلاء وهو عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضى الله
 عنهما وكان من عظماء الخزرج فتبعهم يقول : يا قوم أذكركم
 الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم ، وقتلوا في
 سبيل الله أو ادفعوا ، ونحو هذا من القول ، ولكن عبد الله
 ابن أبي ابتدع له عذراً سخيفاً إذ قال : ما أرى أن يكون
 قتال ، ولو علمنا أن يكون قتال لكننا معكم ، وهكذا أبي ومن
 معه إلا الانصراف ، فلما استعصوا عليه قال : أبعدكم الله أعداء
 الله فسيغنى الله نبيه عنكم ، ونزل في ذلك قوله تعالى :
 وما أمثالكم يوم التقى الجمعان فبأذن الله وليعلم
 المؤمنون ، وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في
 سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم
 للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس
 في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ،

غرض ابن أبي غير خاف ما اتخذ ابن أبي من ضروب التلون والنفاق ، ولم يذكر أحد صراحة ، ما كان ينتويه في نفسه . ولكن الأحداث التي وقعت تدل دلالة لا يعثرها شك أن ابن أبي رأى الفرصة سانحة للقضاء على المسلمين ، وذلك بأن يندس بينهم هو وتابعوه ومن على شاكلته . فلو أنهم تحصنوا بالمدينة لوجدوا عدواً كامناً بين أظهرهم ، يتربص بهم الدوائر ويمكن جيش الكفار عند ما يحمى وطيس القتال من الإيقاع بالمسلمين ، وليس أخطر على الجيوش من هذا الضرب من الجواسيس وهذه الفرق الخائنة . فلما فاتته هذا الكيد عمد إلى تكوين فرقة من تابعيه ومن اليهود الذين تضطرم في صدورهم نيران الحقد والغیظ بحجة الدفاع عن المدينة . وما كانت قریش تحارب غزواً لذات المدينة ، وإنما كانت تحارب المسلمين وتطلب القضاء عليهم ، أو تنشد على الأقل الثأر لقتلى القلب . ولكن ابن أبي حاول أن يدخل في روع الأنصار أن الحال تدعو إلى تضافر عناصر المدينة للذود عنها من الفاتحين ، وإذن فلم لا يشترك في ذلك اليهود من سكانها ، مع أنه يعلم في نفسه حق العلم أن قریشاً لم تفكر في فتح المدينة ولا في معاداة

أهلها ، وأنهم إذا ما بلغوا مأربهم من النار لا بد واجعون إلى قومهم ، تاركين المدينة لأهلها القـدماء وعلى رأسها ابن أبي ويكون له بذلك فضل التدبير فيصل إلى تاجه العزيز المزعوم . هكذا ظن ابن أبي وظن معه المنافقون وطمعوا فيها لا يكون وغاب عنهم ما كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات ما يفضح أمرهم ويكشف سترهم ، وإيماناً صادقاً في نفوس المسلمين تتلاشى أمام نوره غياهب الكفر والاحقاد .

محاولات ابن أبي ولم يياس ابن أبي إذ فشل في المحاولة الأولى فممد إلى محاولة ثانية : وذلك بأن هباً جيشاً من ثلاثمائة رقهه بعدد من أشياعه اليهود . وكان إدخال اليهود خدعة مكشوفة استتر عنها بادعاء الدفاع عن ذات المدينة من جميع أهلها . وفاته أنه عمل لا يتفق مع تعاليم الإسلام . فلما رفضه النبي صلى الله عليه وسلم عز ذلك الرفض على ابن أبي ويئس من تدبيره إذ لم يبق لديه من فرقته من يعتمد عليه في تنفيذ خططه ، وران على قلبه الضغن ، فلم يشأ أن يعود إلا بعد أن رمى بآخر سهم من سهام الفتنة فقال مقالته السابقة . وقد كادت

الفتنة أن تقع فعلاً ، وذلك أن طائفتين من الأنصار وهما بنو
حارثة من الأوس وبنو سلة من الخزرج لما رأوا انخزاله من
الجيش هموا بالانصراف وكانوا جناحى العسكر ثم عصمها
الله تعالى وأنزل فيهما ، إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ،
والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، آل عمران ١٢٢

ولنا أن نقاسم هنا كيف استطاع ابن أبي أن يستحضر
أولئك اليهود ؟ ومن أى القبائل كانوا ؟ ولماذا أطاعوه والتفوا
حوله ؟ وهل كانوا ينوون الدفاع عن المدينة حقاً ؟ وهل كان فى
هزمهم أن يكونوا عوناً للمسلمين على كفار قريش الذين
جاءوا للحرب ؟

سبب استحضار اليهود أما الطريقة التى استحضر بها ابن
أبى أولئك اليهود فلا بد أن حلفاً سرى انعقد من قبل بينه وبينهم
دعت إليه المصلحة المشتركة فى معاداة المسلمين والضعف الكامن
فى قلوبهم للرسول صلى الله عليه وسلم . ولا بد أن يكون
هؤلاء اليهود من قبيلتي بنى النضير وبنى قريظة ، لأن يهود بنى

قبتاع كانوا قد أجلوا عن المدينة ، وعجيب أن ينضم بنو النضير
وبنو قريظة إلى ابن أبي الحزرجي وقد كانوا من قبل أحلاف
اللاوس ضد الحزرج ، ولكن الضغينة المشتركة أملت ضرورة
هذا الحلف .

ضعف المنافقين وقد كان في وسع ابن أبي ألا يتعرض لهذا
الخطأ في عسكره فلا ينكشف أمره كما انكشف ، ولكن
الظاهر أن أشياءه على النفاق لم يكونوا على درجة من الجلد
والقوة بحيث يعتمد عليهم في الوصول إلى غرضه ، ولم يكن لديه
أى ثقة فيهم ، فأدخل إليه عدداً من أحلافه اليهود ممن قويت
شكيتهم واشتدت قوتهم ، ومن لهم دراية بحركات الجيوش ،
وهم وأن حالفوا الرسول صلى الله عليه وسلم في الظاهر إلا أنه
لم يكن يمنعهم من نقض حلفهم ذلك إلا الخوف - ولقد
نقضوه بعد ذلك وكان سبباً كافياً لإبعادهم - وهذا يعطينا فكرة
واضحة عن نوع المنافقين الذين كانوا ينضمون إلى زعامة ابن
أبي وكيف أنهم كانوا من الأذلاء صفار النفوس عديمي الهمة
لا يعتمد عليهم في أمر من الأمور .

غرض ابن أبي في إدخال القتل على المعسكر ولعل غرض ابن أبي من كل ذلك كان أن يصل إلى إدخال القتل في المعسكر حتى إذا التقى الجمعان انضم هو وجيشه إلى فريق المشركين في مناورة يكون مجرد حصولها من أخطر الحركات على جيش المسلمين ثم في إضغاف قوته المعنوية . نعم لم يرد فيما رواه المؤرخون عن ذلك قولاً صريحاً ولكن مقتضيات الظروف وأقوال ابن أبي وأعماله كانت كلها شواهد لا تحتفل الشك في سوء نياته وخبث تدبيره ، وإنما عصم المسلمين منها الإيمان الصادق وعدم التساهل في تعاليم الدين .

استدرار وجود بعض المنافقين في الجيش هل تظهر جيش المسلمين تماماً من أهل النفاق ؟ وبعبارة أخرى هل خلص من الجواسيس . تدل نصوص القرآن أن الجيش لم يخل من أهل النفاق ، نجد ذلك صريحاً فيما نزل من الآيات على أثر ما منى به المسلمون لما خالف الروما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتركوا . واقفهم وانكشف الجيش ، فانتبه المشركون هذه الفرصة وقاموا بحركة النفاق نشأ عنها قتل كثير في المسلمين ، وحرموا ثمرة النصر إلى آخر ما حدث في هذه الموقعة . فلما عادت صفوف

المسلمين إلى نظامها ، أنزل الله النعاس على المسلمين أمنة منه
ونعمة حتى نام أكثرهم ولم يغش هذا النعاس المنافقين . روى
البخارى عن أنس أن أبا طلحة قال : غشنا النعاس ونحن في
مصافنا يوم أحد ، فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ويسقط
وأخذه ، وقال الزبير بن العوام رضى الله عنه : لقد رأيتني مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف
وأرسل علينا النوم فما منا من أحد إلا ودقته في صدره ، فوالله
إنى لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير والنعاس يغشائى ، لو كان
لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا ، فنزل فى ذلك قوله تعالى
« ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نياما يغشى طائفة
منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون الله غير الحق
ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل إن
الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون
لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا ، قل لو كنتم
فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم
ولا يتلى الله ما فى صدوركم ولا يعص ما فى قلوبهم والله

عليه بذات الصدور ، آل عمران ١٥٤

الارجاف والعبادة بعد الموقعة كان هذا من بوادر موجة

الارجاف والشبهة وهي الدور الثاني الذي لعبه المنافقون عن نتائج هذه الموقعة . فقد اتهموا فرصة ما حدث للمسلمين بأحد وأطلقوا سهاماً من القيل والقال والمفتريات الكاذبة الممزوجة بالشبهة ، والتي مع ذلك لم تحدث أثراً في قلوب المؤمنين إلا أن يزدادوا إيماناً مع إيمانهم وإلا أن ينكشف أمر من في قلوبهم مرض . ولعل أشد ما وصل إليه الارجاف ما أشيع في العسكر من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم : أشاع ذلك مشرك خبيث من أريش يدعى ابن قننه فهب بعض المنافقين يقول : لو كان نبياً ما قتل فارجموا إلى دينكم الأول ، وقال جماعة منهم : ابعد لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجموا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ، وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة . ومن ظريف الأمر أن لقيتهم أم أيمن رضي الله عنها ، وكانت تسقى النحر حتى ، فجعلت تحشو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم هالك

المغزل فاغزل به . وهلم سيفك ، أما المؤمنون فلم يفكروا أحد منهم مثل هذا التفكير بل إنه روى أن أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما أنشأ يقول : يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه - ثبت على القتال كما ثبت عليه غيره من أهل الصدق . وقد أنزل الله تعالى في هذا الشأن رداً على المنافقين فقال : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين . آل عمران

شماتة المنافقين شمت المنافقون أيما شماتة بما أصاب المسلمين يوم أحد لكثرة القتلى ولقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم شمتوا أكثر من ذلك لما أصاب الرسول نفسه من الأذى والجراح حيث شج وجهه وكسرت رباعيته ودخل المغفر في شفته - وظن المنافقون أن المسلمين قد هزموا وغلّبوا على أمرهم ، وانحاز اليهم بعض اليهود وصاروا يقذفون أقبح القول . من ذلك أنهم قالوا : وما محمد إلا

طالب ملك ، ما أصيب بمثل هذا نبي قط : أصيب في بدنه
وأصيب في أصحابه ، كذلك قالوا : لو كافي من قتل منكم عندنا
ما قتل ، وقد أنزل الله تعالى في شأنهم ذلك : يا أيها الذين
آمَنُوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم ، إذا
ضربوا في الأرض أو كانوا غزى ، لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا ، ليجعل الله ذلك حمزة في قلوبهم ، والله يحكي
ويعلم ، والله بما تعملون بصير . ولئن قتلتم في سبيل الله
أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون . ولئن متم
أو قتلتم لآلى الله تحشرون « (آل عمران)

سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في عدم قتل المنافقين ظهر المشافقون
جلياً . وميزتهم الأحداث المتعاقبة ، ولما كان يفور على ألسنتهم
من تن النفاق ، فاستأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي
صلى الله عليه وسلم في قتل هؤلاء المنافقين فقال له الرسول
الكريم : أليس يظهرون شهادة ألا إله إلا الله وأنى رسول الله ،
قال عمر : بلى ولكن تعودا من السيف فقد بان أمرهم وأبدى

الله تعالى أضعافهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نهيت عن قتل من أظهر ذلك ، وهكذا كانت سياسة الصراحة والملاينة التي قضت على هذه السرذمة وفي هذا يخاطب الله تعالى نبيه الكريم بقوله فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القول لانقضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين . إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن ينخذلكم فئن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، آل عمران

ابن أبي وابه بعد أن أصيب أما ابن أبي فقد اضطرب عليه الأمر ، وتدافعت في قلبه أشتات النزعات من غرور وكبرياء وضيق مستعر ، وحقد زادت الحوادث شدة ، وزاد في بلائه أن ابنه وفلذة كبده عبد الله كان يؤمن بدعوة الإسلام إيماناً صادقاً ، وكان والده يود أن يجد فيه عضده المتين وساعده القوي ليعتمد عليه في تنفيذ رغباته ، وتديبره . وقد أصيب الابن في الموقعة ، وأثبتته الجراحة ، فرأى أبوه أن يوبخه لعله

يرجع مما يراه غياً ، وضار يشد عليه القول . وهنا يظهر الجمال من أدب الاسلام عن معاملة الوالدين : إذ سففه الابن رأى آية في أدب جميل حيث قال له ، الذي صنع الله لرسوله وللمسلمين خير ،

ابن أبي يحاول استعادة مركزه في صلاة الجمعة وحاول ابن أبي أن يستعيد مركزه وزعامته القبلية وخاصة أمام المسلمين ، فلم يعد كثيراً عن الصفاقة - وكان له مقام يقومه في صلاة الجمعة ، أقام نفسه فيه فلم ينكره عليه أحد ، تألفاً لقلبه ، ودرءاً لشربه ، وذلك بأن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس عند خطبة الجمعة ، يقصد بذلك أن يعلن للناس شرفه في قومه ورئاسته عليهم ، ويدخل الوم به على ذوى النفوس الضعيفة حتى لا ينسوا تلك الزعامة والرئاسة . فإذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لينخطب الناس قام ابن أبي فقال : أيها الناس : هذا رسول الله بين أظهركم ، أكرمكم الله وأهزمكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس . ولم تمنعه صفاقه أن يحاول ذلك عقب موقعة أحد ، وقام يفعل كما كان

ولكن المسلمين لم ينسوا له ما صنع وعودته بالناس والأقوال
التي صدرت عنه ، فأخذوا بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أي
عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج
بتخطي رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنا قلت بجرا (أمراً
عظيماً) أن قمت أشدد أمره ، فلقبه رجل من الأنصار بباب
المسجد فقال له : مالك ويلك ، قال ، قمت أشدد أمره فوثب على
رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني لكأنا قلت بجرا أن قمت
أشدد أمره ، قال : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ، قال
: والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

في غزوة بني النضير

دور المنافقين في الغزوة حدثت هذه الغزوة في السنة الرابعة

من الهجرة أي بعد سنة من موقعة أحد ، ولم يدخل المنافقون فيها دخولا فعليا ، ولم يحاولوا التجسس على المسلمين أو إيقاع الفتنة في عسكرهم ، ولكنهم مثلوا مهزلة سخيفة ، إن دلت على شيء فأنما تدل على اليأس وضيق الحيلة .

سب الغزوة سبق أن ذكرنا أن بني النضير كانوا إحدى

قبائل اليهود الثلاث بالمدينة - وظلوا بعد إجلاء بني قينقاع يعيشون في ضاحيتهم بالمدينة التي كان يقال لها زهرة يتمتعون بظل وارف من الأمن والطمانينة في كنف العهد الذي عقدوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو أنهم أقاموا على العهد ولكن الحفيظة والكفر دفعهم إلى محاولة الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذهب إليهم في نفر قليل من الصحابة دون العشرة منهم أبو بكر وعمر وعلي ليتشاور معهم في دية رجلين من بني عامر حلفاء بني النضير قتلها أحد الصحابة خطأ

فلما عرض ذلك الأمر ، قالوا نعم يا أبا القاسم نسينك على ما أحببت بما استعنت بنا عليه ، وقد آت لك أن تزورنا وأن تأتينا ، إجلس تطعم وترجع بحاجتك وقوم فقتشاور ونصلح أمرنا فيما جئنا به . فلما خلا بعضهم إلى بعض فطنوا لما كانوا في غفلة عنه ، ورأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إلى جوار جدار من بيوتهم ، فقال بعضهم لبعض : ه إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحال منفردا ، فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ، فقال أحد ساداتهم ، وهو عمرو ابن جحاش ، ه أنا لذلك . فاعترضهم سلام بن مشكم ، وكان من أحبارهم ، وقال : ه لا تفعلوا ، لئن فعلتم فوالله ليخبرن بما همتم به ، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه ، يا قوم أطيعوني هذه المرة وخالفوني الدهر ، ولكنهم لم يسمعوا له وصعد عمرو بن جحاش ليلقى الصخرة . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام مظهرا أنه يقضى حاجته حتى لا يفطنوا له ، وحتى لا يؤذوا أصحابه .

ورجع مسرعاً إلى المدينة ثم عاد إليه أصحابه فأخبرهم بما أراد به اليهود من الغدر ، وأرسل إليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، أن أخرجوا من بلدي فلا تسكنوني فيها وقد هممت بما هممت من الغدر ، - وأخبرهم بما هموا - فسكتوا ولم يقولوا حرفاً قال : ، ويقول لكم قد أجلكم عشراً فمن روى منكم بعد ذلك ضربت عنقه ، فراوا بآديء الأمر أن يخضعوا ، ومكثوا أياماً يتجهزون واكتروا من قبيلة بني أشجع إبلاً للرحيل عليها .

ما فعله ابن أبي علم ابن أبي ومن معه من المسافقين ذلك فعز عليهم أن يتضاءل أعداء المسلمين يوماً بعد يوم ، فأرسل ابن أبي وأربعة من رهطه من بني عمرو بن الحزرج وهم وديعة بن ثابت ومالك بن أبي فوقل وسويد وداعس إلى بني النضير ، أن ائبوا وتمنعوا ولا تخرجوا من دياركم فانا لن نسلحكم ، إن قوتلتهم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، وأرسل إليهم ابن أبي ، ألا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم ، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم ، وتدمكم قريظة وحلفاؤكم من

خطفان .

أعجب هذا القول حي بن أخطب زعيم بني النضير ، وظن قول ابن أبي سفيان . والواقع أن ابن أبي أرسل إلى بني قريظة لمعاونة بني النضير فرفضوا خوفاً على أنفسهم من نقض العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يقطع الأمل ولم يأبه للرفض ، وأرسل إلى بني النضير برسالة أملأ أن يحتمل في نجدتهم ونجدة غطفان كما وهم بعض النجدة من الصعاليك الملتفين حوله من المنافقين ، وداخله الغرور في نفسه وفيمن حاول أن تتصل أسبابه بأسبابهم .

اغترار اليهود بارشاد المنافقين ما كادت هذه الرسائل تصل

إلى مسامع حي بن أخطب حتى أعجبه وداخله الغرور ، ونسي أن الخزرج وعلى رأسها ابن أبي لم يكونوا يوماً من حلفائه ، وأن الدافع الذي دفع ابن أبي ومن معه إلى تلك الرسائل ، لم يكن عطفاً على بني النضير ولا حباً لهم ، وإنما هو الضغينة الكامنة في قلب ابن أبي للمسلمين . وكان الأقرب إلى حي أخطب — وهو سيد قومه الحمْصيف — أن يستوثق من وعود ابن أبي قبل

أن يعلن العصيان ، ولكن حصافته وعقله تضاد لا وتلاشياً في
نار الحفيظة والعداوة فعى عن حسن التبصر وأعلن قومه بعزمه
على العصيان . فاعترضه سلام بن مشكم أحد أجبازهم وقال له
: متك نفسك والله يا حي الباطل ، فان قول ابن أبي ليس
بشيء ، وإنما يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمداً
فيجلس في بيته ويتركك ، ألا ترى أنه أرسل إلى كعب بن أسد
القرظي سيد بني قريظة أن تمدكم بنوا قريظة فقال له لا ينقض
رجل واحد منا العهد ، فأيس من بني قريظة ، وأيضاً قد وعد
حلفاءه من بني قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا ونقضوا
العهد وحصروا أنفسهم في صياصيمهم (حصونهم) وانتظروا
ابن أبي فجلس في بيته وسار إليهم محمد حتى نزلوا على حكمه ،
فاذا كان ابن أبي لا ينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ،
ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الأوس في حروبهم . ولكن
حيأ أجابه : فأبى إلا عداوة محمد وإلا قتاله ، فقال له سلام

« فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهب أموالنا وشرقتا وحبى
 فرارينا مع قتل مقاتلينا ، ومع كل ما اتضح له من محبة رأى
 سلام بن مشكم فان حياً أبى إلا محاربة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وأعلن العصيان ، وتابعته على ذلك بنو النضير وقالوا له
 « أمرنا لأمرك تبع لن نخالفك ، فأرسل إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم « إنا لن نخرج من ديارنا فافعل ما بدا لك ،
 فكبر رسول الله وقال « حاربت يهود ، وصكبر المسلمون
 ونهشوا للحرب . وذهب النبي صلى الله عليه وسلم بالجيش إلى
 ضاحيتهم فحاصرم وتم له النصر ، وأخرجت بنو النضير من
 المدينة دون أن يهدوا نجدة من أى جهة برغم وعود ابن أبى
 الكاذبة ، واعتزلتهم قريظة ولم تعنهم ، كما اعتزلهم حلفاؤهم
 من غطفان .

اخلاف المنافقين لومودم وقد انتظروا بنو النضير طويلاً
 نجدة ابن أبى وصار هذا وقومه يرسلون إليهم فى أثناء
 الحرب « أن اثبتوا وتمنعوا ، وطال الانتظار فى غير طائل .

وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صوريا يقولان لحي : ه أين
نصر ابن أبي الذي زعمت ، فيقول : ما أصنع هي ملحمة كتبت
علينا . وقد أنزل الله تعالى في شأن هذه الغزوة سورة الحشر .
وفيها عن المنافقين قوله تعالى : ألم تر إلى الذين نافقوا
يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لأن
أخرجتم لنخرجن معهم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن
قوتلتهم لننصرنكم ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لن
أخرجوا لا يخرجون معهم ، وإن قوتلوا لا ينصرونهم ،
ولن نصروهم ليولن الأديار ثم لا ينصرون . لا أنتم أشد
رهبة في صدورهم من الله ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ،

ويستفاد من هذه الغزوة أمران : الأول أن عبد الله
ابن أبي بعد أن كان عدواً لليهود بنى النصير وقريظة من وقت
يوم بعث وقبله لحلفهم مع الإوس إذا حاربوه ، انقلب في هذه

الموقعة وصار حليفاً لهم . ومعنى هذا أن حلفا انعقد بين عبد الله ابن أبي وبين اليهود بعد إجلاء بني قينقاع . ولا بد أن ذلك الحلف قد انعقد سرّاً لمخالفته العهد الذي أبرمه يهود بني النضير وغيرهم مع النبي صلى الله عليه وسلم أول مقامه بالمدينة ألا يحاربوه ولا يظاهروا على المسلمين أحداً . ولا بد أن ذلك الحلف السرى لم يكن إلا لانتهاز أى فرصة للإيقاع بالمسلمين ، ولقد حاولوا ذلك فى موقعة أسد فرد الله كيدهم إلى نحورهم .

سبب وعود ابن أبي والأمر الثانى هو البحث فى عقلية ابن أبى ، فإن ما فعله فى غزوة بني النضير يدعونا إلى التشكك فى أمر عقلية وإلا فلما الذى حدا به إلى التخليص بيني النضير وهو يعلم عجزه وضعفه . ثم ما الذى منعه أن يساعدهم ، كما وعد ، بأى قدر ولو ضئيل ، والذي يقرب من الذهن أنه حاول جهده أن يجمع الأوباش من محبيه وأشياعه فخافوا على أنفسهم وذراريهم وأوكتوا تحت أقدامهم رأى ابن أبى حتى لا يتكشف أمرهم وهم يعلمون ألا قوة لهم على حرب المسلمين .

حزن المنافقين على بني النضير وقد حزن المنافقون وعلى

رأسهم ابن أبي أشد الحزن لانهم لم يبقوا في النضير والقضاء عليهم .
ولا شك أن خروجهم من المدينة كان نصراً عظيماً للمسلمين ،
حيث تطهرت المدينة من ركن كبير كان مركزاً للفتن
والفلاقل وكان يعتمد عليه ابن أبي في إحداث ما توسوس به
نفسه من الكيد كل الاعتماد .

في غزوة الخندق

تخاذل النفاقين لم يستفد ابن أبي من وعوده لبني النضير حتى لم يحاول أن يف بشيء منها إلا أن ضؤل في أعين أهل المدينة وحقر في نظر اليهود ، واستبان لهم أنه أصبح فارغا كالطبل الأجوف لا يستطيع أن يقوم بأى عمل . لذلك هرع نفر من يهود بني النضير وهم حيي بن أخطب وسلام بن مشكم وانضم إليهم جماعة من بني وائل منهم هوذة بن قيس الوائلي إلى مكة واستنجدوا بقريش ومن حولها من القبائل كبنى سليم وبني مرة وغيرهم حتى جمعوا جيشاً من عشرة آلاف مقاتل قاموا يعمون المدينة يزعمون أنهم بهذه الأحزاب يستأصلون المسلمين . فكان ذلك بلاء شديداً للمؤمنين ثبت في قلوبهم الإيمان ، وأظهر النفاق في قلوب المنافقين وإن كان ما أظهره في هذا الشأن لم يصل إلى أى عمل إيجابي وإنما قام دليلاً على ما وصل إليه المنافقون من الذلة والضعف والضعف .

سبب الفزوة : وبيان ذلك أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم لما سمع بما اجتمع عليه أمر الأحزاب من قريش وما حولها واليهود ضرب خندقاً حول المدينة . وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين وتشجيعاً لهم ، وأمرهم بالجد ، وأوعدهم النصر إن هم صبروا وأمرهم بالطاعة ، وخط لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها . أما المؤمنون المخلصون فقد دأبوا فيه وجدوا وصاروا يتنافسون في العمل سواء في ذلك المهاجرون والأنصار . وأما المنافقون الذين انحسروا في صفوف المسلمين فأبطأوا وتباطأوا في عملهم ، وجعلوا يعتذرون بالضعف ، ومن عمل منهم يعمل عملاً ضعیفاً ، ويتسللون إلى أهلهم بغير تخلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا إذنه . وجعل الرجل من المسلمين إذا نأبته النائبة من الحاجة التي لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في اللغو بحاجته فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، وعبه في الخير واحتساباً له . أنزل الله تعالى : **وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ**

يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنوك أو تلك
الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض
شأنهم فأذن — إن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله
غفور رحيم » النور ٢٢ ثم قال في حق المنافقين « لا تجملوا
دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ، قد يعلم الله
الذين يتسللون منكم لواداً ، فليعتذر الذين يخالفون عن
أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » النور ٢٣

النافقة من بعد بعض المعجزات وكان من معجزات النبي صلى

الله عليه وسلم في حفر الخندق ما روى عن البراء بن عازب
رضي الله عنه قال « عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ
فيها المعاول فاشتكيها ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ
المعول من سلمان رضي الله عنه فقال باسم الله عليه وسلم فجاء وأخذ
ثلثها وخرج نور أضواء ما بين لابتى المدينة فقال الله أكبر أعطيت
مفتاح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة من مكاني ،
ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فصرقت برقة من جهة فارمن

أضأت ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس
والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن أي مدائن كسرى
وفي رواية إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى من مكاني
هذا وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر
فسر المسلمون . ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر
وخرج نور فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني
لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة . . عند ذلك قال جمع
من المنافقين منهم معتب بن قشير : ألا تعجبون من محمد ، يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن
كسرى وأنها تفتح لكم ، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق
(الخوف) لا تستطيعون أن تبرزوا ،

قتل يهود بني قريظة العهد وعند ما وصلت قريش قرياً

من المدينة ، كان الخندق قد تم حفره ، وكان جيش المسلمين يبلغ
وهماء ثلاثة آلاف ، ولكن عدواً جديداً نشأ في ذلك الوقت
داخل المدينة ، قام على ألوية الغدر ونكث العهد : وذلك العدو
هو يهود بني قريظة ، إذ أنهم تقصروا في هذا الموقف فقط عهدهم
الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل

المدينة ، وإنما نقضوا العهد بسمى حيث وإلحاح شديد من حيي
ابن أخطب النضري حيث حضر الى كعب ابن أسد سيد بني
قريظة أثناء وجود الأحزاب حول المدينة ، وصار يمني الأمان
الباطلة ، ويفتل له في الذروة والغارب الى أن نقض العهد -
وكان ذلك من أخطر العمليات إذ أصبح المسلمون بين عدوين
عدو بطرق المدينة ليس بينه وبينها غير الخندق ، والآخر
يتغلغل في أحشائها ، وهو بهذا الوضع أقدر على الإيقاع
بالمسلمين .

سخرة المنافق ومع ذلك كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم حينما يرى ما بهم من
كرب : « أبشروا بعون الله ونصره . إني لأرجو أن أطوف
بالبیت العتيق وأخذ المفتاح وإلهلكن كسرى وقیصر ولتنفقن
أموالهما في سبيل الله ، هذا والمنافقون يسخرون من كل ذلك
ملء أشداقهم ويقولون ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا . »

استعداد الخوف والبلاء وعظم البلاء على المسلمين ، واشتد
الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ، ومن أسفل منهم حتى ظن

المؤمنون كل ظن ، وزادت شدة المنافقين وحصار معتب بن قشير يقول : « كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وحتى قال منافق آخر هو أوس بن قبظي ، من بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله وإن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك على ملا من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج إلى دارنا فأنها خارج المدينة وقد نزل في ذلك قوله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا : وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي : يقولون إن : « وتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا . ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا ، والآيات التي نالها .

عدم ظهور ابن أبي في هذه الحوادث لم يظهر لابن أبي أي شأن في هذه الواقعة ولم يرد له أي ذكر ، والظاهر أنه كان

في شغل وتدبير يراقب نتيجة الاحزاب عن كذب ، وآثر ألا يظهر على مسرح الحوادث إلا اذا رأى الفرصة مواتية وتأكد من نجاحها . ولكن حصار المدينة لم يطل أكثر من بضعة وعشرين ليلة أى ما يقرب من شهر ثم أرسل الله تعالى ريحاً وجنوداً عصفت بالاحزاب وشتت شملهم ، وأزاحتهم عن المدينة ، وباء بنو قريظة بما كسبوا إذ حاصرهم المسلمون واختاروا حكماً حليفهم سعد بن معاذ رضى الله عنه وكانوا يأملون أن ينقذهم كما أنقذ ابن أبى بنى قينقاع ولكنه حكم بقتلهم فقتلوا .

في غزوة بني المصطلق

دوران هجمات المنافقين فيها أصبح ابن أبي بعد

أن ينس من تديره ومكايد في الحرب ، وبعد اخراج اليهود
وتضائل أعداء المسلمين ، يمثل هو وأشياعه دور التابع الذليل
واكتفى من آماله ومآربه بالعمل في الظلام والتدخل هو
ومشايعه في زمر المسلمين .

وقد لعب المنافقون في غزوة بني المصطلق دورين هامين
كان لهما أثر كبير وهزة شديدة كادت أن تؤدي الى الفتنة لولا
أن الله تعالى عصم المسلمين ومن عليهم ورد كيد المنافقين الى
نحورهم ونضح أكاذيبهم . أما الدور الأول فهو بذر الفتنة بين
المهاجرين والانصار حتى كادوا أن يقتتلوا ومحاولة توسيع شقة
للخلاف بينهم لسبب تافه عارض . والدور الثاني اتهام السيدة

عائشة المبرأة الطاهرة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم إفا
وبهتاناً . وكان كلا الدورين بعد انتهاء الحرب واتصار
المسلمين .

سب خروج المنافقين في الغزوة خرج المنافقون في هذه الغزوة
في كثرة لم يخرجوا قط في مثلها ، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي
وزيد بن الصلت ، لا رغبة في الجهاد ، ولا طمعاً في إدخال
الفشل على جيش المسلمين ، ولكنهم كانوا يوقنون بنصر المسلمين
ولم تكن المسافة بعيدة بين المدينة وماء المريسيع حيث كانت
جموع بني المصطلق ، فرأوا أن يخرجوا ليصيبوا من الغنائم
وعرض الدنيا ، وليتظاهروا بمظهر المؤمنين المخلصين . وقد
صدق ظنهم ، وأنعم الله على المؤمنين بالنصر . وفي أثناء العودة
حدث حادث تافه فاذا بعبد الله بن أبي والمنافقين يظهر
بمظهرهم الحقيقي ، فاندفعت أسننتهم تخرج من أفواههم خبث
النفاق والفتنة .

الدور الاول وكان من أمر ذلك أن أجبرين للمسلمين

اختصم على الماء أحدهما من المهاجرين والثاني من الأنصار :
 الأول أجير لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من بنى غفار يقال
 له (جهجاه بن مسعود) ، والثاني سنان بن وبر الجهمى حليف
 بنى عوف من الخزرج . وقد ازدحم الاثنان على الماء فاقتتلا
 فضرب الأول الثانى فشجه وسال منه الدم ، فصاح الثانى
 يا للأنصار يا للخزرج وصاح الاول يا لكثانة يا لقريش ،
 فاقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح ، وكادت أن تكون
 فتنة عظيمة ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصياح فخرج
 وسأل وما بال دعوى الجاهلية ، فأخبر الخبر أن رجلاً من
 المهاجرين ضرب رجلاً من الأنصار فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم دعوها فإنها منتنة ، (أى دعوى الجاهلية وهى
 قولهم يا لفلان) ثم انحسم النزاع ، وترك المضروب حقه ،
 ومنسكت الفتنة ، وانطفأت نائرة الحرب .

محاولة توسيع الخلاف لسبب تافه لم يترك عبد الله بن أبى
 هذا الحادث التافه أن يمر تافهاً كما يجب ، ولكنه أثار الحفيظة
 الكامنة فى قلبه ، والنفاق الغائر فى نفسه ، فما رأى المهاجرين

والانصار يتواثبون ويتدافعون ، ويرفع بعضهم لبعض السلاح حتى انفلتت منه روابط الریاء ، وجعل يحاول استغلال ذلك التدافع أوقح استغلال وأشنع ، ليؤلب المهاجرين والانصار بعضهم على بعض ، لعل أن يكون في ذلك مفتاح لانفساد الآلفة والأخوة بينهم . فما أن علم بذلك الخلف وعنده رهط من قومه حتى غضب وقال : والله ما رأيت كاليوم مذلة ، أو قد فعلوها ، نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه (لقب من أسلم من المهاجرين لقبهم به المشركون لأنهم كانوا يلتحفون بالأزر الغلاظ) إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك ، والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما سمعت ، والله لن رجعتنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حضر وقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتهم بلادكم ، وقاسمتهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير بلادكم ، ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا فقتلتم دونه (يعنى النبي صلى الله عليه وسلم) فأيتهم أولادكم ، وقللتم وكثروا ، فلا تنفقوا

عليهم حتى يتفَضُّوا من عند محمد .

لغة خبيثة مشحونة بفتيل الفتنة كان من شأنها مع النعرة القبلية الجاهلية أن يتضرم لبيها سعيراً فاتكا جارفاً ، وفاته أن الإيمان قضى على تلك النعرة ، وأرجع الأمور إلى طباتعها ، وردّها إلى نصابها ولذلك لم يحدث ما أراد ابن أبي من الفتنة ، وفاض نور النبوة وهدى الإيمان ، فاذا الفريقان مؤتلفان .

زيد بن أرقم يروى أقوال ابن أبي كان من بين القوم الذين

أطلق ابن أبي لسانه أمامهم غلام صغير هو زيد بن أرقم رضى الله عنه لم يحسب له القوم حساباً لصغر سنه . وكان الغلام صادق الإيمان فلم يعجبه قول ابن أبي ، فذهب إلى مجلس رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده بعض المهاجرين والانصار منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فذكر الغلام المقالة لعمر فنقلها عمر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فدعاه الرسول وسأله الحديث فأعاده عليه ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وتغير

وجهه ، ولم يرد أن يؤكد الخبر منعاً للفتنة ، وقال لزيد : يا غلام
لعلك غضبت عليه قال والله يا رسول الله لقد سمعته منه قال
لعله أخطأ سمعك . وعند ذلك دلف إليه بعض الانصار وجعلوا
يعنفونه ويلومونه بقولهم إليه عمدت الى سيد قومك تقول عليه
ما لم يقل .

خرج الغلام وقد أصابه من الهم ما شدد عليه ، وجلس في
خبائه منكسراً حزيناً ، وجاء إليه عمه ليعنفه وقال له ما أردت
إلا أن كذبك رسول الله ومقتك . فقال زيد والله لقد سمعت
ما قال ولو سمعت هذه المقالة من أبي لنقلتها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم . واني أرجو أن ينزل الله على نبيه ما يصدق
حديثي .

اعتذار ابن أبي وحفه . وذهب بعض الانصار الذين سمعوا

قول النبي صلى الله عليه وسلم ورده على الغلام الى عبد الله
ابن أبي وقالوا له يا أبا الحباب إن كنت قلت ما نقل عنك
فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فليستغفر لك ، ولا تجحده
فيقول فيك ما يكذبك ، وإن كنت لم نقله فانت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاعتذر له واحلف له ما قلته خلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئاً . ثم مضى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أرسل اليه ، فلما حضر عنده قال له : أنت صاحب الكلام الذى بلغنى منك فقال والذى أنزل عليك الكتاب ما قلت من ذلك شيئاً وإن زيدا لكاذب . فقال بعض من حضر من الانصار يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل وقال البعض الآخر يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام .

نحو الحديث ولم يفته الحادث عند هذا الحد فقد شاعت مقالة ابن أبى النخيثة وتناقلها الناس ، ولم يكن لهم حديث غيره طول اليوم . والظاهر أنه سبب للنبي صلى الله عليه وسلم غير قليل من الألم ، فهو يعلم حقيقة ابن أبى وأن إسلامه لم يكن إلا نفاقاً وأنه زعيم المنافقين . ولم يشأ النبي عليه السلام أن يغير السياسة التى اتخذها معهم . وقد حضر اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد قليل فوجده فى شجرة عنده غليم أسود يلمز ظهره (أى يكبسه) فقال له يا رسول الله : كأنك تشكى

ظهورك ، فقال : تفحمت في الناقة ، (أي ألقني) الليلة ، فقال له
 عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ائذن لي أن أضرب عنق ابن
 أبي ، أو إن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصارياً ، فقال
 له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ترعد له إذن أنف كثيرة
 يشرب ، ثم كيف اذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه
 ولا يكن أذن بالرحيل ، وكان ذلك في ساعة لم يكن يترحل فيها
 لشدة الحر ، ولكنه أراد أن يشغل الناس بالرحيل والسفر عن
 كثرة القيل والقال .

عبد الله بن عبد الله ابن أبي يعرض على النبي أن يقتل أباه وقد فشا

أيضاً ذلك الحديث ، فلما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي مقالة
 عمر عن قتل أبيه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 له : يا رسول الله قد بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي (يعني
 والده) فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فرني أن أحمل لك
 رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني
 وإني لأخشى يا رسول الله أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني
 فهي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار .

عظمته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : بل تترفق به
وتحسن صحبته ما بقي بين أظهرنا .

الامر بالرجل في ساعة منكورة وقد ارتحل الناس وساروا
امثالاً لامر النبي صلى الله عليه وسلم ، وعند مسيرهم أتاه أسيد
ابن حضير سيد الأوس وحياة بتحية النبوة قائلاً : السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ثم قال له : يا نبي الله لقد
رحلت في ساعة منكورة ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ، فقال
: أي صاحب يا رسول الله ، قال : عبد الله بن أبي بن سلول ،
قال : وما قال ، قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعر
ض منها الأذل ، قال : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ،
هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال يا رسول الله إرفق به
فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظّمون لك النعز ليتوجوه
فانه ليرى أنك استلبته ملكاً .

السيرة المثبتة ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم سيراً
حقيقاً ومباركاً يضرب راحلته بالسيوط في مراقبها (ماريق من جلد

أسفل البطن) وساروا يومهم ذلك حتى أمسوا وليلتهم حتى أصبحوا وصدر ذلك اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياماً — كل ذلك ليشتغل الناس بالسفر وشدة عن حديث ابن أبي .

تزل الفرائد سورة المنافقين وعند اقترابهم من المدينة

أنزل الله تعالى سورة المنافقين ، وفيها تكذيب صريح لعبد الله ابن أبي وتصديق لزيد بن أرقم — قال زيد رضى الله عنه « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذه البرحاء ويعرق جبينه الشريف وتثقل يدا راحلته فقلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى إليه ؛ ورجوت أن ينزل الله تصديقي . فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بأذنى ، وأنا على راحلتي يرفعها الى السماء حتى ارتفعت عن مقعدى وهو يقول وعنت أذنك يا غلام وصدق الله حديثك وكذب المنافقين .

وقد بدأت السورة الكريمة بكشف بعض أفعال المنافقين من الكذب والجرأة على البهين الكاذبة وغرورهم باجسامهم

وأشكالهم وجهانهم ، ثم أعادت طرفاً من أقوال ابن أبي مع
الزد عليها في سخرية لاذعة وحكم قاطع حاسم . يقول الله عز وجل
« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم
كانهم خشب مستندة ، يمحسون كل صيحة عليهم ، هم العدو
فاحذرهم ، فاتاهم الله ، أتى يؤفكون » الى أن قال « هم
الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
وإنه خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون
يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجننا من الأعراس منها الأذل
والله المنة والرسول والمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون » .

ماتة يوم ابن أبي لهو وعنه ولما نزلت السورة صار قوم

عبد الله بن أبي يعاتبونه ويعنفونه ، ولما بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بنقض قومه له ومعاتبته إياه ، قال لعمر : كيف
تري يا عمر إني والله لو بخلت يوم قلت لأرعدت له أنوف لو

أمرتها اليوم بقتله لقتلته ، فقال عمر رضى الله عنه : قد والله غلبت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمرى ، ثم إن أصحاب ابن أبى من قومه من المسلمين شددوا عليه وقالوا له اذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه وقال : أمرتمونى أن أومن فآمنت ، وأمرتمونى أن أعطى زكاة أموالى فأعطيت ، فما بقى إلا أن أسجد لحمد ، وفى ذلك قال الله تعالى : وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ، سواء عليهم أاستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين .

عبد الله بن عبد الله ابن أبى يعترض أباه ولما وصل الجيش الى وادى العقيق قريباً من المدينة تقدم عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول وجعل يتصفح الركاب حتى مر أبوه فأتاخ به ثم وطىء على يد راحلته ، فقال له أبوه : ويلك ما تريد يا لكع ، فقال : والله لا تدخلها (يعنى المدينة) حتى تقرأ أنك الذليل وابن رسول الله هو العزيز ، وحتى يأذن لك رسول الله لنعلم الاعز

من الأذل : أنت أو رسول الله ، فقال له أبوه ، أنت من بين الناس ، قال ، أنا من بين الناس ، فلم يجد مناصاً إلا أن يخضع ويقر بمذلة وصار يقول ، لا أنا أذل من الصبيان ، لا أنا أذل من النساء ، وظل محبوساً عن التقدم والمسير حتى وصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى ابنه أن خل عنه .

• • •

الحادث الثاني حديث الأول انتهينا من الحادث الأول ، أما

الحادث الثاني فينحصر في تلقيق ابن أبي حديث الأفك ، وهو الكذب على السيدة عائشة الصديقة المبرأة الطاهرة رضي الله عنها واتهامها بالزنا ، وقد أدار ابن أبي هذا الحديث وتولى إشاعته وأظهر في ذلك من المهارة الطائشة الدنيئة ما أحدث فتنة كبيرة وسب للنبي صلى الله عليه وسلم وزوجه المطهرة غير قليل من الأذى .

سبب الحديث كانت السيدة عائشة رضى الله عنها مع النبي

صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق . ولما دنوا من المدينة في أويلهم اليها من الغزوة أذن ليلة بالرحيل فذهبت بعيداً عن الجيش لقضاء حاجتها فلما عادت افتقدت عقداً لها فذهبت للبحث عنه حتى اذا عادت وجدت الركب قد سار وأنهم حملوا هودجها على بعيرها الذى كانت تركبه وهم يحسبون أنها فيه لحفة وزنها ، فظلت في مكانها وذهبت في النوم فوجدوها أحد الصحابة واسمه صفوان ابن معطل السلمي وكان متأخراً عن الجيش فظل يسترجع (بقول إنا لله وإنا إليه راجعون) الى أن استيقظت فأناخ لها بعيره وركبت حتى اذا كانوا عند دخول المدينة مرت على جماعة من المنافقين يتباعدون من الناس وفيهم ابن أبي قلسا رآها قال « من هذه » قالوا « عائشة » قال « ومن هذا » قالوا « صفوان » فقال « فجر بها ورب الكعبة » مانحاً منها ولا نجت منه » ؛ وصار يقول « امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت . وذهبت به العداوة الكامنة في قلبه أن أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم » وصار يدفع بعض أعدائه فيحدث عنده بحديث الافك فيقره

ويستنمعه ويستوشيه ويستخرجه بالبحث عنه لتكثر اشاعته ،
وأدار ذلك بمهارة فائقة ملؤها اللوم ، حتى استدرج اليه بعض
المستضعفين وحتى انزلق الى روايته بعض المسلمين مثل مسطح
ابن اثانة وحمزة بنت جحش . وظلت الاشاعة تدور من لسان
الى لسان حتى صارت مدار الحديث بالمدينة . وزاد الامر أن
مرضت السيدة عائشة بالحمى مرضاً شديداً عقب عودتها الى المدينة
أفبعدها أكثر من شهر وهي لا تعلم شيئاً من الحديث الذي
يدور حولها حتى برأها الله تعالى بما أنزل من القرآن عن هذا
الافك .

ابن أبي يتولى الحديث عقب الحادث الاول ومن أروع الامر
أن يحدث ابن أبي هذه الفتنة عقب فضيحته في الحادث الاول .
فما زجره ما نزل فيه من القرآن ولا تعنيف قومه له ولا ثبوت
الكذب عليه . ولعله استفاد من حجز ابنه له من دخول المدينة
حتى أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأخر بذلك عن
الركب فتمكن من رؤية السيدة عائشة رضى الله عنها ، فوجد
في ذلك فرصة تتفق مع طبيعته التي لم تمنعه من قبل ان يشتغل

هو أدا للبغايا ، فتلقفها واستغلها واشعلها فتنة طاغية لعلها كانت من أشد ما قام به من الفتن . وقد أدخلت هذه الفتنة آلاما كثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم وزوجه . وقد قصت السيدة عائشة رضى الله عنها هذه القصة بأسلوبها المحكم وبما صاحبها من ظروف ، في تصوير شديد الدقة والروعة . ولذلك نورد لها كما وردت في كتب السيرة .

قصة الافك على امان السيدة عائشة رضى الله عنها قالت عائشة

رضى عنها : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجى وأنزل فيه ، حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وجه قافلا حتى اذا دنونا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فقممت لبعض حاجتى حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلبست صدرى ، فاذا عقد لى من جزم ظفار قد انقطع وانسل من عنقى ولا أدرى ، فرجعت فلمست عقدى فى المحل الذى قضيت فيه حاجتى ، وحبسنى التماسه حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى ، الذين كانوا يرحلون لى

البعير ، فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب
 وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع فشده على البعير ولم يشكوا
 أنى فيه ، وكنت جارية حديثة السن ، وكان النساء إذ ذاك خفافا
 إنما يأكلن العلق ، لم يهجن اللحم فيثقلن ، وانطلقوا بالبعير
 فرجعت الى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطاق الناس ،
 فتلففت بجلبائى ، ثم اضطجعت فى مكانى ، وعرفت أن لو قد
 افتقدت لرجع إلى ، فأنى اضطجعت وقد غلبتنى عينى فممت ، وكان
 صفوان بن المعطل السامى قد تخلف عن العسكر لبعض حاجته
 فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى ، فأقبل ووقف على ، فعرفنى
 حين رآنى . وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وقال
 إنا لله وإنا إليه راجعون ، فاستيقظت باسترجاعه ، فخمرت
 وجهى بجلبائى ، قال ما خلفك يرحمك الله ، فما كلمته ، ثم أناخ
 ناقته فوطئ على يدها فركبتها ، واستأخر عنى ، فانطاق يقودنى
 الراحلة حتى أتينا الجيش فى نحر الظهيرة وهم نزول ، فلما نزلنا
 هلك من هلك بقول البهتان والافتراء ، والذى تولى كبره عبد الله
 ابن أبى بن سلول ، وكان أول من أشاع ذلك فارتعج (اضطرب
 وتحرك) العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة

فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني من ذلك شيء .
والناس يفيضون في قول أصحباب الأفك . وانتهى الحديث إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوي ، لا يذكر لي منه
قليلا ولا كثيرا ، إلا أنه كان يريني في وجهي أنني لا أجد من
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى فيه حين
أشتكي ، وكنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي ، فلم يفعل في
ذلك في شكواي تلك ، إنما كان يدخل علي فيسلم وعندى أمي
تمرضني ثم يقول كيف تيكم لا يزيد علي ذلك ثم ينصرف ، فذلك
الذي يريني ، حتى خرجت بعد ما نكحت ، فخرجت معي أم مسطح
(اسمها سلى بنت رهم بن المطالب بن عبد مناف وأما بنت صخر
بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه) قبل المناصع وكانت
متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن تتخذ
السكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب في البرية ، فانطلقت
أنا وأم مسطح ، فلما فرغنا من شأننا وأقبلنا عثرت أم مسطح في
مرعها ووقع السطل فقالت تعس مسطح فقالت لها بش ما قلت

أتسبين رجلاً شهد بديراً ، قالت يا هنتاه ! أو لم تسمى ما قال ، قلت وما قال . فأنخبرتني بقول أهل الألفك ، فازددت مرضاً على مرضي ، وأخذتني حمى نافضة ، فلما رجعت إلى بيتي مكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي ، ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعد أن سلم ، كيف تيسركم ، فقلت له يا رسول الله لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني ، وأنا أريد أن تثبت الخبر من قبل أبوي (لأن أمها كانت فارقتها لما فقحت من المرض وذهبت إلى بيتها) فقال لي لا عليك ، فبحثت أبوي وأرسل معي الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفلى وأبا بكر فوق يقرأ فقالت أمي . ما جاء بك . فقلت لأمي يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا لا تذكرين لي من ذلك شيئاً ، قالت أي بنية خفضي عليك الشأن فوالله لقلبا كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها ، فقلت سبحان الله ، ولقد تحدث الناس بهذا ، قالت نعم . قلت ورسول الله ، قالت نعم ، فاستعبرت وبكيت ، فسمع أبو بكر صوتي فنزل فقال لأمي ما شأنها فقالت بلغها الذي ذكر من شأنها ، ففاضت عيناه . فبكيت تلك الليلة

حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحللت بنوم في هذه الليلة كذلك . ولما أصبحت أصبح أبواي عندي يظنان أن البكاء فائق كبدى . فبينما هما جالسان عندي وأنا ابكى وهما يبكيان وأهل الدار يكونان فاستأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى ، فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثم جلس ، ولم يجلس عندي منذ قبل ما قيل ، وقد لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً لا يوحى اليه في شأني فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس وحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أما بعد يا عائشة ، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت فارقت سوماً مما يقول الناس فاستغفرى الله وتوبى اليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تعالى تاب الله عليه . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه بقطرة وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلما ، فقلت لأبى أجب رسول الله عنى ، قال فوالله ما أدرى ما أقول لرسول الله . فقلت لأمى أجبى رسول الله عنى ، فقالت ما أدرى ما أقول لرسول الله . فقلت وكنت جارية حديثة السن لا أقرأ

من القرآن كثيرًا : لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم
فلئن قلت لكم إني بريئة — والله يعلم أني بريئة — لاتصدقوني
بذلك ، ولئن اعترفت بأمر — والله يعلم أني منه بريئة —
لاتصدقني ، فوالله لا أجد لي ولكم إلا قول أبي يوسف عليهما
السلام — واتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه — إذ يقول :
فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، ثم تحولت فاضطجعت
على فراشي . فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه
ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي ، وأنا أعلم
أني بريئة وأن الله مبرئي ، ولكن والله ما ظننت أن الله تعالى
ينزل في شأني وحيًا يتلى ، وإيم الله لشأن في نفسي كان أحقر من
أن ينزل الله فيه قرآنًا يقرأ به في المساجد ويصلي به ، ولكني
قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا
في النوم يبرئني الله بها . وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه ،
ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل علي ، والله
ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله ، فيقال لنا في الإسلام ،
واقبل علي عائشة منضيا — فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان يأخذه عند نزول الوحي من البرحاء ، حتى إنه ليتخدر

منه العرق من الحمان ، فسجى بثوبه ، ووضعت له وسادة من آدم
تحت رأسه . قالت عائشة رضي الله عنها : فأما أنا حين رأيت من
ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت لاني عرفت أني بريئة وأن الله
تعالى غير ظالمى . وأما أبرار فوالذى نفس عائشة بيده ماسرى
هن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت اتخرجن أنفسهما
فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، فلما سرى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سرى عنه وهو يضحك ، وإنه
ليتحدّر منه العرق كالخمان ، فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم
فكان أول كلمة تكلم بها : يا عائشة أما إن الله قد براك فقالت
أى قوى اليه . فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد إلا الله .
وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم درعى فقلت بيده هكذا
أى أدفع يده عن درعى ، فأخذ أبو بكر النعل ليعملوني به ، فننعت
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : أقسمت عليك
لا تفعل . وأنزل الله تعالى : **وَإِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ**
عَصِيَّةٌ مِنْكُمْ لَا تُحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى

كبره منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إنك مبين - لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأوالتك عند الله هم الكاذبون - ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسلم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم - إذ تلاقونه بالسنتكم ، وتقولون أفراهمكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم - ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم يعظيكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين - ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ،

الفترة بين حديث الافك وآيات البراءة وظاهر أن الفترة التي

مرت بين أقوال أصحاب الافك وآيات البراءة كانت فترة شديدة على المسلمين ، اندلعت فيها السنة ملتظية من نيران الفتنة وأذت النبي صلى الله عليه وسلم حتى لقد استشار بعض أصحابه ، وحتى

استعذر من عبد الله بن أبي ، فلم تؤد الاستشارة إلى نتيجة ،
وكاد الاستعذار أن يتغلب إلى إثارة الفتنة والخلاف بين
الأوس والخزرج .

الاستشارة فأما استشارته صلى الله عليه وسلم فكان من
أمرها أنه استشار أولا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقال له
عمر : من زوجها لك يا رسول الله ، قال : الله تعالى ، قال
: أفترض أن الله قد دلس عليك فيها ، سبحانه هذا بهتان
عظيم ، ثم دعا على بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضوان الله
عليهما ليستأمرهما فى فراق أهله ، فأما أسامة فقال : أهلك
يا رسول الله ولا تعلم إلا خيرا وهذا الكذب والباطل ، وأما
على فإنه قال : يا رسول الله ، لم يضيق الله عليك ، إن النساء
لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وأن تسأل الجارية .
تصدقك ، يعنى بذلك بريرة رضى الله عنها لأنها كانت تخدم عائشة
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها . قالت عائشة
فقام إليها على بن أبي طالب فضر بها ضرباً شديداً ويقول أصدق
رسول الله ، وسألتها النبي صلى الله عليه وسلم : أى بريرة هل
رأيت من شيء يريك ، قالت بريرة : والذى بعثك بالحق

ما رأيت عليها أمراً أغمضه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن هجين أهلها فتأني الداجن فتأكله .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق ذلك يسأل زينب بنت جحش أم المؤمنين ، وهي التي كانت تسمى عائشة في المنزلة والمحبة والجمال ، عن أمرها : قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : « ماذا علمت أو رأيت ، فتقول : يا رسول الله : أحى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً . والله ما أكلها وإني لمهاجرتها ، وما أقول إلا الحق . »

الاستعداد وأما الاستعداد ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما طال أمر الاتهام وقبل أن تنزل آيات البراءة ، قام في الناس فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس : من يعذرني أن ينصفني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهل إلا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وأنا حاضر ، ولا غبت في سفر إلا غاب معي ، يقولون عليه غير الحق . فقام سعيد لاوس سعد بن معاذ وقال : يا رسول الله إن كان من الأوس

خربت عنقه ، وإن كان من اخواننا الخزرج فمرنا بأمرك ،
 هو الله إنهم لا أهل أن تضرب أعناقهم . فقام سعد بن عبادة
 سيد الخزرج ، وقد أجهلته الحمية ، فقال له : كذبت ، لعمر الله ،
 لا تقتله ولا تقدر على قتله ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك
 عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ،
 فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن
 عبادة : كذبت لعمر الله : لقتله وأنتك راغم ، وليكنك
 منافق تجادل عن المنافقين ، فثار الحيان الأوس والخزرج
 وتساوروا (قام بعضهم الى بعض) حتى هموا أن يقتتلوا ، لانه
 كان بين الحيين قبل الاسلام ما هو معروف من المشاحنة
 والمحاربة والمنافسة ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يخفضهم حتى سكنوا .

غرض ابن أمي من الحديث — ذكر من اتزاق اليه انتهى الحادث
 الثاني وهو قصة الافك ، ولعلها أروع ما قام به ابن أبي من
 الفتن ، لم يرع فيها حرمة ولا خلقاً ، وأخذ من فتون النشيع
 والقذف أخطأها وأذلها — وقد أراد أن يلوث عرض النبي

صلى الله عليه وسلم بهذه الشبهة الخبيثة المجرمة والناس بطبائعهم
يميلون الى تصديق أمثال هذا القذف ولا يأنهون لتحقيقه ،
وإن أرادوا تحقيقه عجزوا ، فترك المسألة بين الاستفهام
والشك مريضة تدخل الى القلوب الضعيفة ، وقد أراد ابن أبي
ذلك وعناه عناية واضحة - ومع كل لم ينزاق إلى الافك إلا عدد
ضئيل جداً ، وبقى المؤمنون على ثباتهم موقنين بالكذب هارئين
بملك المفتريات - هذه امرأة أبي أيوب خالد بن زيد رضى الله
عنهما تسأل زوجها أبا أيوب : ألا تسمع ما يقول الناس في
عائشة ، قال : بلى وذلك الكذب : أكنت يا أم أيوب فاعلة ،
قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك ،
ومع ذلك لم يعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي
على فعلته ، وتركه يأكل الحقد والضغن والكفر قلبه وقلوب
المؤمنين تفر منه ، والحزى والخذلان يحوطانه ، ونور الله إلى
تمامه ، والله متم نوره .

بعد غزوة بني المصطلق الى غزوة تبوك

ضعف المناقنين قوالت الاحداث والغزوات بعد غزوة بني المصطلق ، وكان النصر فيها للمسلمين . وانكمش المنافقون وعلى رأسهم ابن أبي الا ماما كان في من سيرهم الاخرى في حياة السلم ، والا أحداث فردية تافهة أثبتوا فيها روح الضعف والتبعية بشكل كان يتضاعف كلما مرت الايام . ومن ذلك بعض حوادث صغيرة حدثت يوم الحديبية وفي غزوة خيبر .

في صلح الحديبية أما في صلح الحديبية فقد ورد أن عبد الله ابن أبي والجد بن قيس كانا من الذين حضروا من المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين الحج فأزمنت قريش أن تمنعهم من دخول مكة وتجمعت للحرب . ثم تصالحوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعود عامه ذلك الى المدينة على أن يحضر في عامه القابل — وفي أثناء وجود النبي صلى الله

عليه وسلم بالحديبية وقبل التصالح بعثت قريش الى عبد الله بن أبي إن أحبيت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله : يا أبت أذكرك الله ألا تفضحننا في كل موطن ؛ تطوف ولم يطف رسول الله ؟ ، فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله .

ولما أن تقسام عن السبب الذي حدا بقريش أن ترسل اليه هذه الرسالة إلا أن تكون جامعة الكفر قد لدقت بين قلوبهم وأن المشركين من قريش كانوا يعجبون بأعمال النفاق التي كان يدبرها . ولكنه لم يحجب دعوة قريش لا حباً للمسلمين ولكن روح التبعية كانت قد أخذت من نفسه ولم تكن له فائدة في الخروج على قومه في غير بلاده ، ولذلك لم يمتنع عن قول السوء عند ما وجد الفرصة . من ذلك أنه حدث أن أصابهم مطر في الحديبية لم يبلغ أسفل نعالهم لئلا يقال ابن أبي : هذا نوء الخريف ، مطرنا بالشعري ، فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صلوا في رحالكم ، وقال بعد أن صلى بهم : أتدرون ما قال ربكم ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال

الله عز وجل : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر : فأما من قال
مطرنا برحمة من الله وفضله فهو مؤمن بالله وكافر
بالكواكب . ومن قال مطرنا بنوء كذا فهو مؤمن بالكواكب
كافر بي : (٥)

الشكوى من قلة الماء وما تم في ذلك وشكا المسلمون قلة

الماء في الحديبية ، وهي إذ ذاك قحالة قاحلة ليس بها إلا بئر قد
جفت مآثرها ونضب إلا قليل من الماء يترفضه الناس تربصاً ، ثم
لم يلبث حتى نزحوه . فلما بلغ الشكوى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكان الحر شديداً ، دعا ناجية بن الأعجم ودفع إليه
سهما من كنانته ودعا بدلو من ماء البئر فتوضأ ومضمض ثم ميج
الماء في الدلو ، ثم قال له انزل بالدلو في البئر وأثر ماءها بالسهم
فجعل وقار الماء كما يفور القدر حتى طمت واستوت بشفيرها .

(*) هذا عند الشافعية مكروه لا حرام لأن المراد بالإيمان شكر نعمة الله
حيث نسبها إلى الله والكفر كفران النعمة حيث نسبها لغيره . فان اعترف أن
النجم هو الفاعل كان الكفر فيه على حقيقته والأول إنما ينسب عنه لأنه كان
من أمر الجاهلية . والافهنا التركيب لا يقتضي أن يكون نوء كذا فعلا ومن
ثم لو قال مطرنا في نوء كذا وكذا أي في وقت نوء كذا لم يكره .

وصار المسلمون يغترفون من جوانبها حتى نهلوا عن آخرهم — وقد كان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم — وكان على البئر نفر من المنافقين منهم عبد الله بن أبي بن سلول فقال له أوس ابن خولى رضى الله عنه « ويحك يا أبا الحباب ، ما آن لك أن تبصر ما أنت عليه ، أبعد هذا شيء ؟ » فقال « إني رأيت مثل هذا ، فقال له أوس بن خولى رضى الله عنه « قبحك الله وقببح رأيك ، ثم أقبل عبد الله بن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله « يا أبا الحباب انى رأيت مثل ما رأيت اليوم ، قال « ما رأيت مثله قط ، قال « فلم قلت ما قلت ، فقل « يا رسول الله استغفر لى ، وقال ابنه عبد الله « يا رسول الله استغفر له ،

الجد بن قيس في الحديث وقد كان ضمن المنافقين في الحديث الجد بن قيس وقد روى عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أنه قال « بينما نحن جلوس قائلون إذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عمر بن الخطاب « للبيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فسرنا الى رسول الله وهو تحت شجرة فبايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وأنه إما الفتح

وإما الشهادة ولم يتخلف منا أحد إلا الجند بن قيس ، قال
 . لكأنني أنظر إليه لاصفاً بأبط ناقتة يستتر بها من الناس ،
 وكان يرمى بالنفاق وسيأتي أخبار له متصلة في غزوة تبوك .

المنافقون في خيبر وأما دور المنافقين في غزوة خيبر ، فلم
 يزد على حادث نأفه هو أن عبد الله بن أبي لهب علم عزم النبي
 صلى الله عليه وسلم على غزو خيبر أرسل إلى يهودها يخبرهم أن
 محمداً سائر إليكم فخذوا حذركم ، وأدخلوا أموالكم حصونكم ،
 وأخرجوا إلى قتاله ، ولا تخافوا منه ، إن عددكم كثير ، وقوم محمد
 شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم إلا قليل ، فكانوا يخرجون
 كل يوم ويصطفون صفوفاً ويقولون : محمد يغزونا هيبات
 هيبات ، فلما كانت الليلة التي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 صبيحتها بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ، ولم يصح لهم ذلك
 حتى طلعت الشمس ، فقاموا من نومهم وأقعدتهم تحفقي ، وفتحوا
 حصونهم وغدوا إلى أعمالهم ومعهم الفؤوس والمسامي والمكاتل
 (القفف) فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوا هاربين
 إلى آخر ما تم في حربهم .

١. هدم نأثر المنافقين بفتوح المسلمين وينتج من هذا أن ابن أبي
 أنعب نفسه في غير طائل ومع ذلك فلم يكن ليتنبه هو
 وأشياعه المنافقون إلى الوقائع المادية وفتوح المسلمين الناجحة
 فقد فتح الله للمسلمين مكة ودانت للنبي صلى الله عليه وسلم قریش
 وثقيف وهوازن بعد عداوتها وشدتها وغلظتها ، فلما وعد أمته
 ملك فارس والروم عاد المنافقون إلى التهمك والسخرية وشاركتهم
 اليهود وصاروا يقولون : هيبات هيبات من أين لمحمد ملك
 فارس والروم ، وهم أعز وأمنع من ذلك ، فنزل في ذلك قول
 الله تعالى : قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ،
 وتزعج الملك ممن تشاء ، وتجز من تشاء ، وتذل من
 تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير . تواجج الليل
 في النهار ، وتواجج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت
 وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب .

في غزوة تبوك

مميزات الغزوة - وسورة براءة امتازت غزوة تبوك بأنها قضيت القضاء الاخير على المنافقين وفضحت أعمالهم وأكاذيبهم . وكشفت عن أسرارهم ، وأوقفتهم مواقف الخزي والخذلان ، كذلك امتازت بما نزل عنها من القرآن ، ولقد نزل في ذلك سورة براءة وهي على طولها - حيث تقع في جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن - قد نزلت إلا آيات قليلة في شأن المنافقين في هذه الغزوة ، ولذلك سميت بالسورة الفاضحة والمبعثرة والخفارة قال سعيد بن جبير : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن سورة براءة قال تلك الفاضحة ، ما زال ينزل ومنهم ومنهم حتى خفنا ألا تدع أحداً (هـ) .

(*) قال الزمخشري في الكشاف أن سورة براءة لها عدة أسماء براءة والتربية والمفشقة والمبعثرة والمسرودة والخزبة والفاضحة والثيرة والخافرة والمكاة والمدممة وسورة العذاب . وقال ابن السبب في ذلك هو أن فيها التوبة على المؤمنين وأنها تفشش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر من أسرار المنافقين وتبعث عنها وتثيرها وتفرغ عنها وتفضحهم وتكلم بهم وتخرجهم وتخرجهم وتدمم عليهم .

المنافقون في سورة برادة ويحسن لمن يريد أن يتفهم أمر المنافقين بصفة عامة ، وفي هذه الغزوة بصفة خاصة ، أن يمعن في تلاوة هذه السورة ويكرر تلاوتها ، ففيها كنوز لا حصر لها من السياسة والحزم ودربة الحكم وكرم المعاملة ، وفيها كشف واسع لطباع اللؤم والخداع والحقد والحسد والصفقة ، وفيها تحذير وعيد وقوة كأروع ما يكون التحديد وأشد ما يكون الوعيد والقوة ، وفيها سخرية لاذعة بالنفاق وأهله وشدة لآزر المسلمين ، وفيها عتاب وتوبة لقليل من المؤمنين آثروا الدعة ولازموا الصديق ، وفيها غير ذلك معين لا ينضب من بدائع الاجتماع وروحه وروائع النفس الانسانية . ولعل ذلك راجع الى أن هذه الغزوة كانت آخر غزوات الرسول الكريم وقبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، فاقترضت حكمة الباري جل شأنه أن تكون مرجعاً وبجهاً لما يحتاج إليه الناس في هذه الشئون .

الأمير بالغزوة في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة أمر

النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه للتهيه لغزو الروم ، وكان ذلك الوقت صائفاً شديداً الحر ، فكان عسيراً على النفس أن تترك مقامها ودعتها ، وحين طاب لها الظل والثر ، لتشخص للصحراء الفاحلة والجذب المعدم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلباً يخرج في غزوة إلا كفى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصده إلا ما كان من أمر هذه الغزوة فإنه بينها للناس لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدو حتى يتأهبوا لذلك أهبطه ، فأمرهم بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم ، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العرب ليستنصرهم وحضر أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله .

كانت هذه الظروف القاسية محكا شديداً للإيمان وقوته ، فالإيمان الثابت القوى لا يعبأ بالمتاعب مهما شقت أن يخوضها في سبيل الله وبصحبة رسوله الكريم وتحت قيادته . ولذلك بادر أهل الثراء من المؤمنين بتقديم أنفسهم وأموالهم فأنفق عثمان ابن عفان نفقة عظيمة لم يتفق أحد مثلاً ، وأحضر أبو بكر جميع ماله وكان أربعة آلاف درهم ، وأحضر عمر بن الخطاب

تصف ماله ، وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية من الذهب ،
وجاء العباس بمال كثير وكذلك طلحة ، وجاء عاصم بن عدي
بسبعين وسقاً من التمر رضوان الله عليهم أجمعين - وبعث نساء
المؤمنين بكل ما قدرن عليه من حلين .

الثاقل الاول وقد أخذ بعض الناس في أول الأمر شيء من
الشاغل والتباطىء فوبخهم الله تعالى وعاب عليهم إيهام الدنيا على
الآخرة حيث أنزل : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ
انفروا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَضْتُمْ بِالْحَيَاةِ
لِلدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ .
إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبَكُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا
تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . إِلَّا تَنْصَرُّوهُ فَقَدْ
نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي الْغَارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا
(سورة غفره الآية من ٣٨ وما بعدها) وقد كانت هذه الآيات

حافزاً ألهب النفوس العامرة بالإيمان فذهب عنها ما كان قد ألم بها من الحرص على الدنيا والتشاغل عن القتال . وحرص جميع القادرين على السفر والجهاد لينضموا الى جيش الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدت درجة الحرص الى أن سبعة من الأنصار كانوا أهل حاجة وفقروا ذهبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يضمهم الى الجيش ويجد لهم ما يحملهم عليه ، فلم يوجد لهم ورجعوا باكين . وقد قبل الله عذرهم كما قبل عذر الضعفاء والمرضى وأنزل في ذلك قوله تعالى « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من مبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما أنوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون » (سورة براءة الآية ٩١ وما بعدها) وفي شأنهم روى أبو داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادياً إلا وهم معكم فيه ، قالوا : يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم العذر ، (٥) .

تصيد الأعذار كان طبيعياً أن ينكشف أمر المنافقين في وسط هذا التنافس الشديد ، فما لهم ولهذا الحر القاتل وقلوبهم

(*) هؤلاء السبعة هم : (١) سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف (٢) علي بن زيد من بني حارثة (٣) أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن النجار (٤) عمرو بن حاتم بن الجوح من بني سلمة (٥) عبد الله بن مغفل الزنى (٦) هرم بن عبد الله من بني واقف (٧) مرياض بن سارية الغزاوى . وقد لقب هؤلاء بالبكائين . وقد روى أن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل يبكيان فساءلها ما يبكيكما فالاجبتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعملنا فلم نجد عده ما يعملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما جملاً له كان يستقى عليه الماء فارتعلاه وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد روى أيضاً أن العباس رضى الله عنه حمل منهم اثنين آخرين .

خاوية من الايمان بالله ورسوله . ولذلك لم يكن لديهم بد أن يتخلفوا ، وصاروا يتصيدون الأعذار السخيفة والعلل الواهية هم عملوا على تثبيط همم المؤمنين .

التخلف أما التخلف فحينما ما ورد عن ذلك من الآيات في سورة براءة - وقد ورد عنه الشيء الكثير - من ذلك قوله تعالى (لو كان عرضاً قريباً ومشرقاً قاصداً لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيجعلنون بائناً لو استقطعنا خارجنا عنهم ، بهلكون أنفسهم ، والله يعلم أنهم لكاذبون) (الآية ٤٢ وما بعدها) (فرح المخلفون بمقعدتهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون . فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن نخرجوا معي أبداً ، ولن

تقاتلوا معي عدواً إنكم رخصيهم بالقعود أول مرة فاقعدوا
 مع الخالفين) (الآية ٨١ وما بعدها) وفي هذه السورة عدد
 كبير من آي الذكر الحكيم تصور ما كان عليه المنافقون في
 هذا التخلف من الصفاقة وسوء التدبير رغم الزجر الشديد
 الذي كان حتماً على القلوب الغافلة أن تستيقظ من سباتها
 لولا ما ذكره الباري جل وعلا أنه طبع على قلوبهم فهم
 لا يعلمون .

بعض أعذار التخلف ومن تلك الأعذار السخيفة أن الجد
 ابن قيس من بني سلمة حضر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
 وهو في جرازه لهذه الغزوة فقال له الرسول الكريم : يا جد
 هل لك العام في جلاد بني الأصفر ، (يعني الروم) فقال : يا رسول
 الله أو تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل
 أشد عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر
 ألا أصبر ، ولكن أعينك بمالي ، فأعرض عنه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك ، ولما علم ابنه قوله ذلك

لأبى أمية وقال له : « والله ما يمنعك إلا النفاق وسينزل الله فيك
 قرآنًا ، فأخذ نعله وضرب به وجهه . فأنزل الله في شأنه ذلك :
 « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ، ألا في الفتنة سقطوا
 وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ... » سورة براء: الآية ٤٩ وما بعدها
 ولما نزلت الآية قال له ابنه « ألم أقل لك ، فقال له أبوه :
 « اسكت يا لكع لأنك أشد على من محمد ، والحق الواضح أن
 النفاق كان ولا يزال ينزل بصاحبه إلى أسفل الدرجات . فما كان
 الجعد بن قيس ليتهم نفسه على كبر سنه بالافتتان بالنساء ، وما
 كان في سيرته شيء مما اتهم به نفسه ، ولكنه النفاق أبي إلا أن
 ينزل بالرجل فيؤثر التمرد عن قبول التكليف بهذه السخافة
 ويجعل منها عذراً للتخلف عن الجهاد في سبيل الله (٥) .

عزل المنافقين كان التخلف إذن فيصلا عزل الجزء
 الأكبر من المنافقين ، فإن المؤمن الصادق في إيمانه كان يجد في

(٥) يقال إن الجعد بن قيس تاب عن النفاق وحمى توبته وعاش إلى
 خلافة عثمان رضي الله عنه .

الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الدين لذة لا تعادلها لذة يتطلع
من خلالها للأمل الكبير ، وهو الاستشهاد في سبيل الله ، وقد
وعدهم الله الجزاء الأوفى . قال تعالى : ، ما كان لأهل المدينة
ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله
ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ذلك بأنهم لا يصيبهم
ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون
موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب
لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين - ولا
ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يمتطون وادياً إلا كتب
لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون
(سورة برائة الآية ١٣٠ وما بعدها) ولهذا قام المسلمون على بكرة
أيهم فاشتركوا في الغزوة إلا من ذكرنا من الضعفاء والمرضى
والمقلين ومن صرح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتخلف
لنسب معين . ولهذا بلغ جيش المسلمين في هذه الغزوة ثلاثين

ألفاً . ولم يتخلف من المسلمين الذين لا تشوبهم شائبة من النفاق أو ضعف الإيمان إلا أربعة أشخاص تخلفوا من غير شك ولا ارتياب في دينهم ، وهم : كعب بن مالك بن أبي كعب من بنى سلية ومرارة بن الربيع من بنى عمرو بن عوف وهلال ابن أمية من بنى واقف وأبو خيثمة مالك بن نيس من بنى سالم ابن عوف . أما الأخير فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأما الثلاثة فظلموا على تخلفهم وأن صدق إيمانهم أن يعتذروا للنبي صلى الله عليه وسلم كما اعتذر المنافقون ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتقاطعتهم ثم إبعاد نسائهم عنهم ثم تاب الله عليهم على تفصيل نوره فيما بعد .

ألف فرقة انشيط الهم كانت المدينة تعج في هذا الوقت

بالنفاق والمنافقين ، وكانت طائفتهم قد وصلت الى آخر ما قدر لها من العدد والتأمر حتى اتخذوا لأنفسهم مسجداً في قباء ضاحية المدينة . فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيب لهذه الغزوة وقعوا في أشد الحيرة والاضطراب ، وطفقوا يلتمسون المخرج من ذلك السفر الطويل في الصحراء المقفرة بين المدينة والشام

النادرة الماء. وفي أشد أيام الصيف القائظة . ووجدوا أن تخلفهم وحده غير كاف للخروج من ذلك الحرج فلبثوا إلى تأليف فرقة ههنا أن تثبط همم الناس عن الجهاد . وكان أفراد هذه الفرقة يجتمعون في بيت يهودى يدعى سويلام بمكان بالمدينة يدعى جاسوم ، يقول بعضهم لبعض : « أتخسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ، والله لكانهم (أى الصحابة) غداً مقرنون في الحبال . » وقد أرادوا أن يشيع هذا القول فسيكون فيه إرجاف وترهيب للمؤمنين . وقد روى ابن هشام أن هذه الفرقة كان من بينها وديعة بن ثابت من بنى عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبنى سلمة يقال له مخشن بن حمير . ويظهر أن هذا الأخير كان ممن استهوتهم الدعاية فلم تسترح نفسه لما سمعه من قول وديعة بن ثابت وفرقة وذلك حيث قال لما سمع ذلك : « والله لو ددت أن أقاضى على أن يضرب كل منا مائة جلدة وأنا تنقلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم فقال لعمار بن ياسر رضى الله عنه : « أدرك القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا ، فان أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعتذرون اليه ، وجاء وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، وجعل يقول وهو آخذ بحقيبها (حزام البطن) يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فانزل الله تعالى « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعمذب طائفة بأنهم كانوا محرمين » ^{براهنة ٦٥} وما بعد ما كان مخشن هو الذى عفى عنه فقال « يا رسول الله قعد بنى اسمى واسم أبى ، وتسمى عبد الرحمن وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى الباقرين طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم فقمصل طلحة فاقتحم أحدهم وكان اسمه الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم أصحابه وأفلتوا .

عدم الجدوى من الدعاية لما تفتج الدعاية المزورية ما أراد لها أصحابها من الارجاجاف وتثييط الهمم ، وظل المنافقون فى تردد

بين الحقوق والتخلف ولجأ أكثرهم الى الاعتذار والاستئذان والتعلل بالعلل الواهية . وكل ما يمكن أن تكون تلك الدعاية قد أحدثته هو التأثير في بعض الأعراب المقيمين في الصحراء المتاخمة للمدينة من قبائل غفار وأشجع وأسلم والمعاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم حضروا اليه واعتذروا ، وقد روى أن رهط عامر بن الطفيل قالوا : يا رسول الله لو غزونا معك أغارت أعراب طيء على حلاتنا وأولادنا ومواشينا فعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم . وقد أنزل الله تعالى في ذلك « وجاء المعتذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله » (- سورة براءة الآية ٩٠ وما بعدها)

ابن أديب رحمه الله من الدعاية لم يكن عبد الله بن أبي بعيداً عن هذه الدعاية ، ولا شك أنه كان مركزها الاساسى الذى تصدر عنه وروحها المدبر الذى تستمد منه قوامها . فلما بات بالفشل هسكر بنقر من المنافقين أسفل ثنية الوداع قريباً من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان على ذات الثنية ، حتى اذا

اجتمع معه نفر من قومه ومن كانوا على شاكلته والذين استهواهم بدعايته وغرهم بترهاته قال لهم : د يغزو محمد بنى الاصفر مع جند الحال والحر والبلد البعيد الى ما لا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر من اللعب والله لكأنى أنظر الى أصحابه مفرنين فى الحال ، ثم رجع بهم .

ينس البائس المفتون من أمره بعد أن فشلت دعايته التى أوهم نفسه حسن تدبيرها وأثرها ، فعاد الى طريقته القديمة التى سلكها يوم أحد ، فجمع الناس حتى احتشد نفر منهم تحت لوائه وظن أن فى مكتته أن يلهمهم بباطل مزخرف من القول . ولنا أن نتساءل عن السبب الذى دعا ابن أبى اللخروج أسفل ثنيه الوداع فى مقابل جيش المسلمين ؛ فإن الجهاد لم يكن من غرضه ' ما فى ذلك شك ، ولا بد أنه كان يرمى الى غرض آخر ، ولعل غرضه كان أن يجمع قومه ومن فى قلوبهم مرض ومن أمكنه إدخال التردد والشك الى نفوسهم ليضمروا رجوعهم وليرضى شهوة الزعامة التى تتأجج نيرانها فى نفسه فخطب فيهم ثم رجع

بهم ، وكانت مناوذة سمجة يعلوها علم الصفاقة ، وتظهر جيش الرسول صلى الله عليه وسلم من أغلب هذا الرهط الخبيث (٥) .

ولا شك أن ابن أبي قد قام بدعاية واسعة ضد الغزوة وأنه صاحب الفكرة في تأليف تلك الفرقة التي فشل أمرها في تشييط الهمم ، يدل على ذلك دلالة واضحة أنه كرر على الناس الجملة المأفونة التي تناقلها المجتتمعون في بيت سويلم اليهودي عن قتال بنى الأصفر . ولعل هذه الجملة كانت أشد جمل الدعاية ، ولو أن الذى يتبادر الى الذهن أنهم أخرجوا جملاً أخرى من الأباطيل يدل على ذلك ما ورد في القرآن من تحكسكم بالرسول صلى الله عليه وسلم وملازمته وادعائهم الاسلام ثم قولهم للناس لا تنفروا

(*) فان وجودهم في جيش المسلمين لا ينفج الا أمراً واحداً وهو إثارة الفتنة وترصد القوائيل ولذلك قال الله تعالى : لو خرجوا فيكم ما زادوكم خبلاً ولا أضعوا خلالكم يفوقكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، والله عليم بالخائفين . يراعة الآية ٤٧

في الحر . يقول الله تعالى « فرح المخلفون بمقدم خلاف
رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في
سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد
حرا لو كانوا يفقهون » سورة برأة الآية ٨١ وما بعدها
وظاهر أن هذه الآيات تقصد صراحة فيمن تقصد عبد الله
ابن أبي .

ومن العجب ألا يجد المنافقون مركزاً للدعاية غير بيت
سويلم اليهودي ، كأنما ضاقت عليهم بيوتهم ، وهذا يعطينا
صورة صادقة لجامعة التآمر بين المنافقين ومن بقى من اليهود
بعد أن أجلوا جميعاً عن المدينة ، ويفهم من سياق اخراجهم أن
هذا البيت كان خرباً قبل أن توضع فيه النيران بأمر النبي صلى
الله عليه وسلم .

التخلفون ومع ما بذله ابن أبي والمنافقون من الجهد لم

يتخلف بدون سبب مدر سوى الأربعة السالف ذكرهم ، وسوى
من خلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما اثنان محمد بن مسلمة
إذ خلفه عاملاً له على المدينة ، وعلى بن أبى طالب على أهله .

• • •

خلو المدينة من الرجال الأشداء خلعت المدينة من صاحب

الروح والرسالة وذهب معه فحول الاسلام من الرجال الأشداء
فضلا بذلك الجور للمنافقين ، ووجدوا فيه فرصة ملء المدينة
بالأراجيف والدعاية الكاذبة . وكثرت الأقاويل والاشاعات .
وصارت المدينة تعج فيها السنة المنافقين بالأذى والسفه . من
ذلك أنهم أرجفوا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وقالوا
« ما خلفه إلا استثقالا له وتخففاً منه » فلما وصل إليه هذا القول
أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو نازل بالجرف على بعد ثلاثة أميال من المدينة فقال « يا نبي
الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني »

فقال : كذبوا ، ولستكني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلقني
في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون
من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ، فرجع علي إلى المدينة ، ومعني
رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

عدول أبي خيثمة

ومن العجب أن يكون هذا القول وما
شاكله سبباً في عدول أحد المتخلفين الأربعة ممن لم يكن هنر ولا
نفاق في قلوبهم وهو أبو خيثمة ، حيث رجع بعد أن سار رسول
الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله في يوم حار ، فوجد
امراتين له في عريشين لها في حائطه (بستانه) قد رشت كل منهما
عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيات له فيه طعاماً ، فلما دخل قام
على باب العريش ، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له فقال : رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الصبح (الشمس) والرياح والحر
وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم !
ما هذا بالنصف ، ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما
حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيناً لي زاداً ، ففعلتا
ثم قدم ناضجه فارتحلته . ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك ، حتى إذا دنا منه قال النسيان
 : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : كن أبا خيشمة ، فقالوا : يا رسول الله هو والله أبو خيشمة ،
 فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى لك يا أبا خيشمة . (دنوت
 من الهلكة) ثم أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له
 خيراً ودعها له بخير . وقال أبو خيشمة في ذلك :

لما رأيت الناس في الدين نافقوا

أنيت التي كانت أعف وأكرما

وبايعت باليمين يدي لمحمد

فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرماً

فركت خضياً في العريش وصرمة

صفايا كراماً يسرها قد تحمما

نور كنت إذا شك المنافق أسهمت

إلى الدين نفسى شطره حيث يمما

وبقي النفر القليل الذي اندس في جيش المسلمين بفوح منهم
 ثمن النفاق بين أن وآخر . والمتبادر الى الذهن أن استرسالهم في
 هذا السفر لم يكن مبالغة في التوقي ، ولا تورطاً ، وإنما كان
 إمعاناً في النفاق وحرصاً على استجلاء ما يقع للمسلمين ، ومراسلة
 إخوانهم بالمدينة لما يتوقعونه للمسلمين من الهلكة والأذى ،
 ولتخذ إخوانهم العدة عند ذلك لتنفيذ خططهم ، أو بالأحرى
 خطط ابن أبي ، ووضع يدهم على المدينة بعد إحداث الهرج
 والفتنة بها . والعجب أن هذه الجاسوسية كانت مكشوفة للمسلمين
 وكان المنافقون أو على الأقل كثير منهم ، معروفين لديهم ،
 معموذين في عقيدتهم . روى ابن هشام يحدث عن عاصم بن
 قتادة عن محمود بن لبيد قال : قلت لمحمود هل كان الناس يعرفون
 النفاق فيهم ، قال : نعم ، والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه
 ومن أبيه ومن عمه ومن عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضاً على
 ذلك .

الجاسوسية في الجيش وهذه من أغرب الأوضاع في
 الجيوش وهو أن يتحمل الجيش جواسيس من الأعداء معروفين

لقادته وأفراده، ثم هو لا يخشى شرهم ولا يعنى بأمرهم، ولكن
الغربة تقتضى بمسألة واحدة وهى أن الجيش كان ذا قوة معنوية
لم يعرف التاريخ لها مثيلاً يقوده سيد الأنبياء والمرسلين وسيد
الخلق، وكانت هذه الجواسيس أخط وأذل وأوهن من أن تقوم
بأى عمل إيجابى يؤثر فى الجيش.

ونذكر هنا شيئاً مما كانت تفوح به نفوس المنافقين من الذن
أثناء الرحلة.

العدة فى طلب الماء بعد أن مر الجيش فى طريقه الى

تبوك على الحجر ديار ثمود التى خربها الله بينهم، أصبح الناس
ولا ماء لهم، وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى
حملهم ذلك على نحر إبلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها.
فمن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد - يريد هذه الغزوة -
فزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيه صر
فرثه فيشربه ويجعل ما بنى على صدره، فشكوا ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فقال له أبو بكر يا رسول الله قد عردك الله من الدماء
خيراً فادع الله لنيا قال أتعب ذلك قال نعم فرفع يده صلى الله

عليه وسلم فدعا ، فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فأمطرتهم حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون إليه فقال رجل من الانصار لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى قال انما مطرنا بنوم كذا وكذا فانزل الله تعالى « ونجعلون رزقكم انكم تكذبون » (سورة الواقعة الآية ٨٢) وقيل إنه قال له « ويحك هل بعد هذا شيء » قال « سحابة مارة » وفي لفظ أنهم لما شكوا إليه صلى الله عليه وسلم شدة العطش قال « لعل لو استقيت لكم فسقيتم قلتم بنوء كذا وكذا » فقالوا يا نبي الله ما هذا يحين أنواء ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثار سحابة فأمطروا حتى سال كل واد ، فرر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغترف بقدحه وهو يقول هذا نوء كذا فنزلت الآية.

المنافقون يتحدثون عن ضام ناقة رسول الله وكيف تأولوه

وفي بعض الطريق ضلت ناقة لرسول صلى الله عليه وسلم فخرج أصحابه في طلبها ، وعنده رجل من أصحابه يقال له عمارة

ابن حزم ، وكان عقيبا بدريا وكان معه في رحله زيد بن اللصيت
 القينقاعى وكان منافقاً . فقال زيد وهو في رحل عماره - وعماره
 عند رسول الله - : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر
 السماء وهو لا يدري أين ناقتة . فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وعماره عنده ؟ إن رجلاً قال هذا محمد يخبركم أنه
 نبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء ، وهو لا يدري أين ناقتة ، وإنى
 والله ما أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلى الله عليها ، وهى فى هذا
 الوادى فى شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا
 حتى تأتونى بها ، فذهبوا فجاءوا بها . فرجع عماره بن حزم الى
 رحله فقال : والله اعجب من شئ حدثناه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا
 للذى قال زيد بن اللصيت فقال رجل ممن كان فى رحل عماره ولم
 يحضر رسول الله ، زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى . فأقبل
 عماره على زيد يحمى فى عنقه ويقول : إلى عباد الله إن فى رحلى
 لدهامة وما أشعر - اخرج أى عدو الله من رحلى فلا تصحبنى (*)

(*) زعم البعض أن زيدا تاب بعد ذلك وقال البعض الآخر لم يزل
 معهما بعد رجعتى هلك .

الشدة في طلب الماء وعند الاقتراب من تبوك بلغ

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بالماء قلة فقال للجيش : إنكم تأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك وإنكم لن تسالوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمس منها شيئاً حتى آتى ، وأمر منادياً بذلك . ومع ذلك روى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : فحسناها فاذا العين مثل الشوك تبض من ماء ، وقد سبق اليها رجلان من المنافقين ومسا من مائها ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك ، واغترفوا من تلك العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فحرت العين بماء كثير .

في العودة من تبوك — حادث العقبة هذا في الذهاب الى

تبوك . ولم تخل العودة من بعض أعمال المنافقين التي كانوا يخالفون فيها أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمداً طمعاً في الخلاف واستكباراً عن الخضوع . فقد روى أنه كان بالطريق ماء يخرج من وشل (حبر يقطر منه الماء قليلاً قليلاً) ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشقق ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبقنا الى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه » ، فسبقه اليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه . فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال « من سبقنا الى هذا الوادى » ، فقبل له « يا رسول الله فلان وفلان » ، فقال « أولم تنههم ان يستقوا منه شيئاً حتى آتية » ، ثم لعنهم ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم انضحه به ومنحه بيده ، ودعا بما شاء الله أن يدهو به فانخرق من الماء كما يقولون من سمعه ما إن له حساً كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم .

ولم يذته المنافقون عند هذا الحد من الحرق والسفاهة وعدم المبالاة إذ أنهم تأمروا على النبي صلى الله عليه وسلم ، واجتمع رأيهم أن يغدروا به فى العقبة التى بين تبوك والمدينة . فقالوا « إذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلتنا فى الوادى » . والواقع أن المنافقين فى هذه الغزوة كانوا قلة لا يتجاوز عددهم خمسة عشر رجلاً ولم يكن فى وسعهم القيام بأى عمل . وإذن فلم يبق لهم

غرض إلا تحين الفرصة لإشغال الفتنة ، أو أن يكونوا بحيث ينقلون الى معسكرهم الرئيسى بالمدينة أخبار الجيش وأخبار السوء التى كانوا يتوقعونها . فلما انتهت الغزوة الى خير المسلمين وظفرهم ، ينس هذا النصر من المنافقين واشتد عليهم اليأس ، ولم يبق أمامهم إلا الكيد الخبيث ومحاولة اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله تعالى أخبر رسوله بذلك ، فلما وصل الجيش الى العقبة ، نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة . فلما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وسلكوا العقبة . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة بقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه وظلا يتناوبان ذلك . فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه ، فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط

بعض متاعه وغضب رسول الله وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجاء ل يضرب به وجوه رواحلهم وقال : إليكم إليكم يا أعداء الله ، فإذا هو يقوم ملثمين ، فعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم ، فأنحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادي واختلطوا بالناس . فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم ، قال : لا كان القوم ملثمين والليالة مظامة ، عرفت راحلة فلان وراحلة فلان ، قال : هي كما علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه ، قال : لا ، قال : إنهم مكرروا ليسيروا معي في العقبة فيزحوني فيطرحوني منها ، إن الله أخبرني بهم وبمكرهم وسأخبركم بما بهم واكتنابهم ، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي ، فقد كان أسهل من سلوك العقبة ، قال : أتدري ما أراد المنافقون ، وذكر له

القصة ، فقال : يا رسول الله ، قد نزل الناس واجتمعوا ، فر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا فان أحببت بين أسماهم والذي بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤوسهم فقال صلى الله عليه وسلم : انى أكره أن يقول الناس ان محمداً قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم ، فقال : يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس يظهرون الشهادة ، ثم جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوا وبما أجمعوا عليه فخلقوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله تعالى : **يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ، وما نقوا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** فان يتوبوا يك خيرا لهم ، وإن يتواوا يمدبهم عذابا ألما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا

تصريح (٥٥) : التوبة
٧٤

مسجد الضرار وقبل أن يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل بمكان من ضواحيها يدعى ذى أوان بينه وبين المدينة ساعة من نهار وهدم مسجد الضرار - وقد أفردنا لذلك فصلاً خاصاً نظراً لأهميته سيأتى بعد .

(*) ولهذا كان يقال لحذيفة اليمان انه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال حذيفة نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من راحلته فأوحى اليه ، وراحلته باركة ، فقامت نجر زماما فلقيتها فأخذت بزمامها وجئت الى قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فألتصقتها ثم جلست عندها حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم فأنيته بها فقال من هذا قلت حذيفة فقال انى مسر البك - رأ - فلا تفكره انى نبيت أن أصلى على فلان وعلى فلان وعد جماعة من المنافقين . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمر بن الخطاب فى خلافته اذا مات الرجل ممن يظن به أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة ورضى الله تعالى عنه فقاده الى الصلاة فان مضى معه حذيفة صلى عليه عمر ورضى الله عنه ، وان انزع يده من يده ترك الصلاة عليه .

أرجف المنافقين ثم اعتذارهم ثم أقبل جيش المسلمين عائدا الى المدينة وقد ملأت بأراجيف المنافقين في غيبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المجاهدين ؛ وأشاعوا أخبار السوء كذباً وافتراء ، يقولون إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا . وبينما هم يتلقفون الأخبار ويتربصون السوء إذا طلائع الجيش تقضى على تلك الأراجيف ، وإذا بالمسلمين يعودون سالمين غانمين حامدين ، فكان ذلك ضربة شديدة للمنافقين ولمن تخلف من بطون العرب ، ولم يجدوا بداً أن يذهبوا للرسول صلى الله عليه وسلم ويعتذرون اليه . ولكن الله تعالى أخبر نبيه أمرهم فقال تعالى : « يعتذرون إليكم إذا رجعتم اليهم ، قل لا تعتذروا لن يؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - سيخافون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون - يخلفون

لكم لترضوا عنهم ، فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين ، (التوبة ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦)

ولما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا ، وكانوا بضعة وثمانين من المنافقين
والمسلمين الثلاثة السابق ذكرهم . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأصحابه : لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن
لكم ، وأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه .

أما المنافقون فانما جاؤا ليخطوا موقفهم فجعلوا يحلفون
لنبي صلى الله عليه وسلم ويعتذرون اليه فقبل منهم ظاهرهم
وعلانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله . أما الثلاثة
فصدقوا في أقوالهم وأقروا بأنه لم يكن لديهم عذر ، فارجأهم النبي
صلى الله عليه وسلم وأخر أمرهم ، ينتظر أمر الله فيهم ، وقد أنزل
الله في شأنهم أولا قوله تعالى : وآخرون مرجون لأمر الله

إما يعضد بهم وإما يتوب عليهم والله عليهم حكيم ،
(سورة برأءة الآية ١٠٦)

قصة التوبة وأهميتها . وقد كانت قصة التوبة على هؤلاء الثلاثة
عسيرة وشاقة ، ونالهم من الصدق آلام مبرحة . وقد شاء الله
جلت قدرته ألا يتذوقوا حلاوة الصدق إلا بعد أن تجرعوا
مرارة الصبر عليه ، وفي ذلك عبرة وعظة للإنسان ألا يتبرم
بالصدق إذا اشتدت عليه نتائجه . ونظراً لسمو هذه العبرة فاني
أورد هنا تفصيل شأن هؤلاء الثلاثة رضوان الله عليهم ليتبين إلى
أى حد تحملوا في سبيل صدقهم .

قال أحدهم وهو كعب بن مالك رضي الله عنه ، لم أنخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة
قبوك ، غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحداً من تخلف عنها . إنما خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم

على غير ميعاد وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
العقبة حين توافقنا على الاسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد
بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس . وكان من خبري حين
تخلفت عنه في غزوة تبوك أن لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني
حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لي راحلتان
قط حتى اجتمعتا في تلك الغزوة . وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلما يريد غزوة إلا وري عنها بغيرها — حتى كانت تلك
الغزوة فغزاها رسول الله في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً
وغزو عدو كثير . فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة ، وأخبرهم
خبره بوجهه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ . (يعنى بذلك الديوان)
فقل رجل أن يتخلف يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك يخفى ما لم
ينزل فيه وحى من الله . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
طابت الثمار وأحبت الظلال ، فالناس إليها صعر (ماثلون)
فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهز المسلمون معه
وجعلت أعدو لا تجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول في

خفى أنا قادر على ذلك اذا أردت ، فلم يزل ذلك يتبادى بى حتى
 شمر بالناس الجدد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً
 والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئاً . فقلت أتجهز بعده
 بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لا تجهز ،
 فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ،
 فلم يزل ذلك يتبادى بى حتى أسرعوا ، وتفرط الغزو ، فهمت
 أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت اذا
 خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فخطفت فيهم ، يحزننى أنى لا أرى إلا رجلاً مغموصاً (مطعوناً)
 عليه فى النفاق ، أو رجلاً من عذر الله من الضعفاء ، ولم
 يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو
 جالس فى القوم بتبوك : « ما فعل كعب بن مالك » فقال رجل
 من بنى سالة « يا رسول الله حبسه حب برديه ، والنظر فى عطفه ،
 فقال له معاذ بن جبل « بنس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا
 عنه إلا خيراً ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما

بلغنى أن رسول الله قد توجه قافلاً من تبوك حضرتى بى ، فجعلت
أذكر الكذب ، وأقول بماذا أخرج من سخطه رسول الله صلى
الله عليه وسلم غدا ، وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى .
فلما قيل إن رسول الله قد أظلم قادماً زاح عنى الباطل ، وعرفت
أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدق . وصبح رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وكان إذا قدم من سفر بدأ
بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك
جاءه المخلفون ، فجمعوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة
وثمانين رجلاً ، فيقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم علايتهم
وأيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم الى الله تعالى ، حتى
جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم الغضب ، ثم قال لى تعاله ، فجئت
أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ألم تكن
ابتعت ظهرك ؟ قلت إنى يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك
من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد
أعطيت جدلاً ، ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم
حديثاً كذباً لترضين عنى وليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن

حدثك حديثاً صدقاً تجد على فيه ، أنى لأرجو عقبى من
الله فيه ، ولا والله ما كانلى عذر ، والله ما كنت أقوى ولا أيسر
منى حين تخلفت عنك — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك ، فقامت ،
وثار معى رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى وقالوا لى : والله
ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون
اعتذرت لرسول الله بما اعتذر به اليه المخالفون ، قد كان كافيك
ذنبك استغفار رسول الله لك . فوالله ما زالوا بى حتى أردت
أن أرجع الى رسول الله فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لى
هذا أحد غيرى ؟ قالوا نعم ، رجلاً قالاً مقاتلك ، وقيل لهما
مثل ما قيل لك ، قلت من هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع العمرى
من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أبى أمية الواقفى ، فذكروا
لى رجلين صالحين فيهما أسوة . فصمت حين ذكروهما لى ، ونهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين
من يخلف هذه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا — حتى تنكرت

لى نفسى والارض ، فاهى بالارض التى كنت أعرف . فلبثت
على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبائى فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما
وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد
الصلوات مع المسلمين ، وأحطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد
وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد
الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرك شفتيه ببرد السلام على أم
لا ، ثم أصلى قريباً منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى
نظر الى وإذا التفت نحوه أعرض عنى . حتى اذا طال ذلك
على من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى
قتادة ، وهو ابن عمى ، وأحب الناس الى ، فسلمت عليه فوالله
ما رد على السلام . فقلت يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم
أنى أحب الله ورسوله ، فسكت فعدت فناشدته فسكت عنى فعدت
فناشدته فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ،
فماضت عينائى ، ووثبت فتسورت الحائط ، ثم غدوت الى السوق
فبينما أنا أمشى بالسوق اذا بطل يسال عنى من تبط الشام بمن قدم
بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك قاله
فجعل الناس يشيرون الى حتى جاءنى ، فدفع الى كتاباً من

ملك غسان ، وكان الكتاب مكتوباً في سرقة من حوير (شقة)
 فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك
 الله بدار هوان ، فألحق بنا نواسك ، فقلت حين قرأتها : وهذا
 من البلاء أيضاً ، قد بلغني ما وقعت فيه أن طمع في رجل من
 أهل الشرك ، فعمدت بها إلى تنور فسجرت به . فأتقنا على ذلك
 حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا رسول رسول الله يا بني
 فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعزل امرأتك
 قلت أطلبها أم ماذا ؟ قال بل اعزلها ولا تقربها . وأرسل إلى
 صاحبي بمثل ذلك . فقلت لامرأتى الحق بأهلك ، فكوني عندهم
 حتى يقضى الله في هذا الأمر ما هو قاض . وجاءت امرأة هلال
 ابن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن
 هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أفذكره أن أخدمه .
 قال لا ولكن يقربتك قالت والله يا رسول الله ما به من حركة
 إلى ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه
 هذا ، ولقد تخوفت على بصره ، فقال لي بعض أهلي ، لو استأذنت
 رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه .

قلت والله لا أستأذنه فيها ، ما أدري ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب . فلبثنا بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا . ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التي ذكر الله بنا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت على نفسي ، وقد كنت ابتليت خيمة في ظهر سلع ، فكنت أكون فيها ، إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته ، يا كعب بن مالك أبشر . فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء الفرج . - وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر - فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبي مبشرون ، وركض رجل الى فرسا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزع ثوبي فكسوتهما إياه بشارة والله ما أملك يومئذ غيرها ، واستعرت ثوبين فلبستهما . ثم انطلقت أنيّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة .

يقولون ليهنك توبة الله عليك ؛ حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام طلحة بن عبد الله يهرول ، فحياني وهنأني ، والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة (٥) . فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ووجهه يبرق من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك . قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي الى الله عز وجل أن أنخلع من مالي صدقة الى الله وإلى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت إني ممسك سهمي الذي بخير وقلت يا رسول الله إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبتي الى الله ألا أحدث إلا

(٥) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين كعب بن مالك وطلحة

صِدْقاً مَا حَيَّتْ ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ
الْحَدِيثِ مِنْذُ ذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ الْفَضْلَ
عَمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدَتْ مِنْ كَذِبَةٍ مِنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ
يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيهَا بَقِي — فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ نِعْمَةً قَطُّ بَعْدَ أَنْ
هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ ، كَانَتْ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ أَلَّا أَكُونَ كَذِبْتَهُ ، فَأَمَّا ذَلِكَ الَّذِينَ
كَذَبُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ فِي الَّذِينَ كَذَبُوهُ حِينَ أَنْزَلَ
الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لَا أَحَدٌ قَالَ « سَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ
إِلَيْهِمْ لَتَرْضَوْنَ عَنْهُمْ » ، فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ إِنْهُمْ زَجَسُوا وَمَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْنَ عَنْهُمْ
فَإِنْ تَرْضَوْنَ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ .
برائة (٩٥ ، ٩٦) قَالَ كَعْبٌ وَكُنَّا خَلْفَنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا
لَهُ فَعَسَدَرَهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ما قضى . وقد أنزل الله تعالى في شأن
توبتهم قوله : **لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ**
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمَسْأَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ
يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ . وعلى الثلاثة الذين خفوا ، حتى إذا ضاقت عليهم
الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ألا
مأجدا من الله إلا إلى الله ثم تاب عليهم ليتوبوا ، **إِنَّ اللَّهَ هُوَ**
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين ، (براءة ١١٧، ١١٨، ١١٩)

وكان المبشر لجلال بن أمية أسعد بن أسد ، وكان المبشر
لمرارة بن الربيع سلطان بن سلامة وقيل سلامة بن وقش
وكان نزول التوبة على النبي صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث
الآخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة

قال يا أم سلمة تيب على كعب قالت أفلا أرسل اليه فأبشره قال
إذا يخطبكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليل حتى إذا صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر أعلم بذلك .

هذه هي القصة أوردناها على طولها مفصلة كما وردت في كتب
السيرة . وإنما أردنا بذلك أن نستعرض تلك المشقة الطويلة التي
اقتضت حكمة الله تعالى أن يلهم عباده المخلصين أن يتحملوا
محتها ليحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، وليكونوا
للعالم من بعدهم مثلاً عالياً للصدق وشدائده ، وليعلم المفتونون
أن الشدائد هي التي تطهر الإنسان فتجعل منه صفاء ونقاء أو تلقى
به مع الحبث إن كان خلواً من الجوهر الصافي النقي - هذان
صنفان من المتخلفين يصدق الأول فيقاطعهم المسلمون ويأمرهم
النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتزلوا زوجاتهم ، وتضيق عليهم
الأرض ويبلغ بهم الضيق مداه وهم صابرون لقضاء الله .
والثاني أقسموا باليمين كاذبين ، واعتذروا كاذبين ، فلم يحاسبهم
النبي صلى الله عليه وسلم ووكّل سرائرهم إلى الله ، فاخذهم

الغرور أن قد أفلتوا من العقاب . هذا وأعين المسلمين الفاحصة تنظر اليهم من كل ناحية هازئة هادئة . أى نفوس زرية كانت نفوس المنافقين حتى يصل بهم النفاق الى هذه الدرجة الدنيئة من امتهان النفس وانحطاطها !

انتهى أمر المنافقين فى غزوة تبوك إلا ما كان من شأن مسجط الضرار وتذكر أمره فيما يلى .

مسجد الضرار

فكرة إنشاء مسجد الضرار عند ما قدم الرسول صلى الله عليه

وسلم المدينة مهاجراً إليها من مكة نزل قبل دخولها بضاحية لها تدعى قبلة في بني عمرو بن عوف من بطون الخزرج . وبني بها أول مسجد في الاسلام . وكان هذا المسجد محلاً لاقامة الشعائر في هذا الحى وفخراً لبني عمرو بن عوف ، ويظهر أن المنفقين رأوا في موقع هذه الضاحية وهدوء أهلها فرصة لجعلها مركزاً لمجتمعهم ، ومنتدًى للتآمر وإحداث الشغب . قيل إن أبا عامر الفاسق — وقد سبق للكلام عنه — أمر ببنائه وأشار أن ابنوا له مسجداً واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فأتى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتى بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه من المدينة . وقد اخترع المنافقون إشاعة في بني عمرو بن عوف ليستفزوا ضعاف النفوس ومرضى القلوب كما استفزوا إخوتهم بني غنم بن عوف وحاولوا أن يشعلوا فيهم نار الغيرة من بني

عمره من خوف فقالوا عن مسجد قباء إنه بنى فى مكان كانت تربط فيه امرأة حمارها واستنكروا أن يصلوا فى مربوط حمار، واعتقدوا أن ذلك يقوم سبباً حقيقياً للنفور من مسجد بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام فيه المسلمون يعبدون الله. وتضافرت هذه الاشاعات والتخرصات بعضها مع بعض فحزرت اثني عشر رجلاً من بطون مختلفة فبنوا المسجد الذى أشار به أبو عامر الفاسق وهم :

أسماء بناته (١) خدام بن خالد من بنى عبید بن زيد أحد

بنى عمر بن عوف وبنى من داره

(٢) ثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد

(٣) معتب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد

(٤) أبو حبيبة بن الأزعر من بنى ضبيعة بن زيد

(٥) عباد بن حنيفة آخر سهل بن حنيفة من بنى

عمر بن عوف

(٦) جارية بن عامر من بنى ضبيعة

- (٧) جمع بن جارية بن عامر من بنى ضبيعة
(٨) زيد بن جارية بن عامر " " "
(٩) نبتل بن الحارث " " "
(١٠) بحزج " " "
(١١) بجاد بن عثمان " " "
(١٢) ودیعة بن ثابت من بنى أمية بن زيد رهط أبي ليابة
ابن المنذر .

ويكفي عند استعراض أسماء هؤلاء الاثني عشر أن نجد
من بينهم نبتل بن الحرث الذي نبه الامين جبريل عليه السلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان دسيسة ينقل أخبار المسلمين
الى الكفار وأن كبده أغلظ من كبد الحمار ، ثم معتب بن قشير
وودیعة بن ثابت لنعلم أن أصبح النفاق كان الاساس الاول
والاخير لتلك المؤسسة الفاسقة ، وأن رموساً مريضة هي التي
فكرت في إنشائها لأغراض أوسع مما ظهرت به ثم اختبأت
وراء هؤلاء الذين بنوه . وللباحث المفكر أن يرى دلالات
هذه الرموس في أبي عامر الفاسق ثم في شيوخ المنافقين .

المسجد عش للآمرين واحداث الفتن بنى المسجد وصار

المنافقون يعقدون به مؤتمراتهم ووجدوا بين حيطانه مكاناً
يسهل فيه اجتماعهم . وصاروا يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم
ويستهزئون به ، وينظرون أبا عامر هم بما وعدهم ، ويستروا
أمرهم بأب ذهاب الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز
الى تبوك ، فقالوا يا رسول الله : إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة
والحاجة والائلة المظيرة والائلة الشاتية ، وانا نحب أن تأتينا
فتصلى لنا فيه ، فقال : إني على جناح سفر وحال شغل ، أو كما
قال صلى الله عليه وسلم : ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم
فصلينا لكم فيه ،

ومن غريب أمر تلك الفئة وحرصها على النستر أنهم استدرجوا
للإمامة شاباً حدثاً هو مجمع بن حارثة ولم يكن يعلم بشيء من
نياتهم ولذلك لما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
طلب بنو عمرو بن عوف منه أن يأذن لمجمع بن حارثة أن

يَوْمَهُمْ فَقَالَ « لَا وَلَا نِعْمَةَ عَيْنِ أَلَيْسَ بِأَمَامِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ »
فَقَالَ بِمَجْمَعٍ « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَعْجَلْ عَلَى فَوَ اللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ بِهِمْ
وَإِلَّاهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَعْلَمُ مَا قَدْ أَضْمَرُوا عَلَيْهِ وَلَوْ عَلِمْتُ مَا صَلَّيْتُ
مَعَهُمْ فِيهِ ، كُنْتُ غُلَامًا قَارِئًا لِلْقُرْآنِ ، وَكَانُوا شَبِوْخًا قَدْ عَاشُوا
عَلَى جَاهِلِيَّتِهِمْ وَكَانُوا لَا يَقْرَأُونَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ، فَصَلَّيْتُ وَلَا
أَحْسِبُ مَا صَنَعْتُ إِثْمًا وَلَا أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ، فَعُذْرُهُ عَمْرُ
وَصَدَقَهُ وَأَمَرَهُ بِالصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قِبَاءٍ .

وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ يَصَلُّونَ فِي مَسْجِدِ قِبَاءٍ
جَمَاعَةً فَلَمَّا بَنِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ صَرَفَ عَنْ مَسْجِدِ قِبَاءٍ جَمَاعَةً وَصَلُّوا
بِذَلِكَ الْمَسْجِدِ ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ تَفْرِيقٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَمَحَاوَلَةٌ لِلْبَحْثِ عَنْ
ضَعْفِ النُّفُوسِ لَضَمِّهِمْ إِلَى تِلْكَ الْفِتْنَةِ .

وَلَسَكَنَ اللَّهُ تَعَالَى كَشَفَ سِتْرَهُمْ وَفَضَحَ نِيَاتَهُمْ ، فَسَاكَدَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِلُ إِلَى ذِي أَوَانَ مِنْ ضَوَا حِي الْمَدِينَةِ رَاجِعًا مِنْ
تَبُوكَ حَتَّى أَتَاهُ فَرِيقُ الْمُنَافِقِينَ يَدْعُوْنَهُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِمْ
فَدَعَا بِقَمِيصِهِ لِيَلْبِسَهُ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا

خرا را و كفرا و تفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب
الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله
يشهد لهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا المسجد أسس على
التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون
أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على
نقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا
جرف هار ، فاهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم
الظالمين . لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ، برادة من ١٠٧ الى ١١٠

عند ذلك دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن
الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعين بن عدى وأخاه عاصم
ابن عدى من بني العجلان وعامر بن السكن ووحشياً قاتل حمزة
فقال : انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا

سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن
الدخشم فقال مالك لمعن أنظرنى حتى أخرج اليك بنار من
أهلى ، فدخل الى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً
ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهـدماه
وتفرقوا عنه وكان ذلك بين المغرب والعشاء ووصل الهمدم
الى الأرض .

وفاة ابن أبي

احتضاره وطلبه قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمض وقت
طويل بعد غزوة تبوك حتى هلك رأس المنافقين عبد الله بن أبي
ابن سلول وكان ذلك في شهر ذى القعدة من السنة التاسعة - وقد
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لما اشتكى عبد الله بن
أبي عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن أبي دامن
على فكفنى في قميصك وصل على فأرسل اليه القميص فوقاني
فردّه وطلب الذى يلى جلده ليكفن فيه فقال عمر رضى الله عنه
لم تعطى قميصك الرجس النجس فقال عليه الصلاة والسلام إن
قميصى لن يغنى عنه من الله شيئاً .

الصلاة عليه وكان المنافقون لا يفارقون عبد الله فلما
رأوه يطلب هذا القميص ويرجو أن ينفعه أسلم منهم يومئذ
خلق كثير . فلما مات جاءه ابنه يعرفه فقال عليه الصلاة والسلام

لابنه صل عليه وادفنه فقال إن لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم فقام عليه الصلاة والسلام ليصلي عليه فقام عمر فقال بين رسول الله وبين القبلة ثلثا يصلي عليه وقل يا رسول الله أتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وعدد عليه أشياء مثل قوله لا تنفقوا على من هند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الأعز منها الأذل فنزل قوله تعالى « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » برامة ٨٤ وأخذ جبريل عليه السلام بثوب النبي صلى الله عليه وسلم وتلا الآية فامتنع عن الصلاة .

(*) هذه منقبة من مناقب عمر رضي الله عنه وذلك لأن الوحي نزل على وفق قوله في آيات كثيرة منها آية أخذ الفداء عن أسارى بدر وثانيها آية تحريم الخمر وثالثها آية تحويل القبلة ورابعها آية أمر النسوان بالحجاب وخامسها هذه الآية .

هذا ما رواه الفخر الرازي في تفسيره ولكن الرواية التي
أوردها ابن هشام وأغلب أصحاب السير تقول إن النبي صلى
الله عليه وسلم صلى على ابن أبي ثم ورد النهي بعد ذلك - وأنا
نميل الى القول الأول لأنه يجعل للنهي موضعاً حيث كان
المقصود منه الامتناع عن الصلاة قبل أن تصلى .

ولسائل أن يسأل عن السبب الذي من أجله رغب الرسول
عليه الصلاة والسلام أن يصلى عليه وهو يعلم أنه كافر وأنه
مات على كفره وأن صلاة الرسول عليه فيها معنى الاجلال
والتعظيم له وأيضاً فإن الصلاة تشمل الدعاء للميت والله
تعالى قد ذكر أنه لا يغفر للكفار البتة ثم ما هو السبب في
إعطائه القميص .

تفسير الغرض من اعطاء القميص والخروج في الصلاة عليه لقد ذهب

المفسرون في هذا الشأن جملة مذاهب . والذي لا شك فيه أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يتبع مع المنافقين سياسة واحدة
وهي معاملتهم معاملة المؤمنين في كل شيء إلا أن يكشف الله

الغطاء عن أفعالهم . وسنذكر تفصيل ذلك في باب مستقل إن شاء الله تعالى ويضاف الى ذلك في مسألة وفاة ابن أبي أمير أخرى وهي (١) أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب في الصلاة عليه تطييباً وإكراماً لولده الصالح و (٢) تأليفاً للخزرج وخاصة من لم يؤمن منهم أو كان منافقاً ، فلو لم يحب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي لكان سبة على ابنه وعاراً على قومه فاستعمل أحسن الأمرين . أما إعطاء القميص فقد سبق أن عبد الله بن أبي أعطى قميصه للعباس رضى الله عنه لما أسر في موقعة بدر فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكافئه على ذلك وخاصة أن ابن أبي كان يطلب القميص وهو في حد ذاته شيء يسير قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يغني عن الايمان شيئاً .

وقد ذهب بعض المفسرين الى أن السبب ربما كان أنه لما طالب من الرسول عليه السلام أن يرسل اليه قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه انتقل الى الايمان لأن ذلك الوقت وقت يتوب فيه الفاجر

مردود من فيه الكافر ، فلما رأى منه إظهار الاسلام وشاهد منه هذه
الأمارة التي دلت على دخوله في الاسلام غلب على ظنه أنه
كان مسلماً وكانت الرحمة غالبة على الرسول الكريم مصداقاً
لقوله تعالى عنه : « بالمؤمنين رؤوف رحيم » ، وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين ، فلماذا غلب عليه ذلك الظن ورغب في أن يصلي
عليه فلما نزل جبريل عليه السلام من عند الله وأخبره بأنه
مات على كفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه إذ لم يبق محل
لتلك الظن .

وعلى أى حال فقد كانت هذه المعاملة الكريمة سبباً في
رجوع الكثير من قومه وعموم المنافقين عن غيهم — روى
الطبراني عن قتادة قال ذكر لنا أنه صلى الله عليه وسلم قال وما
يغنى عنه قميصي من الله وإني لأرجو بذلك أن يسلم ألف من قومه
وأورد القسطلاني في شرح البخاري أنه أسلم ألف من الخزرج
لما رأوا ابن أبي سفيان يستشفع بشوب النبي صلى الله عليه وسلم ويتوقع
إندفاع العذاب عنه .

وبعد نزول الآية الكريمة لم يصل الرسول صلى الله عليه وسلم

على منافق حتى انتقل الى الرفيق الاعلى .

وكان موت ابن ابي ايداناً باندحار حزب المنافقين بعد أن انكسرت شوكتهم وخابت آمالهم وتبدد كيدهم وافتضحت مخازيهم بما أنزل الله تعالى في شأنهم من القرآن فكانوا بلا أذاب ما عقده من الارجيف . وانتقل النفاق بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى أوضاع شتى وخاصة بعد أن فتحت بلاد فارس والروم وما اليها وخلط أصحاب النفاق من عقائد المجوس والتشويه والمزدكية والبرهمية وما اليها أشتاتاً متناثرة وأقحموها في الاسلام وتكونت بذلك فرق كثيرة ونحل غريبة وفتن معقدة متشابكة ليس من موضع هذا الكتاب تفصيلاً .

تعريف النفاق

وعناصره وأهميته

—

النفاق لغة ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب تعريفاً عاماً للنفاق وقلنا إنه ضرب من ضروب الكذب . ونعود الآن الى تفصيل هذا التعريف . والى بيان عناصر النفاق ومكوناته وأهمية أمره .

قال علماء اللغة إن النفاق كلمة مشتقة من النافق . وهو جحر اليربوع . واليربوع جحران أحدهما يقال له النافق والثاني يقال له القاصع . واليربوع يفعل ذلك لظهار غير الحقيقة دفاعاً عن حياته فهو يخرق الأرض حتى اذا كاد يبلغ ظاهرها أرق التراب . فاذا رآه ريب دفع ذلك التراب برأسه فخرج فظاهر جحره تراب وباطنه حفر ، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر .

معنى النفاق وتحديد الفخر الرازي بتقسيم أحوال القلب واللسان والنفاق

بدل على نوع معتل من العقيدة ، أو على خلل طارىء يعرض للعقيدة فيفسدها . أو على التضارب بين العقيدة الباطنة والعقيدة الظاهرة . وفي تحديد معنى النفاق فصل الفخر الرازي في تفسيره جدولاً مؤسساً على التقسيمات المنطقية ذكر فيه أن أحوال القلب فيما يتعلق بالعقيدة أربع : فأما أن تكون العقيدة مطابقة للحق أو غير مطابقة له وإما أن يكون القلب خالياً من الاعتقاد والاعتقاد المطابق للحق إما أن يكون عن دليل أو يكون تقليداً بلا دليل . وأن أحوال اللسان أحد أمور ثلاث هي الإقرار أو الإنكار أو السكوت فينتج من أحوال القلب مع أحوال اللسان اثنا عشر حالة . وهذه الأحوال إما أن يكون كل من الإقرار أو الإنكار أو السكوت اختيارياً أو اضطرارياً فهذه أربع وعشرون حالة فصاها كالآتي :

١، الإقرار الاختياري باللسان مع الاعتقاد الصحيح بالقلب
٢، الإنكار والاضطرار ، والاضطرار إن كان مقصوداً فيوشك صاحبه

أن يكون منافقاً حيث لا معنى ألا يقر بلسانه إلا مضطراً (٣)،
والانكار باللسان مع الاعتقاد الصحيح بالقلب إن كان اختيارياً
فهو الكفر والعناد (٤)، وإن كان اضطرارياً فصاحبه مسلم ورد
في شأنه قوله تعالى «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» (٥)،
والسكوت في حالة العقيدة الصحيحة إن كان اضطرارياً فصاحبه
مسلم (٦)، وإن كان اختيارياً كان محل بحث ويميل الغزالي إلى
اعتبار صاحبه مؤمناً. أما الاعتقاد التقليدي ففي عالم الكلام أبحاث
مطولة موضوعها الحكم على إيمان المقلد هل يعتبر إيماناً صحيحاً
أم لا ؟ فعلى الأخذ باعتبار إيمان المقلد صحيحاً ففي حالة (٧)،
الاقرار الاختياري يكون الإيمان صحيحاً (٨)، فإن كان اضطرارياً
فهو نفاق (٩)، وفي حالة الانكار الاختياري فهو كفر (١٠)، فإن
كان الانكار اضطرارياً فهو إيمان (١١، ١٢)، وحالات السكوت فيه
مطابقة لحالات السكوت السابقة. وتأتي بعد ذلك حال الاعتقاد
غير المطابق للحق أو الاعتقاد الجاهل فالأقرار فيه (١٣، ١٤)،
نفاق سواء أكان اختيارياً أم اضطرارياً والانكار والسكوت
فيه (١٥، ١٦، ١٧، ١٨)، كفر سواء أكان اختيارياً أم اضطرارياً.

والنوع الأخير وهو خلو القلب من الاعتقاد إن صحبه الاقرار الاختياري (١٩)، فأما أن يكون المقر في مهلة النظر فلا يلزم منه الكفر واسكنه فعل ما لا يجوز وإن لم يكن في مهلة النظر كان محل بحث وتأمل . فان كان الاقرار اضطرارياً (٢٠)، فلا يتصور الاضطرار في غير مهلة النظر فان كان في مهلة النظر فلا يكون عمله قبيحاً ولا يكون كفراً ولا نفاقاً . أما حالتي (٢١، ٢٢)، الانكار فهما على عكس حالة الاقرار . وأما حالة السكوت (٢٣)، فان كان اختيارياً وفي مهلة النظر فهو الواجب حتى تنتهي المهلة وإن كان بعد انتهائها فهو كافر لا منافق . ولا يتصور السكوت الا اضطرارياً (٢٤) .

وينتج من هذا أن النفاق ينصرف الى أربعة أحوال من الأحوال الأربعة وعشرين وهي حالتا الاقرار الاختياري أو الاضطراري باللسان مع العقيدة القلبية غير المطابقة للحق وحالة الاقرار الاضطراري مع العقيدة القلبية المطابقة للعلم الصحيح عن دليل أو عن تقليد .

أقسام الناس حسب العقيدة وقد انقسم الناس على أساس هذا

التقسيم الى ثلاثة أنواع ١٠، مؤمنون ظاهرون بحسن اعتقادهم
و ٢٠، كفرون مجاهرون بكفرهم وعنادهم ٣٠، ومنافقون مذبذبون
يظهرون الايمان بالسنتهم ويضمرون الكفر في قلوبهم . وقد
ورد هذا التقسيم في أول القرآن فذكر الله تعالى شأن المؤمنين
وأثنى عليهم في أربع آيات ثم ذكر الكافرين وأنه ختم على
قلوبهم وسمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة وتوعدهم بالعذاب
العظيم في آيتين ثم ذكر المنافقين في ثلاث عشرة آية بين في تسع
منها صفاتهم وأحوالهم وضرب بشأنهم مثلين مفصلين مليئين
بالعجيب المعجز والدقة الباهرة في أربع آيات .

أهمية شأن المنافقين وتفصيله في القرآن وأظهر ما يستفاد من

هذا الوضع الأهمية البالغة لأمر المنافقين حيث شملهم في أول
القرآن ثلاث عشرة آية بينما شمل المؤمنين أربع آيات
والكافرين آيتين . ويضاف الى ذلك أن القرآن فصل
أمر المنافقين في مواضع عديدة لا تقل في مجموعها عن عشر
القرآن .

وترجع هذه الأهمية الى أمرين : الأول أن أمر المنافق أشد خطراً من أمر الكافر والثاني توجيه النظر الى أهمية علاج أمرهم .

وقد قال بعض العلماء إن كفر الكافر أقبح من كفر المنافق وعللوا ذلك بأن الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان وأن المنافق جاهل بالقلب صادق باللسان ولكن ذلك غير مطابق للواقع لأن المنافق كاذب يدل على ذلك قوله تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) .

الفرق بين الكافر والمنافق والواقع أن المنافق والكافر في الكفر سواء إلا أن المنافق يختص علاوة على الكفر بأمور منكورة منها : ١، أن المنافق قصد التلبس والكافر لم يقصد ذلك و ٢، أن الكافر لم يرض لنفسه بالكذب بل استنكف منه والمنافق رضى به ٣، أن المنافق ينفق بنفاقه خلق الشهادة والشهامة ويتردى من نفاقه الى الخصال الدنيئة من الجبن والخداع والبخل والتردد ثم الى ما هو أشد خطراً من الكذب كالاستهزاء بالله وآياته وظن السوء بالله ولهذا قال الله تعالى د إن المنافقين في

للدرك الأسفل من النار، النساء ١٤ و ٤٤، أن المنافقين كانوا أشد خطراً على المؤمنين من الكافر المجاهر لأن المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر وكان يخالط المنافق لظنه بإيمانه، وكان يحكم المخالطة يفشى أسرارهم وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك .

اختلاط المنافقين بالمسلمين وقد كان المنافقون مختلطين اختلاطاً شديداً بالمسلمين ولم يكن جميع أمرهم معروفاً . ويرجع السبب في هذا الاختلاط أنهم لم يكونوا من قبيلة واحدة ولا في مكان واحد بل كان في كل قبيلة عدد كبير فكان في كل من فروع الأوس والنخزرج منافقون كما كان من قبائل اليهود الثلاث منافقون ، وكما كان في أعراب البوادي وخاصة الضاربة حول المدينة منافقون . وقد جمعت بين أشتهتهم جامعة مزيفة وهي التحزب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يظنون في أنفسهم الألفة والمنعة والشدة حتى إذا حز بهم الأمر وضافت

بهم الضائقة ألقوا أنفسهم ضعافاً مستخذلين ، ورأوا ما جمعهم
إنما كان قطعاً مرقعة من سبائب المهانة والذلة ، وصدق عليهم
يقول الله عز وجل : **نحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى** ، ذلك
بأنهم قوم لا يعلمون : (الحشر ١٤)

تمييز المنافقين وكان للمنافقين من خلالهم وأفعالهم
علامات وميزات يميزون بها ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم
يتفرسون بهذه العلامات ليتعاشوا أعداءهم من المنافقين .
وليعلّموا مواطن التجسس ، وليدروا عن أنفسهم شرورهم
وكيدهم وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن هذه العلامات
مخاطباً رسوله عليه السلام : **ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم
ببما هم ، ولتعرفنهم في لحن القول ، والله يعلم أعمالكم** ،

(الفتح ٣٠)

كذلك كان كثير من الاحداث محكا وبلاء عزل المنافقين
عن المؤمنين كما حدث في موقعة أحد وموقعة تبوك وغيرها ،

وقد ورد في كتاب الله تعالى إشارات كثيرة الى ذلك منها قوله تعالى (وما أصابكم يوم التقي الجمعان فهاذن الله وليعلم المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو اذفَعُوا ، قالوا أو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون . الذين قالوا لأخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادعوا من أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) (آل عمران ١٦٦-١٦٨) (أم حسبتم أن تتركوا ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا همكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون) (براء ١٦٥)

وكانت هناك علامات أخرى هي خليط من الأخلاق الوضيعة والصفات المهيئة كالخداع والحسد والعجب أشربت بها

قلوب المنافقين نتيجة لازمة لما اختزن في قلوبهم من الكفر والضغن والرياء .

حديث خصال المنافقين واخلاف الآراء في ذلك وقد أخرج البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ، — وقد ورد هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى وهي : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ، .

والذى ينتج من التأويل الحرفي لهذا الحديث أن ارتكاب شيء من الكذب أو الخيانة أو الإخلال بالوعد معناه الانتقال من حالة الإيمان الى حالة النفاق مع أن هذه الأشياء من المعاصي .

وقد اختلفت الآراء في هذا الموضوع وانقسمت الى خمسة آراء :

الاول : وهو رأى البخارى والحسن البصرى وبعض
أهل العلم أخذوا بظاهر النص وقالوا إن هذه للخلال الذميمة
منافق من اتصف بها . وفي الاعتراض على هذا نقل عن واصل
ابن عطاء قال : أتى الحسن رجل فقال له إن أولاد يعقوب
حدثوه في قولهم أكله الذئب وكذبوه ، ووعدوه في قولهم
وإننا له لحافظون فأخلفوه ، واثمنهم أبوهم على يوسف فخافوه
فهل نحكم بكونهم منافقين ؟ فتوقف الحسن رحمه الله . وهذا
الاعتراض وحده كاف أن يجعل هذا رأى محلا للتأمل
والنظر .

والثاني : أن ذلك مخصوص بالمنافقين في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، واستندوا على ما رواه مقاتل بن حيان عن
سعيد بن جبير عن ابن عمر وابن عباس قالا أتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه قتلنا يا رسول الله إنك
قلت ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه
مؤمن إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ، ومن
كانت فيه خصلة منهن فقيه تلك النفاق ، فظننا أنا لم نسلم منهن

أو من بعضهن ولم يسلم منهن كثير من الناس . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ما لكم ولهن إنما خصصت بهن المنافقين كما خصهم الله في كتابه أما قولي إذا حدث كذب فذلك قول الله عز وجل إذا جاءك المنافقون (الآية) أفأنتم كذلك قلنا لا قال لا عليكم أنتم من ذلك براء . وأما قولي إذا وعد أخلف فذلك فيما أنزل الله على دونهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله (الآيات الثلاث) أفأنتم كذلك قلنا لا والله لو عاهدنا الله على شيء أوفينا به قال لا عليكم أنتم من ذلك براء . وأما قولي إذا أئتمن خان فذلك فيما أنزل الله على : إنا عرضنا الأمانة ، (الآية) فكل إنسان مؤتمن على دينه فالؤمن يغتسل الجنابة في السر والعلانية والمنافق لا يفعل ذلك إلا في العلانية أفأنتم كذلك قلنا لا قال لا عليكم أنتم من ذلك براء — وإلى هذا الرأي ذهب كثير من التابعين والأئمة . قال عطاء بن أبي رباح حدثني جابر ابن عبد الله أنه صلى الله عليه وسلم إنما ذكر قوله ثلاث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثوا النبي صلى الله

عليه وسلم فكذبوه واتمنهم على سره فخانوه ووعدوا أن يخرجوا معه فأخلفوه .

والثالث : فسر الحديث بأن المقصود هو من اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد أخلف كما ذكره فيمن عاهد الله واذا ائتمن على دين الله خان في السر فكان قلبه على خلاف لسانه — وهذا التفسير ينقل الحديث من معناه العام الى تعريف النفاق .

والرابع : هو أن المقصود بالحديث من يحدث بحديث يعلم أنه كذب ، ويعهد عهدا لا يعتقد الوفاء به وينتظر الأمانة للخيانة فيها واستند أصحاب هذا الرأي الى حديث ضعيف الإسناد هو أن علي بن أبي طالب لقي أبا بكر وعمر رضي الله عنهم خارجين من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما ثقيلان فقال علي مالي أرا كما ثقلين قالا حديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال المنافقين اذا حدث كذب واذا عاهد فدر واذا ائتمن خان واذا وعد أخلف فقال علي أفلا سألتهم فقالوا

هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليكني سأسأله فدخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله خرج أبو بكر
وعمر وهما ثقيلان ثم ذكر ما قالاه فقال قد حدثتهما ولم أضعه
على الوضع الذي وضعاؤه ولكن المنافق إذا حدث وهو يحدث
نفسه أنه يكذب وإذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف وإذا
اتّمن وهو يحدث نفسه أنه يخون - والواقع أننا إذا وضعنا
ضعف الاسناد في هذا الحديث جانباً ، نجد أن التأمل في هذا
الرأى وفي تفسيره لا يوصل الى أمر واضح .

والخامس : قال ابن العربي قد قام الدليل على أن متعمد هذه
الخصال لا يكون كافراً وإنما يكون كافراً باعتقاد يعود الى الجهل
بالله وصفاته أو التكذيب له ، وأنه لو غلبت المعاصي ما كان بها
كافراً ما لم تؤثر في الاعتقاد .

نتيجة الآراء والواقع أن القول بأن ارتكاب شيء من
الكذب أو الخيانة أو عدم الوفاء بالوعد ينقل مرتكبه من
الايمان الى النفاق هو قول خطر يقلب قواعد التوحيد . فالنفاق

أمر يتعلق أول ما يتعلق بالعقيدة وسترها باللسان وتزويرها .
 فإذا ما كانت العقيدة صحيحة سليمة ولم يطرأ عليها من اللسان
 ما يفسدها أو يزيفها فإن المعاصي ليس من شأنها أن تغير العقيدة
 في وجود الله وفي صفاته وفي رسالة النبي عليه الصلاة والسلام .
 وقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري ما يعدل رأيه
 حيث قال إن النفاق نفاقان نفاق الكذب ونفاق العمل فأما
 نفاق الكذب فكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما
 نفاق العمل فلا ينقطع الى يوم القيامة ، كذلك روى البخاري
 عن حذيفة أن النفاق كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فأما اليوم فانما هو الكفر بعد الإيمان . ولعل هذا التكييف
 للنفاق هو الذي حدا بالبخاري رحمه الله إلى الأخذ بظاهر
 الحديث .

المراد بالحديث والحقيقة التي لا شك فيها أنه لم يكن للمنافقين
 علامات مميزة خاصة يتميزون بها وإنما كانت الحوادث والآيام
 تكشف الكثير منهم . ولعل المقصود من الحديث أن الكذب
 والخيانة والاخلال بالعهد من أخص خصائص النفاق وأن

المنافقين يفعلون هذه الأفعال الذميمة وهم يستحلونها ويستمرئونها ويعتقدون أنها الحكمة واللباقة والسكينة فضلوا بذلك عن سبيل الله واستحلوا ما حرم الله فكفروا ، وستروا كفرهم فنافقوا . وأمر الرسول عليه السلام أصحابه أن يتبعوا عن هذه الخلال حتى لا يكونوا موضعاً للشك ، وحتى يتباعدوا عن صفات يدرع بها المنافقون ويعتمدون عليها .

خطر الكذب والحيانة والاخلال بالوعد على العقيدة على أنى أرى

من خلال هذا الحديث الكريم معنى سامياً يرجع الى أصل من الأصول الأساسية في علم النفس وهو أن تكوين العقيدة والعادة يرجع إلى كثير مما يقوم به الإنسان من الأعمال وما يتوارد عليه من الخواطر وما ترتغبه النفس من الرغائب وما تنزع إليه من الشهوات وما تضطرب فيه من العواطف والأحاسيس وأن كل ذلك يشترك في تكوين شخصية الفرد ويذهب به إلى الخير أو إلى الشر فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتباعد المؤمنون

عن الكذب والخيانة والاخلال بالوعد لأن هذه الصفات المرذولة من أخطر الأشياء على النفس إذ تعودها على الجرائم وتدفع بها إلى الهلكة وتمشى بها ولو رويدا إلى ما يخشى منه على العقيدة - قال الله تعالى في شأن من يخلف الوعد (فأعنتهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) وظاهر من هذه الآية أن نقض العهد وخلف الوعد والكذب يورث النفاق فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه وأنه إذا عاهد الله في أمر فعليه أن يجتهد في الوفاء به . وقد نزلت هذه الآية الكريمة في شأن رجل عاهد الله إذا أئثرى أن يؤدي الزكاة ، فلما أئثرى امتنع عن أدائها وعن أداء الصلاة ثم اندفع إلى النفاق وهو رجل من الأوس كان يدعى ثعلبة ابن حاطب . ونظرا لما في قصته من العبرة والعظة فإننا نورد هنا .

قصة ثعلبة بن حاطب وقد كان من أمره أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه

للسلام ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه
فراجعه وقل والذي بعثك بالحق إني رزقني الله مالا لأعطين كل
ذى حق حقه . فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى
صنفت بهم المدينة فتنحى ونزل وادياً من أوديتها فجعل يصلى
الظهر والعصر ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك
الصلوات إلا الجمعة ثم ترك الجمعة وطفق يتلقى الركبان يسأل عن
الأخبار . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فأخبر بخبره
فقال يا ويح ثعلبة فنزل قول الله تعالى : خذ من أموالهم
صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها (براءة ١٠٣) فبعث إليه
رجلين وقال لهما مرا بشعلبة وبفلان - رجل من بنى سليم -
فخذوا صدقاتهما فأتيا ثعلبة فقال لهما ما هذه إلا أخت الجزية
ولم يدفع الصدقة فأنزل الله تعالى : ومنهم من عاهد الله ...
الآية (براءة ٧٥ وما بعدها) فقل له قد أنزل الله فيك كذا
وكذا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يقبل صدقته
فقال إن الله منعني من قبول ذلك ، فجعل يحثى التراب على رأسه

فقال عليه الصلاة والسلام قد قلت لك فما أظعنى . ولما انتقل الرسول عليه السلام الى الرفيق الأعلى أتى ثعلبة أبا بكر بصدقته فلم يقبلها اقتداء بالرسول عليه السلام ثم لم يقبلها عمر اقتداء بأبي بكر ثم لم يقبلها عثمان وهلك ثعلبة في خلافة عثمان .

قد يكون فيما فعله ثعلبة من عرض الصدقة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد سبق امتناعه من أدائها ثم عرضها على خلفائه ما يدل على التوبة ، وقد يكون في رفضها معنى الإهانة له ليعتبر غيره به فلا يمتنع عن الصدقات ، وقد يكون إتيانه بالصدقة كان على وجه الرياء لا على وجه الإخلاص ولذلك لم يقبلها النبي عليه السلام ، ولكن الذى لا مربة فيه أن الله تعالى قال فى شأنه : **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** . وهذا يدل على مبلغ الخطر الذى يحيط بالشخص المستهتر الذى يسدر فى جهالات

الكذب ونقض العهد وغير ذلك من الصفات الذميمة إذ يوشك أن تمتد في نفسه جذور الاثم وتعقب في قلبه أدران النفاق .

الارتباط بين الظاهر والباطن وأهمية حال القلب والارتباط بين

الباطن والظاهر أمر لا شك فيه ؛ ولهذا شرعت العبادات أدوات تقوم فيها الجوارح بأعمال معينة فينصلح بأدائها حال القلب . والواقع أن القلب يتأثر بجميع الأعمال التي تأتيها الجوارح من خير أو شر . وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليصدق فتنتك في قلبه نكتة بيضاء ، وإن الرجل ليكذب الكذبة فيسود قلبه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه : « إن الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فإن هو تاب صقل قلبه ، وهذا هو الرين الذي ذكره الله في القرآن في قوله تعالى : « كلا بل ران علي فلوبيهم ما كانوا يكسبون » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » . - وروى الإمام أحمد

عن مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القلوب أربعة : قلب أجرد مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح . فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فيه نوره . وأما القلب الأغلف فقلب الكافرين . وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر . وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القبيح والدم ، فأى المادتين غلب على الأخرى غلب عليه .

كذلك روى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصى عوداً عوداً . فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء . حتى تعرض القلوب على قايين قلب أسود مر بآء كالسكوز مخنياً لا يعرف معروفه ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب

من هواء ، وقلب أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت
السموات والأرض (٥)

هودا عودا : — أى تعاد وتكرر . وردت عودا عودا ومعناها مسـؤال
الاستعاذة منها

كالخصير : — كما ينسج الخصير هودا عودا — فشيء عرض الفتن على القلوب
واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الخصير على مسانعها واحدا
بعد واحد

أشرف : — دخلت فيه دخولا تاما وحلت منه محل الغراب

نكتت نكتة : — نطقت نقطة — وكل نقطة فى نية بخلاف لونه فهو نكتة

مرباد : — وفى لغة أخرى مربرد ويقال اربأد ومربرد والربدة شىء من
بياض يسمر يختلط السواد

كالكوز بجيا : — مائلا أى ناب نكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة أى
كالكوز التعرف الذى لا يثبت الماء فيه

وقد ذهب علماء الغرب الى أنهم وصلوا في أبحاثهم الواسعة
عن أعماق النفس الانسانية الى معرفة الكثير من كنهها فكان
ما وصلوا اليه جزءاً صغيراً من هذا الهدى النبوي الكريم
فقالوا إن النشاط النفساني يتكون في الانسان من عنصرين :
أحدهما خارجي Objective ارادى يعمل دائماً باحتياط
والثاني ذاتي subjective . وأطلقوا على الأول اسم الشعور
أو العقل الواعي وعلى الثاني اللاشعور أو العقل الباطن وأدرجوا
تحت الأول قوى التمييز والحكم والتفكير وهي التي بواسطتها
نحس بوجود أنفسنا وبأننا كائنات وأشياء . كما قالوا أن الثاني
وهو العقل الباطن يعمل ولا نشعر بوجوده وأن من مظاهره
الذاكرة والعاطفة والخيالة . وقالوا إن اللاشعور يجمع الأحاسيس
التي نحس بها ويسجل الأفكار التي تتوارد علينا ودقائق ما نشعر
به كل الى ما يشبهه ثم هو لا يكتفي بالاحتفاظ بها ولكنه

يذكرنا بها تحت تأثير الأفكار المشابهة أو المقارنة كما ينضج في أعماقه الأهواء والميول والدوافع وكما تختزن فيه الصور والأفكار والعواطف والانفعالات على الأيام والشهور والسنين حتى تتكون منها عقد نفسية تدفع إلى التمسك أو إلى الانكفاء .

وقد ابتدعوا عن طريق هذه الأبحاث المستفيضة طرائق لتربية النفس وتقوية العوامل التي يمكن للإنسان أن يستعملها عمداً للتأثير على نفسه أو على غيره أو على الحوادث التي تهمة ابتغاء الوصول لأغراض معينة منها (١) تنظيم قوى الانفعال والحساسية والعاطفة والاندفاع والخيالة والذاكرة وجميع المظاهر اللاشعورية ووضعها تحت رقابة قوى التمييز والحكم والارادة . و (٢) للقدرة على التأثير على الغير أو التخلص من التأثير عليه (٣) والحصول على أكبر قسط من النجاح وتوسيع مدى الإدراك والذكاء .

والوصول الى هذه الأغراض رتبت طرائق معينة من أهمها الاستهواء وضبط النفس ووضعت لذلك قوانين دقيقة أساسها أن كل فكرة يطول تدبرها ينشأ عنها في النفس تصور معين ينطبق عليه قانون ارتباط المعنوية بالمادية وهذه تعمل في الإنسان تبعاً لقانون التسلسل الفكري وتحدث تغيراً كبيراً أو صغيراً في الميول والرغبات ينطبع في اللا شعور وبذلك يمكن إدخال الفكرة اللازمة لآحداث التغيير الذي يراد إحداثه وهذا يدعو الى الجمع بين فكرة إمكان إحداث التغيير المرغوب وفكرة ضرورة بذل الجهد لآحداثه وفكرة آحداثه فعلاً وبهذا تكون الفكرة في جميع الأحوال من أعظم القوى وقد وجد علماء الفسيولوجيا (وظائف الأعضاء) برهاناً عملياً على قوة الفكر في مسائل التنويم المغناطيسى وخاصة في إحداث الجروح بمجرد الأيحاء وتغيير تكوين الدم بالانفعالات الشديدة وهكذا يقرر رجال علم النفس أهمية الدور الذي تقوم به الأفكار وهو يطابق ما يقرره رجال التصوف وأصحاب مذاهب

التجرد المنتشرين في الهند والتبت والصين وغيرها كالراجايوجا واللاميين والشيوصوفيين وجميعها تثبت وجود التضامن الدقيق بين المادية والمعنوية - وقد رتبوا على هذا التضامن نتائج عديدة منها أن التغذية المفرطة معناها تقييد القوة العامة العضوية لأنها تتطلب نشاطاً زائداً من القوة العصبية للجهاز الهضمي أي إنهاك هذه القوة وبالتالي يزدحم الجسم بالسموم والفضلات وهذا من شأنه الاخلال بنظام الجسم فكان من معجزات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن رفض الطبيب قائلاً إنا قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع . ومن ذلك أيضاً أنهم قرروا وجوب تغليب القوة العاقلة على غيرها ليتمكن الانتفاع بذلك عن طريق مطابقة التوازن بين قوى النفس الإرادية وبين الجسم وتنظيم الوظائف المادية المعتمدة مباشرة على الإرادة وقد ثبت بطريق القطع أن الاستهواء الذاتي له أثر كبير على القوة النفسية وأن له السيطرة الكبرى على النفس . وإن الباحث

أنواع القلوب وقد ورد في القرآن ما يفيد تقسيم القلوب إلى ثلاثة أقسام : (١) قلب سليم وهو القلب الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه قال تعالى «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » (اشعراء ٨٨، ٨٩) (٢) وقلب ميت وهو الذي لا يعرف ربه ولا يعبد ربه ولا يبالي إذا فاز بشهواته وحظوظه رضى ربه أو سخط (٣) وقلب مريض وهو القلب الذي له حياة وبه علة . فقيه من محبة الله تعالى والايمان به والاخلاص له ما هو مادة حياته وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها كالحسد والكبر وحب العلو والفساد والرئاسة ما هو مادة هلاكه . وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين هذه القلوب الثلاثة في قوله تعالى « وما أرسلنا

المدقق ليرى في العبادات وخاصة في الصلاة والصوم مجموعة منظمة أبدع نظام لطرائق تهذيب النفس وتربيتها مقدرة أعظم تقدير للقوى المادية وعلاقتها بالقوى غير المادية الكائنة في الانسان . هذا العالم الا صغير ذلك تقدير العزيز العليم .

من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في
أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في
قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق
بعيد ، وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا
به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط
مستقيم * (الحج ٥٢، ٥٣، ٥٤)

مرض القلب وعلامة ذلك في القرآت وقد وصف المنافقون
مراراً في القرآن بمرض القلب على اعتبار أن هذا الوصف كما
يشمل المنافقين فإنه يشمل من المؤمنين من يترددون بين الطاعة
والمعصية . ويستفاد ذلك من إضافتهم إلى المنافقين في مواضع
كثيرة قال تعالى « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض غر هولاء دينهم » (الأنفال ٤٩) « لنن لم ينته المنافقون

والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
 بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، (الأحزاب ٦٠ ، ٦١)
 « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا
 الله ورسوله إلا غرورا ، (الأحزاب ١٢) على أنه ورد ذكر
 مرض القلب في آيات أخرى للدلالة على المنافقين وخدم وذلك
 كما في قوله تعالى في وصف المنافقين « في قلوبهم مرض
 فزادهم الله مرضا ، (البقرة ١٠) » وأما الذين في قلوبهم
 مرض فزادهم رجسا إلى رجسهم ، (براءة ١٢٥) (أنى
 قلوبهم مرض أم ارتابوا) (النور ٥٠) (أم حسب الذين
 في قلوبهم مرض أن يخرج الله أضغانهم) (القتال ٢٩)
 على أنه مهما يكن مدلول مرض القلب فإن القلب هو مناط
 النفاق كما هو مناط الإيمان وهو سر من الأسرار التي لا يعلم
 حقيقتها ولا يحيط بمكنوتها إلا الله تعالى . وهو إلى جانب ذلك

شديد القلب والتغير تتردد عليه الخواطر وتوارد عليه النزعات
 روى ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري قال : مثل القلب ريشة
 قلبها الرياح بفلاة ، ولهذا المعنى قال الله تعالى : واعلموا أن
 الله يحول بين المرء وقلبه ، : (الانفال ٢٤) . ولهذا أيضاً كان
 النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته : اللهم يا مقاب القلوب
 ثبت قلوبنا على طاعتك ، ولهذا كان تمييز المنافقين على وجه القطع
 ومعاملتهم والحكم عليهم أمراً غير ميسور ولا مستطاع فترك
 الأمر بمعاملتهم بمقتضى الظاهر . كما تركت لهم الفرصة لاصلاح
 شأنهم - وصاروا أمثلة حية تقضى بضرورة التباعد عن مزلق
 النفاق ومواطن الريبة .

والقلب وإن دل على ذلك العضو من البدن الذى يقبض
 الدم من الاوردة فينشره على الرئتين لتطهيره ثم يقبضه من الرئتين
 بعد تطهيره فيبسطه في الشرايين الى كافة البدن إلا أنه يدل أيضاً
 على لطيفة غير متجسمة هي عنصر الحياة الاول وإليها ترجع كل

معتقد الانسان وما يفعله من خير أو شر . وفي علاقة القلب مع العقل والنفس والروح وتعريف كل منها وتمييزه استغرق الفلاسفة والعلماء منذ الازمان السحيقة في القدم في التفكير وتشعبت نظرياتهم - كما ذكر أصحاب العلوم الظلمانية في تفصيل تكوين الانسان من حيث عناصره المادية وغير المادية تفصيلات كثيرة وأسماء عديدة ذكر بعضهم منها القاب كما ذكر بعضهم أسماء أخرى . وليس هنا مجال تفصيل لذلك وإنما نذكر أن القرآن الكريم نسب الى القلب الاعمال الصالحة والفاصلة كما نسب اليه الكفر ووصف القلب تارة بالسلام وأخرى بالقسوة والموت وطورا بالمرض .

ولا شك أن الكذب والنفاق والخيانة أشد الاخطار على النفس الانسانية ، وأعسر أمراضها علاجاً ، قال تعالى : (إنما يخترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وروى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى

يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي الى الفجور ، وإنه
الفجور يهدي الى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند
الله كذاباً .

انتشار الكذب ومع ذلك فانا نرى الآن بأعيننا ونسمع
بأذاننا سطوة الكذب وشهرته حتى لم يترك طبقة ولا صنعة إلا
وذاع فيها أمره ، وطرق البيوت وتشعب بين أفراد الأسرة كما
تفشى بين الجماعات وإن الآب والائمه ليداعبان أطفالهم
بالكذب فكاهة وملحة - ثم اعتبر الكذب فوق ذلك من
ضروريات الحياة ، فالتاجر والصانع يرون أن بضاعتهم تكسب
إذا لم تروجها الايمان الكاذبة وغيرهم يدسون الكذب أفانين
ويعتبرون تارك الكذب من أصحاب الغفلة ويقيسون مقدار
الذكاء بدقة التفنن فيه ولا ينجلون إذا ما انكشف الأمر ، وقد
يتعلل البعض بأقوال من إحياء الشيطان أيسرها أن الكذب
للصلحة جائز . ولم ينبج من هذا المرض غنى ولا فقير ولا عظيم
ولا حقير : يستعمل الغنى والوجيه الكذب للتهديد والتحويل

ويستعمله الفقير والصغير للسكر والخداغ والتمارض من جبروت
 الأغنياء والزعماء وخاصة الاطناب في المدح والاغراق في الاشادة
 بفضل من لا يستحق إلا الامانة واللعن — وغير ذلك في هذا
 الشأن كثير متشعب الاطراف . وليس نصيب الامانة بأحسن
 من نصيب الكذب . فقد أخذت الخيانة بالقلوب والعقول
 وتفتقت لها الازهان والحيل وكل ذلك أزاح الايمان عن موضعه
 وأشغله محله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيد
 بالمعجزات كان ينظر من وراء الغيب الى ما نحن فيه قال صاحب
 سره حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فيما يرويه مسلم حدثنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا
 أنتظر الآخر : حدثنا أن الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال
 ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا
 عن رفع الامانة قال : ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه
 فيظل أثرها مثل الوكت (الاثر اليسير) ثم ينام النومة فتقبض
 الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجمل (أن يكون بين الجلد
 واللحم ماء) كجمر دحرجته على رجله فنقط . فتراه منبرا

(مرتفعاً) وليس فيه شيء - ثم أخذ حصي فدحرجه على رجله -
فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن
في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل ما أجمله ما أظرفه
ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان - ولقد أتى
على زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلماً ليردن على دينه ،
ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه ، وأما اليوم فما
كنت لأبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً .

وهكذا أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يبعد أمته عن أشد
الأمراض الاجتماعية خطراً على المجتمع وعلى النفس إذ تهوى
بها إلى خصائص النفاق .

معرفة كثير من المنافقين أما المنافقون فإن الكثير منهم كان

معروفاً للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وكان ينزل على
الرسول بين آتٍ وآخر ما يفينه بأخبارهم . قال أبو بكر
الأصم : « إن قوماً من المنافقين اصطاحوا على كيد في حق
المرسول صلى الله عليه وسلم ثم دخلوا عليه لاجل ذلك الغرض

فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره به فقال صلى الله عليه وسلم :
« إن قوماً دخلوا يريدون أمراً لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا
الله حتى أستغفر لهم فلم يقوموا فقال ألا تقومون ؟ فلم يفعلوا
فقال صلى الله عليه وسلم قم يا فلان قم يا فلان حتى عدد اثني
عشر رجلاً منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن
نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا
أنا كنت في بدء الأمر أقرب إلى الاستغفار وكان الله أقرب
إلى الإجابة اخرجوا عني فنزل في ذلك قول الله تعالى :
« ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً »

النساء ٦٤

كذلك عرف النبي عليه السلام عصاة المنافقين الذين
تآمروا عليه ليلة العقبة عند عودته من تبوك واستكتم أمرهم
صاحب سره حذيفة اليمان رضى الله عنه ، حتى قيل إنه علم من
النبي صلى الله عليه وسلم جميع أمر المنافقين وحتى إن عمر بن

الخطاب رضى الله عنه كان يدعو في خلافته حذيفة ابن اليمان للاشتراك معه في الصلاة على موتى المؤمنين فاذا امتنع حذيفة من الصلاة علم عمر أن المتوفى منافق فترك الصلاة عليه عملاً بقول الله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) .

وقد روى أكثر من ذلك أن أسماء المنافقين ذكرت في القرآن ثم حذفت وأرى أن هذه مبالغة من أصحاب هذا القول لأن نصوص القرآن واضحة وصريحة أن الله تعالى جعل النفاق موضعاً للاختبار والابتلاء والنظر ، يدل على ذلك قوله تعالى : « ومن حوّلكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » (براءة ١٠١) « ولو نشاء لأريناكمهم فاعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول » (القتال ٣) وهذا يدل دلالة قاطعة أن الله تعالى لم يظهر ضمائر المنافقين ولم يبرز أسرارهم لأن مشيئته اقتضت ذلك

مقرريراً للمبدأ العام الذي سنه الله في خلقه وهو اختصاصه تعالى
بالمضائق وأسرار القلوب وهو تعالى لا يكلف النفوس إلا وسعها
وإنما وضع كثيراً من الطرائق لامتحان القلوب وجعلها محلاً
للنظر والتدبر واستعمال الفكر واكتساب العلم قال الله تعالى
(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الله الخبيث
عن الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) كذلك ترك السيل
مفتوحاً للمنافق أن يصلح سريرته ويصدق في إيمانه قبل أن
تتهتك أسرارته ويفتح أمره - وما كان المنافقون يخلون في أكثر
أوقاتهم من تهتك أستار البعض منهم وكشف أسرارهم . وقد
توعدهم الله في القرآن بذلك فقال : **و يحذر المنافقون أن
تدبر عليهم سورة تذبذبهم بها في قلوبهم ، قل استهزؤا ،
إن الله يخرج ما تحذرون ، (براءة : ٦٤) (أولاً يرون
أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا
هم يذكرون) (براءة : ١٢٦)**

الذين لم يكونوا على درجة واحدة في النفاق على أن المنافقين

لم يكونوا على درجة واحدة من النفاق فمنهم من كان أمره مكشوفاً كعبد الله بن أبي ومعتب بن قشير ، وكانت أعمالهم تتم عن داخل نفوسهم بسهولة وبدون عناء . ولكن كثيراً منهم كان أعق نفساً وأكثر تفتناً فاتخذوا النفاق حرفة وصاروا فيه أساتذة فلم يستطع أحد أن يعلم حقيقة أمرهم حتى الرسول عليه السلام يدل على ذلك قوله تعالى (لا تعلمهم نحن نعلمهم) (برائة ١٠١) وقد كان هذا الصنف من أشد الأصناف خطراً حيث كان يعمد إلى أفعال الأذى في الخفاء يقصد بها النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وحيث كان يمتحن أخطر أنواع الجاسوسية وينقل أخبار المسلمين إلى أعدائهم . وأغرام ما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يجري أمرهم على الظاهر ولا يسالغ في التفتيش عن بواطنهم ولا يسعى في هتك أسرارهم ، فادعوا أن الرسول عليه السلام أذن وقالوا ما هذا الرجل إلا أذن من شاء صرفه حيث شاء لا عزيمة له . وقد روى عن ابن

عباس رضى الله عنهما أن جماعة من المنافقين ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغي من القول فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه ما نقول فقال الجلاس بن سويد بل نقول ما شئنا ثم نذهب إليه ونخاف أنا ما قلنا فيقبل قولنا وإنما محمد أذن سامعة . كذلك أورد ابن هشام والحلي أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عن رجل من بني عمرو بن عوف من الخزرج يدعى تبتل بن الحرث ، يجلس إليك رجل أدلم ثائر شعر الرأس أسفع الخدين أحمر العينين كأنهما قدرا من صفير ، كبده أغلظ من كبدة الحمار ، ينقل حديثك إلى المنافقين فاحذره ، (١) وقد أنزل الله تعالى في هذا الشأن

(*) الأدلم : الأسود الطويل أو المسترخى الشفتين

ثائر شعر الرأس : أى مرتفعه منتشره

الأسفعه : حمرة تضرب للسواد

(ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن
خير لكم يؤمن بالله ويؤمن لأحاديثه ورحة للذين آمنوا
منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) .
(برائة ٦١)

على أن هذا لا يمنع أن كثيراً من المنافقين لم يعلم عنهم شيء
لأنهم اكتفوا بإظهار الإيمان تقية من القتل ولم يقوموا بأى
عمل إيجابي ضد المسلمين .

الباب الثالث

معاملة المنافقين

أهمية البحث قد تكون معاملة المنافقين من أهم الموضوعات التي تتعلق بهذا البحث . فالنفاق يتدرج في دركاته وقد يكون تافها قاصراً على الاختفاء بالسريرة تقية من القتل والكن أوائل الشر تطلب أواخره فتزداد شرته حتى يكون الجاسوسية الخطرة التي من شأنها قلب الانظمة والأوضاع وإدخال الفشل وإيقاد الفتن

الجاسوسية في الحرب والسلام ومقاومتها في العصر الحاضر وإنا نرى الآن بأعيننا ونسمع بأذاننا ما هي طرق الجاسوسية في أعمال الحرب والسلام . ونعلم كثيراً أو قليلاً عما تقوم به ما تسمى أقلام المخابرات السرية بين الدول في الحرب والسلام والوسائل الشاذة

التي تتخذها للوصول إلى أغراضها دون مبالاة بشيء من خلق
أو فضيلة ولا تتوانى عن ارتكاب أفظع الجرائم وأقسى الأفعال
وإلى جانب ذلك تفنن واسع في ضروب الدعاية حتى انتهى
الأمر إلى استمرار الحرب الخفية بين تلك الأقلام لانهاد أوارها
ولو وضعت الحرب الظاهرة أوزارها

والواقع أن مقاومة النفاق بصفة عامة والجاسوسية بصفة
خاصة يحتاج إلى شيء كثير من الذكاء والحصافة وحدة الرأي .
والذي نشاهده على وجه العموم أن القاعة الأساسية في مقاومة
النفاق ليست هي الأخذ بأول الظن وإنما هي التلطف والاستدراج
للإمام بما يدبره العدو وبدقائق كيد ثم تكون المقاومة منصبة
على إفساد التدبير وإحباط الكيد وفي هذا ما فيه من إنهاك
الروح المعنوية

أما إذا انكشف أمر الجاسوس وظهر خطره سافراً إلى
البيان فإن الموقف يتغير كل التغير ولا يبقى هناك محل للتلطف
والاستدراج وإنما جزاءه القتل أو العقوبة الشديدة التي تقبده
وتجرده من القدرة على أي عمل

علاج النفاق ذلك ما يحرى عليه العمل الآن بين الدول والحكومات وهو علاج النفاق بالنفاق ثم هو عداوة سافرة وعقوبة لارحة فيها إذا انكشف الأمر فأما في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اختلف الأمر عن ذلك اختلافا كبيرا فالرسول الكريم كان أبعد الناس عن حب الانتقام والأخذ بالثأر وهو الذى صبر أكبر الصبر على أذى المشركين وأعوانهم واشتد الأذى حتى أغروا به السفهاء والعبيد يسبونه ويصيحون به وقذفوه بالحجارة حتى دميت قدماء فدعا الله أن يهديهم وقال اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون . ووصفه الله تعالى فى كتابه العزيز فقال : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ولهذا لم يعالج الرسول عليه الصلاة والسلام النفاق بالنفاق . فالنفاق خاق ذميم ، وهو أشد ما يكون بعداً عن الرسول الكريم . وكان الى جانب ذلك أشد الناس ذكاء وحصافة مؤيداً بالمعجزات وتجلت صفاته الباهرة فى معاملته لهذا الصنف من الناس

أقسام الناس حسب ظاهر العقيدة ولقد انقسم الناس حسب

العقيدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أربعة أقسام
 ١، مؤمنون ٢، وكفار محاربون ٣، ومؤمنون من غير عقد
 الجزية أى أن النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم ووادعهم على
 ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على
 أنفسهم وأموالهم ٤، وأهل ذمة وهم الذين عقدت
 لهم الجزية

أما انقسامهم حسب باطن عقيدتهم ، فهو التقسيم الذى
 أورده الله تعالى فى أول التنزيل ، أى الى مؤمنين وكفار
 ومنافقين .

القاعدة الأساسية فى معاملة المنافقين والقاعدة الأساسية التى
 اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع شأن المنافقين
 وأحوالهم كانت تتلخص فى معاملتهم حسب ظاهرهم فكان
 يجرى أمرهم على هذا الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش عن بواطنهم
 ولا يسعى فى هتك أستارهم ، وكان يقول إن الله تعالى يتولى
 السرائر . وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تولى الله

ملك السرائر المريضة فأخرج أضغانها وأهلكتها أحقادها . وكان ذلك سبباً أن آمنوا في النفاق ورموا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أذن أنه ليس له ذكاء ولا بعد غور ، وأنه سريع الاغترار بكل ما يسمع ، وصحح الله الوصف بقوله تعالى : قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم . .

ولقد انكشف أمر كثير من المنافقين في الحروب وغير الحروب وخاصة فيما قام به ابن أبي من القبائح في غزوة أحد وبني المصطلق وتبوك ونزل في شأنه كثير من الآيات التي فضحت أعماله حتى عرض ابنه على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل أباه فأبى ذلك ماضياً في الطريق التي ارتسبها معه ومع أمثاله المنافقين دون أن يخصص أو يجند لهم فرقة لمقاومتهم والتجسس عليهم واتخاذ النفاق لكشف أستارهم

هذه القاعدة الأساسية التي عومل بها المنافقون هي القاعدة التي لا مناص من الأخذ بها في هذا الموضوع لأنها القاعدة

الوحيدة التي تتفق مع العقل والمنطق السليم . ومناطها ان العلم بحقيقة السرائر يستحيل على العقل البشرى الجزم به . وانما العلم بها على حقيقتها عند الله وحده . ولهذا السبب لا يمكن أن يترتب على مجرد الظن حكم شرعى . صحيح أن بعض الأحداث قد تكشف الكثير من مكنونات القلوب ويتميز بها الخبيث من الطيب ، ولكنها لا تؤدي الى القطع بمكنون النفس ، وخاصة فيما يتعلق بالحكم على انسان بالإيمان أو الكفر الا اذا كانت الأحداث فى ذاتها بما يترتب عليه حكم من الأحكام

النهى عن الحكم بالظن وقد ورد فى كتاب الله وهدى رسوله زجر شديد لمن رأى أن يترتب الأحكام على الظن . فقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رجل فى غنيمة له فلحقه المسلمون فقال : السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا فيبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك

كُتِبَ من قبل فن الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون
خبيرا ..) (النساء ٩١)

فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته الى أهله ورد عليه
غنيمة — وقد روى أكثر كتاب السير أن القاتل كان محلم بن
حشامة وأن المقتول عامر بن الأضيظ وأن النبي صلى الله عليه
وسلم دعا على محلم فمأ عاش بعد ذلك الأسبعا ثم دفن فلم تقبله
الأرض ثم دفن فلم تقبله ثم دفن ثالثا فلم تقبله ، فلما رأوا أن
الأرض لا تقبله ألقوه في بعض تلك الشعاب ، وقال النبي عليه
السلام ان الأرض لتقبل من هو شر منه وفسر الحسن البصري
بأن هدم قبول الأرض له كان وعظا للقوم حتى لا يعودوا
لمثل ذلك .

وروى ابن ماجه عن عمران بن حصين قال : بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المسلمين الى المشركين فقاتلوهم قتالا شديدا
فقتلهم أكتافهم فحمل رجل من لحنى على رجل من المشركين
بالرمح فلما غشيه قال أشهد ألا إله إلا الله إني مسلم فطعننه فقتله

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت
قال وما الذى صنعت مرة أو مرتين فأخبره بالذى صنع فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا شققت عن بطنه فعملت
ما فى قلبه فقال يا رسول الله لو شققت عن بطنه أ كنت أعلم ما
فى قلبه قال لا فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما فى
قلبه . ثم سكوت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلبث
يسيراً حتى مات فدفناه فأصبح على وجه الأرض فقلنا لعل عدواً
نبشه فدفناه ثم أمرنا غلماننا يحرسونه فأصبح على ظهر الأرض
فقلنا لعل الغلمان نعضوا فدفناه ثم حرسناه بأنفسنا فأصبح على
ظهر الأرض فألقيناه فى بعض تلك الشعاب

ويتضح من هذه القصة فى جلاء لا يتطرق اليه الشك أن
القلوب أمرها مغايق لا يعلمه إلا الله ، وكان فى تعبير الرسول
الكريم عن استحالة الاطلاع على القلوب أكبر العظة والعبرة

السبب فى عدم قتل المنافقين وآراء الأئمة فى ذلك وقد نشأ بين الفقهاء

فى هذا العدد مسألة عليية فقهية كانت موضعاً لكثير من النقاش
والجدل بين الأئمة وهذه المسألة هى تفصيل السبب الذى من أجله

مسك النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين مع عليه بنفاقهم .

قال الإمام مالك رحمه الله : لتفارق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة فينا اليوم فيقتل الزنديق إذا شهد عليه دون استتابة وإنما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه إذا لم يشهد أحد على المنافقين — وقد نقل في ذلك أنه لم يشهد على عبد الله بن أبي إلا زيد بن أرقم وحده ، ولا على الجلاس بن سويد إلا عمير بن سعد ربيه ، ولو شهد على أحد منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل . وقد رد على ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام حكم بقتل الحارث بن سويد لأنه قتل المجذر بن زياد غيلة في موقعة أحد أخذاً بالثأر لأن المجذر قتل أباه سويداً يوم بعاث . وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاغتيال أعلمه به جبريل عليه السلام وقضى بقتل الحارث لهذا العلم . كذلك رد عليه بأن قاعدة أن القاضي لا يحكم بعلمه إنما يستند على الإجماع ، والإجماع لا ينقصد ولا يثبت إلا بعد النبي صلى الله عليه وسلم وانقطاع

الوحي ، وإذن فلم يكن هذا سبياً في امتناعه صلى الله عليه وسلم من قتلهم وخاصة أنه قال في صراحة واضحة لا تحمل التأويل إنه إنما يحكم بالظاهر وأن الله تعالى يتولى السرائر . وقد عرض عمر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن في قتل ابن أبي فحكان رده ، ترعد له إذن أنف كثيرة يثرب ، ثم كيف إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه . كذلك عرض أسيد ابن حضير رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل المتأمرين عليه في العقبة عند عودتهم من تبرك فقال صلى الله عليه وسلم اني أكره أن يقول الناس ان محمداً قاتل بقرم حتى اذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم . فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله ليس يظفرون الشهادة ؟ وهذا يدل دلالة واضحة أن الامتناع عن قتلهم كان سياسة حكيمة أطفأت نار الفتنة كلما حاولت أن تستمر

وللشافعي رأيان الأول موافق لرأي الامام مالك والثاني هو أن من شهد عليه بالزندقة فجحد وأعلن الايمان وتبرأ من كل دين سوى الاسلام أن ذلك يمنع من اراقه دمه . وقد وافقه على

هذا رأى الامام أبو حنيفة وأصحابه والامام احمد بن حنبل ،
وقال الطبرى فى الموافقة على هذا رأى أن الله تعالى جعل
الاحكام بين عباده على الظاهر وتولى الحكم فى سرائرهم دون أحد
من خلقه فليس لأحد أن يحكم بخلاف ماظهر لأنه حكم بالظنون
ولو كان ذلك لأحد لكان أولى الناس به رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وقد حكم للمنافقين بحكم المسلمين بما أظهروا
ووكّل سرائرهم الى الله . وقد كذب الله ظاهرهم بقوله « والله
يشهد إن المنافقين لكاذبون » وإنما يلاحظ أن الآية الكريمة
لم تعين أشخاص المنافقين وجاءت بحكم عام فيه توبيخ لكل
مغموص عليه بالنفاق وبقي لكل واحد منهم أن يقول انى لست
المقصود منها وما أنا إلا مؤمن .

وهناك رأى لأصحاب الشافعى وهو أن النبى صلى الله عليه
وسلم لم يقتل المنافقين لأن الزندىق الذى يسر الكفر ويظهر
الإيمان يستتاب ولا يقتل — وقد رد على ذلك أن النبى عليه الصلاة
والسلام لم يستبهم بل كان معرضاً عنهم مع علمه بهم وليست

استنابة الزنديق واجبة . والواقع أن هذا الرأي لا يؤدي الى
أى نتيجة لأن الاستنابة على فرض حصولها لا ينتهى أمرها
إلا إلى أمر واحد وهو إظهار التوبة إمعاناً فى النفاق
والتضليل .

معنى الزندقة والملاحظ من مراجعة هذه الأقوال أن الفقهاء
قد استعملوا فى هذا الصدد لفظ الزندقة وجاء لونها
مرادف النفاق . واعتبر الإمام مالك رحمه الله أن النفاق كان فى
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وأن الذى يقابله بعد
ذلك العهد هو الزندقة وإذا رجعنا إلى هذا اللفظ ومدلوله وجدنا
لفظاً عاماً يدل على ضروب كثيرة من الكفر منها النفاق ولم
يستعمل هذا اللفظ إلا بعد فتح بلاد فارس والروم والهند
واقصال المسلمين بأصحاب هذه البلاد وأهلها . وقد كان بهذه
البلاد ديانات عديدة شملت عقائد مختلفة أسست على قواعد
راسخة من الخيال والميثولوجيا (الخرافات) لا تمت إلى الحقائق
بسبب وليس فيها من الحق إلا التزر النادر اليسير . ومثال ذلك

الديانات الثنوية والمجوسية والبرهمية والمناوية والمزدكية
والصابئة (هـ) .

(هـ) الديانات الثنوية فرق من الكفار يزعمون أن للعالم
إلهين إله للنور اسمه بردان وإله للظلمة واسمه أهرمن وأن الأول
إله الخير والثاني إله الشر — وهذه الديانات فرق وطوائف منها
المناوية والمزدكية والزرادشتية ثم المامونية والديصانية —
وكلها ديانات وثنية مليئة بالعقائد الخرافية زعم أصحابها أن
المعبودات قسمان متباعدان من أصليين أزليين أحدهما فاعل للخير ،
والثاني فاعل للشر وزعموا أن فاعل الخير أدنى من فاعل الشر وإن
الأول سينتصر على الثاني انتصاراً تاماً . ويلاحظ أن هذا المذهب
الخرافي انتقل الى كثير من البلاد بصور مختلفة بين الأمم القديمة
حتى أن فلاسفة اليونان كرروا ذلك وقالوا أن المقصود هو تقرير
الشر وايضا تركيب العالم وبقائه وان الاصلين هما الروح والعقل
وان الروح هي المبدأ للفاعل وأنه لولا المادة لم يكن لهذا الروح
ان يخلق العالم كما ذهب أفلاطون وأصحاب مذهب الرواقيين أن

دوام المادة هو سبب الشر .

اما البراهمة فديانة منسوبة الى برهم معبود الهند الاول وهو
عندهم أصل الموجودات وانه واحد ازلى مطلق غير متغير ولا
مدرك ، سابق لكل مخلوق خلق العالم كله بمجرد ما أراد دفعة واحدة
بقوله أوم أى كن — وقالوا ان برهم هذا عبارة عن تشخيص
لجميع القوى الباطنة والظاهرة في الانسان وفي جميع العالم مجتمعة
في فرد مستمر زمناً طويلاً على حالة واحدة ثم يجعلون من هذا
الفرد اسماً للاقانيم الثلاثة التي يتألف منها ثلاث الهنود وهي برهما
ووشنو وسيوا ويزعمون ان الكائنات الاولى ولدت من اتحاد النور
الذي تولد من برهم المسمى مارتشي الذي اتحد مع الخلاء المسمى
فاسيابا — ولأصحاب هذه الديانة تفاصيل كثيرة عن برهما وكيف
ينبثق في نفسه في الاقانيم الثلاثة ثم يروون قصصاً طويلة عن عجبه
وكبريائه وزواجه ومساعديه وأولاده وغصبة وخصامه مع اولاده
ونسلمهم كلها على طولها وتشعبها منشورة في كتبهم وخصوصاً
كتابهم المقدس المسمى فيداس وهو لا يزيد في هذا الشأن عن خرافات
مستغرقة في الخيال والكفر .

وكلمة زنديق فارسية معربة تختلف في أصلها فقليل (١)، إنها معربة عن زنده نسبة إلى زند وهو كتاب أظهره مزدك صاحب الديانة المزدكية وهي إحدى الديانات الثنوية في زمن كسرى، قباذقة، ب إليها أصحابه وهي ديانة تشبه في مبادئها ما يسمى بالشيوعية في العصر الحاضر إذ أنه يبيح الاشتراك في المال والنساء كاشتراك الناس في الماء والكلاء . وقيل (٢)، إنه معرب عن زندا وهو دين المجوس . وقيل (٣)، أنه معرب عن الكلمة الفارسية زين دين أي صاحب الدين إشارة إلى من يعتقد بديانة زراوشت .

وتختلف في تعريف الزنديق فقليل (١)، إنه الثنوي القائل بوجود خالقين إله النور بردان وإله الظلمة أهرمن وأن الأول إله الخير، والثاني إله الشر . وقيل (٢)، إن الزنديق من لا يؤمن بالله والربوبية وينكر وجود الباري . جل شأنه ، أو

من يدعى أن له شريكا أو ينكر حكمته — قال ابن الراوندى :-
كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه

وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الأوهام حائرة

وصير العالم التحرير زنديقا

وقيل أيضاً ٣٠، إن الزنديق هو من يبطن الكفر ويظهر

الإيمان . وفى هذا قيل :

يخداد دار لأهل المال طيبة

وللفاليس دار الضنك والضيق

ظلت حيران أمشى فى أزقتها

كأننى مصحف فى بيت زنديق

وقيل أيضاً ٤١، إن الزنديق من لا يتدين بدين أصلا . ومن

هذا يضح أن كلمة زنديق استعملت استعمالا واسعا بحيث شملت

الكافر المجاهر بالكفر كما شملت المنافق . وقد قسم الفقهاء الحكم

على الزنديق بصفة عامة إلى وجهين أولهما أن يكون كافراً في الأصل وحكمه أن يترك على كفره إلا إن كان محارباً . والثاني أن يكون مسلماً فتزندق فإنه يعتبر مرتدأ ويقتل على التفصيل السابق إيراده . وقد ألحق بالزنديق من يبطن الكفر ويظهر الإيمان .

تشعب الفرق والزندقة وهذا الوضع إنما أتى من الاشكالات المتشعبة التي عرضت للمسلمين بعد أن فتحوا بلاد فارس والروم والهند فقد كان أصحاب هذه البلاد يدينون بديانات مختلفة معتمدة على الخرافات ولكن وضع لها أوضاع فلسفية منمقة يسهل بها إدخال الفتن على ضعاف العقول ، ويضاف الى ذلك أن كثيراً من أهل تلك البلاد دخلوا في دين الاسلام إن صدقا وإن كذباً ، وما زالت العقائد التي كانوا يدينون بها محتشدة في رؤوسهم . فعمد بعضهم الى اعتناق الدين الاسلامي ، ولكنه لم يستطع أن يذبذ جميع عقائد الكفر وحاول أن يدخلها على الاسلام أو يوفق بينها وبين مبادئه . كما أن البعض الآخر لم

يدخل في الاسلام الارياة وتضليلة ، وعمد الى إدخال الزيف على العقائد الاسلامية وصبغ الزيف بالأوضاع الفلسفية المزيفة المعقدة ، وتنج عن ذلك أن تكلم عدد كبير من الفرق واشتغل العلماء والفقهاء في جميع العصور التي تلت ذلك يبحث هذه العقائد وتمحيصها ونفى الزيف منها وتنفيذ فلسفاتها ، وأطلق لفظ الزندقة على جميع المذاهب والفرق التي تتعارض مع أصول الدين الاسلامي ، وألحق بها من يبطن الكفر ويظهر الايمان .

أشكال النفاق بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والواقع أن النفاق
قد افترج بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم صحفاً جديدة واتخذ أشكالاً واسعة ، وقد كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم محصوراً في جزيرة العرب بل في المدينة والبوادي التي حوالها . فما إن اتسعت رقعة الاسلام بالفتوحات حتى اتسعت دوائر النفاق وتكاثرت شياطينه في كل مكان ، واتخذ من الصور أشكالاً لا يبعدها الحصر ، ودخل في الخلافة والسياسة والحروب ، كما دخل في العقائد والفقه والشريع وغير ذلك ، وتعمق أصحابه

في التفتن والابتداع حتى وضعوا الأحاديث المكذوبة ونسبوها
 للنبي صلى الله عليه وسلم وأدخلوا في الدين ما ليس منه ، ولا
 تزال آثار هذا النفاق تملأ الكتب كما تملأ النفوس . وتفصيل
 ذلك خارج عن موضوع هذا الكتاب . وإنما يهمنا هنا أن نشير
 فقط أن الزندقة كما تشمل النفاق فإنها تشمل ضروباً أخرى من
 الكفر ، وليس هناك ما يلزم قصر النفاق على عهد رسول الله
 عليه السلام . وقد اتخذ عمر رضي الله عنه في معاملة المنافقين
 إبان خلافته بقواه : أيها الناس إن الوحي قد انقطع ، وإنما
 نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر خيراً
 أمناه وقربناه ، وليس لنا من سريرته ، الله يحاسبه في سريرته
 ومن أظهر سوءاً لم نؤمنه ولم تصدقه ، وإن قال إن سريرته
 حسنة .

ملخص آراء الأئمة وإذا راجعنا آراء الأئمة الأربعة فيما
 يتعلق بالحكم على المنافق أو كما أطلق عليه اسم الزنديق نرى أن
 حكم الأئمة الثلاثة أبو حنيفة والشافعي وأحمد يؤول إلى عدم

قتل المنافق والأعراض عنه وهو ما جرى عليه الأمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يقتضى أن الحكم إنما يكون طبقاً للظاهر وأن الله تعالى هو الذى يتولى السرائر . ولقد حاول ابن أبى محاولات كثيرة للقضاء على النبي عاىة السلام وعلى المسلمين وانكشف أمره فى أغلب محاولاته ، وآذى النبي عليه السلام إيذاء بالذأ وصل الى حد الطعن فى عرض زوجته السكريمة فما عمد النبي صلى الله عليه وسلم الى الانتقام ومررت الزوابع التى أثارها ابن أبى بالسلام والظفر للمؤمنين ، وأثبتت الأيام أن تلك السياسة هى التى قضت على المنافقين . ولو أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ سياسة أخرى وهاجم من ثبت عليهم النفاق فقتلهم لوجد رؤساء القبائل من ذلك ذرائع لا يغار الصدور ولا تفتح باب الاخذ بالظن على مصراعيه ، ويضاف الى ذلك أنه كان بين المنافقين من يتردد ولا يقطع بتكذيب النبي عليه السلام ولا يصدقه كما كان فيهم من يعرف صدقه ويعانده .

عدم التفاضل من شأن المنافقين وجهادهم ولا يتطرق الى الذهن

ان المقصود بسياسة ترك المنافقين وعدم محاكمتهم هو التغافل عن شئونهم ومكائدهم فان ذلك ليس من الحزم في شيء ، بل إن من شأنه أن يمكنهم من تحقيق ما يكيدونه ونشر الفساد الذي يبغونه . والقرآن لم ترد نصوصه في هذا الشأن على وتيرة واحدة فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم مراراً بالأعراض عنهم فقال تعالى : « والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلاً » (النساء : ٨١) « يحافظون بالله لصلواتهم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم إنهم رجس » (براءة : ٩٥) وإلى جانب ذلك يأمر الله تعالى بجهادهم في قوله : « يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم وماوئعهم ولبس المصبر » (براءة : ٧٣ ، التحريم : ٩) ولا شك أن المراد بمجاهدة المنافقين في هذه الآية ليست محاربتهم بالسيف كمحاربة الكفار لأنهم كانوا يظهرن الاسلام وينكرون الكفر ، فجهادهم كان من نوع آخر لأنه في حد ذاته

عبارة عن بذل الجهد ، والآية الكريمة لم تحدد هذا الجهد فهو
يعتمل على طرق لا حصر لها من إظهار الحجة والدعاية الحسنة
والأخذ باللين أو بالشدة حسب الظروف الملائمة . وفي هذا
أبلغ الإعجاز إذ يترك الباب مفتوحاً للذكاء أن يتخذ ما يستطيعه
من الوسائل لأحباط كيد التناق في حدود ما أحل الله دون
اقتحام لأبواب الآثام والمنكرات .

ويستفاد من النصوص القرآنية أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان شديد الرأفة والحرص على الناس ، ويفسح لهم من صدره
الشريف أكبر الافساح ، وعائبه الله تعالى في بعض ذلك ،
كما حدث في قبوله استئذان المنافقين للتخلف عن غزوة
تبوك وغيرها ، كما أمره بعدم الحزن عليهم بقوله :
« يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ »
(المائدة : ٤١)

ومع ذلك فقد أنزل الله تعالى كثيراً من التعليبات التي من شأنها اتقاء شرور المنافقين كان من أهمها عدم موالاةهم والاختلاط بهم والتنبية إلى صفاتهم وأحوالهم ومكائدهم .
وسنفرّد فيما يلي شيئاً مما ورد عن ذلك .

النهى عن موالاة المنافقين

ورد النهى فى الأصل عن اختلاط المؤمنين بالكفار من أهل الكتاب والمشركين ، أو ربط أو اصر الصداقة والوفاء معهم أو موالاتهم ، وذلك فى قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .** فتري الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، فيصيحوا على ما أسروا فى أنفسهم ناديين ، (السائدة ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣) ولهذا كان الانضمام الى الكفار وموالاتهم مخالفة صريحة للقرآن ، وكان من أعظم الدلالات على النفاق ، ومن أخص خصائص المنافقين الذين

كانوا يوالون الكفار ويعاهدونهم في السر وأحياناً في العلن .
وقد سبق القول أن الحوادث قد كشفت وجود عهود سرية
مستورة بين عبد الله بن أبي وبين يهود المدينة ، وأنهم كانوا
يعقدون اجتماعات كثيرة للتآمر ، وأن الكفر والضغن كانا
يجمعان بين قلوبهم : يقول بعضهم لبعض إن أمر محمد لن يتم فيقول
اليهود إن العزة والمنعة لهم ، أي لكفار الأوس والخزرج
من الوثنيين المنافقين الذين راحوا لليهود يستجدون منهم
الإشادة بذكر عزة ومنعة لا وجود لهما إلا في رؤوسهم
الخاوية .

اشتراك اليهود في النفاق وقد ساعد على وجود التآمر عن

طريق الموالاة أن بعض اليهود اشتركوا في النفاق ، وكان منهم
منافقون أمثال أوس بن قيطي وشاس بن قيس وزيد بن اللصيت
ومشوا في النفاق على سنن ابن أبي وأحزابهم . وقال الله تعالى في
شأنهم (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل
على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم

يوجهون) (٢٣ مرات ٧٢) (وإذا جاءكم قالوا آمنا
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما
كانوا يكتُمون) (الأنعام ٦١)

وكان المشركون في مكة يخوضون في مجالسهم في ذكر القرآن
ويستهزئون به ، فأنزل الله تعالى : « وإذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره ، وإما يتنسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع
القوم الظالمين » (الأنعام ٦٨) فلما هاجر النبي صلى الله عليه
وسلم إلى المدينة فعل أحبار اليهود مثل فعل المشركين من
الاستهزاء ووافقهم المشركون كما وافقهم المنافقون . فساوى
الله تعالى بين المنافقين وأولئك الأَحْبَار في الكفر ، ونهى عن
مؤالاةهم والاختلاط بهم . وفي ذلك يقول الله تعالى :
(يخبر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون

الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيدتغنون عنهم العزة ،
فإن العزة لله جميعاً . وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا
معكم آيات الله فكفروا بها ولا تفتقدوا ربكم حتى
يخطفكم في حديث غيره ، إنهم إذ ذك مثاهم ، إن الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) (النساء ١٣٨ وما بعدها)

ولم يقف الأمر بين المنافقين والكافرين من المشركين
وأهل الكتاب على أمكنة معينة ، بل كانوا يتآمرون حينما
سئحت لهم الفرصة ، حتى لقد وصل اللؤم بالمنافقين أن
يتخذوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم موطناً
لتآمرهم .

منافقون يتآمرون للمسجد وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإخراجهم

وقد ورد في الأخبار أن المنافقين كانوا إذ يحضرون المسجد
يستمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون ويستمزنون بدينهم ،

فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ، فقام أبو أيوب ، خالد بن زيد بن كليب إلى عمرو بن قيس أحد بني غنم بن مالك بن النجار ، وكان صاحب آلهم في الجاهلية - فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد وهو يقول : « أخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة . ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن وديعة أحد بني النجار فلبسه بردائه ثم فتره (جذبه) فترأ شديداً ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد ، وأبو أيوب يقول له : « أف لك منافقاً خبيثاً ! أدراجك (ارجع من الطريق التي جئت منها) يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو وكان رجلاً طويلاً اللحية ، فأخذ بلحيته فقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه فلطمه (ضرب بطن الكف) بهما في صدره لدمة خر منها وهو يقول خدشني يا عمارة قال أبعذك الله يا منافق ، فما أعد الله لك

من العذاب أشد من ذلك . فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن يزيد من بني غنم ابن مالك بن النجار الى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان قيس غلاماً شاباً ، وكان لا يعرف في المنافقين شاب غيره ، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد . وقام رجل من بلخدره بن الخزرج ، رهط أبي سعد الحُدري يقال له عبد بن الحارث الى رجل يقال له الحارث بن عمرو ، وكان ذا جمة ، فأخذ بحمته فمسحبه بها مسحاً عنيفاً على ما مر به من الأرض حتى أخرجه من المسجد والمنافق يقول لقد أغاظت يا ابن الحارث فقال له إنك أهل لذلك أي هدر الله ، لما أنزل الله فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك نجس . وقام رجل من بني عمرو بن هوف الى أخيه زوى بن الحارث ، فأخرجه من المسجد إخراجاً عنيفاً وأفف منه وهو يقول له غلب عليك الشيطان وأمره .

سب النبی ومهما يكن من الأمر فإن كثيراً من المؤمنين كان يغتر بظاهر أقوال المنافقين وأحوالهم ويظنون فيهم

الصدق فيفشون اليهم الأسرار ، ويطلعونهم على الأحوال الخفية وخاصة لما كان بينهم من المحبة والعلاقة بسبب النسب والمصاهرة والرضاع ، ولكن الله تعالى منع المؤمنين من ذلك وأفهمهم أن تلك القلوب كانت مائلة بالغیظ والحقد بسبب ما رأوه من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وازدياد قوة الاسلام قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألواكم خبالا ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ، وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلووا حضروا عليكم إلا نامل من الغیظ ، قل موتوا بغيظكم ، إن الله عليم بذات الصدور) (آل عمران ١١٨، ١١٩)

الباب الرابع

أحوال المنافقين وصفاتهم

النفاق جامع لجميع الآفات والحصل الذميمة النفاق جامع لجميع الآفات والحصل الذميمة في الدين والدنيا ، وخطره أشد الأخطار على العقائد والنفوس وعلى الهيئة الاجتماعية . ولذلك عني القرآن بتفصيل أحوالهم وبيان قبائح أفعالهم وفضائح أعمالهم وصب عليهم أسوأ ما متوالية من العذاب والبلاء والمحن . وسبق أن ذكرنا الكثير من أحوالهم في الحروب وطرقا من أحوالهم في مواقف أخرى ، وقبل أن نحاول استجماع ما ورد في كتب السير والتاريخ عن تلك الأحوال نقول إن جميع أحوالهم وأعمالهم يشترك فيها عامل واحد تصدر جميعها عنه وتختلط به ،

وهذا العامل هو الحيرة وما يتبع الحيرة وينجم عنها من الاضطراب والقلق والحياة في الظلام وشدة التردى في الأخطاء وصفات الجبن والنذالة والبخل وما إليها .

عامل الحيرة يشترك في جميع أحوال المنافقين وصفاتهم وقد ورد

في أول القرآن بعض صفات المنافقين ، كما سبق ذكره ، ثم شرحت إجمالاً في سورة المنافقين وفصل كثير منها في مواضع متفرقة شمل بعضها عدداً كبيراً من الآيات كما في سورة النساء ولو ضمت الآيات التي نزلت في شأن المنافقين بعضها إلى بعض لبلغت ما يقرب من عشر القرآن . وإلى جانب ذلك آيات أخرى تنص على أمور عامة يمكن أن تشمل المنافقين وغيرهم .

مثالات عن الحيرة من القرآن وقد مثل الله تعالى لهذه الحيرة

مثلين مركبين في أوائل سورة البقرة عقب ذكر صفات المنافقين العامة أودع فيهما أسرار النفاق مفصلة أبداع التفصيل وأدفع وجعل فيهما الكلمة الجامعة المانعة قال تعالى :

• (١) مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .
 صم بكم عمى فهم لا يرجعون (٢) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير .

وقبل أن نستطرد في ذكر أحوال المنافقين وصفاتهم نرى لزماً علينا أن نتفهم كيف كانت الحيرة والاضطراب اللذين مثل لهما هذان المثالان .

ويلاحظ أولاً أن الأمثال وردت كثيراً في القرآن الكريم يقول الله تعالى : • وتلك الأمثال تفر بها للناس لما هم

يتفكرون ، (الحجر ٢١) « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » (العنكبوت ٤٣)
« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون » (الزمر ٢٧) « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » (البقرة ٢٦) والواقع أن الأمثال من أقوى الأساليب التي تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه لأن الغرض منه تشبيه الأمر الخفي بالشيء الجلي والغائب بالحاضر فيتأكد الوقوف على ماهيته ويتجسد معناه ويصير بذلك الحس مطابقاً للعقل ، وذلك نهاية الإيضاح ومثاله تشبيه الإيمان بالنور والكفر بالظلمة ، فالترغيب في الإيمان مجرداً عن ضرب المثل يتأكد وقوعه في القلب إذا مثل بالنور كما يتأكد النفور من الكفر إذا مثل بالظلمة ، وكتأكيده الضعيف عند تمثيله بنسج العنكبوت .

المثل الأول يشبه الله تعالى حيرة المنافقين في الدنيا والآخرة

في المثل الأول بحيرة من أعطى نوراً ثم سلب منه ولم ينتفع به ،
ويشبههم في المثل الثاني بمن أخذته السماء في ليلة حالكة الظلمة
بمطر هطال غزير يشتد فيه لمعان البرق وقصف الرعد ؛
وهو يتوقى الموت بما لا يفيد فيضع أصابعه في
آذانه .

وقد ذهب المفسرون في تفسير هذين المثلين مذهب شتى :
فأما عن المثل الأول فقال بعضهم إن وجه التشبيه أن مستوقد
النار لما زال عنه النور تحير ؛ وحيرة من كان في نور ثم زال
عنه أشد من حيرة السالك في ظلمة مستمرة . ولا شك أن المنافق
كان يحيط به نور المؤمنين من كل ناحية ويسمع هدى النبي
صلى الله عليه وسلم ولا ينتفع به .

وقال بعضهم إن استبقاء النار هو إظهار المنافق كلمة الإيمان
وهو يزين ظاهره بهذا النور ، ثم يذهب الله ذلك النور بهتك ستر
المنافق فينكشف أمره للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وهو
في كلا الحالين يتردد في الحيرة :

وقال الحسن البصري إن المنافقين لما أظهروا الاسلام
ظفروا بحق دمائهم وسلامة أموالهم عن الغنيمة وأولادهم
عن السي ، كما ظفروا بغنائم الجهاد وسائر أحكام المسلمين ،
فكان ذلك نوراً من نور الايمان ، ولما كان ما ظفروا به
بدون حق قليلا بالنسبة الى العذاب الاليم شبههم بمستوقد
النار الذي انتفع بضوئها قليلا ثم ملب منه فدامت حيرته
وحسرتة للظلمة التي جاءت في أعقاب النور ، فكان يسير
انتفاعهم في الدنيا يشبه النور ، وعظيم عذابهم في الآخرة يشبه
الظلمة .

وقال بعض المفسرين أن المقصود من التشبيه هو أن الهدى
الذي باعوه كالنار المضئية حول مستوقد النار ، وأن الضلالة
التي اشتروها أذهب الله بها ذلك النور وتركهم في
الظلام .

المرثية وأما عن المثل الثاني فقد شبه الله المنافقين في
حيرتهم وجهلهم بالذين يسرون في ظلمات ثلاث ، ظلمة الليل

وظلمة السحاب ، وظلمة المطر ، يصحب ذلك رعد و برق
وصواعق : فالصواعق تدفعهم أن يجعلوا أصابعهم في آذانهم
خز الموت ، والبرق يكاد يعمي أعينهم ، ويخطف أبصارهم ، فإذا
أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا ذهب عنهم بقوا في ظلمة كثيفة
وعاودتهم الحيرة ، لأن من أصابه البرق في هذه الظلمات
الثلاث ، ثم ذهب عنه تشدد حيرته وتعظم الظلمة في عينيه ،
وتكون له سبباً في اشتداد الحيرة ، بخلاف من لم يزل في
الظلمة . وهذا يشير الى نهاية الحيرة في الدين ونهاية الخوف
في الدنيا . والمثل الثاني أدل على فرط الحيرة وشدة
الآخطاء .

ولعلماء البيان في المثل الثاني رأيان أولهما أنه تشبيه مفرق وهو
أن يكون المثل مركباً من أمور ، والمثل يكون أيضاً من أمور
ويكون كل واحد من المثل شيئاً بكل واحد من الممثل . فها هنا
شبه دين الاسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الارض
بالمطر . وشبه ما يتعلق به من شبهات الكفار بالظلمات ، وما

فيه من الوعد والوعيد بالبرق والرعد . وما يصيب الكفرة من
الفتن من جهة الاسلام بالصراخ ، ويكون معنى المثل
أن المنافقين مثلهم كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه
الصفة .

والرأى الثانى أنه تشبيه مركب . وهو الذى يشبه فيه مدلول
إحدى الجملتين بمدلول الأخرى بصفة إجمالية فى أمر من الأمور
وإن لم تكن آحاد إحدى الجملتين شبيهة بآحاد الجملة الأخرى
فها هنا شبهت حيرة المنافقين بحيرة من أخذته السماء فى الليلة
المظلمة مع الرعد والبرق - وهو أيضاً التشبيه الذى ينطبق على
المثل الأول فى تشبيه حيرة المنافقين فى أمور الدنيا والدين بحيرة
من انطفأت ناره بعد إيقادها .

وذهب بعض المفسرين الى اعتبار آخر : وهو أن الظلمات
والرعد والبرق يقصد بها الأشياء الشاقة على المنافقين ، وهى
التكاليف كالصلاة والصوم وترك الرياضات والجهاد مع الآباء
والأمهات ، وترك الأديان القديمة والانقياد لمحمد صلى الله عليه

حصل مع شدة استنكافهم من الانقياد له . وأنه كما أن
الإنسان يبالغ في الاحتراز عن المطر الصيب الذي هو أشد
الأشياء تفعلاً له بسبب هذه الأمور المقارنة ، فكذلك المنافقون
يحترزون عن الإيمان والقرآن بسبب هذه الأمور المقارنة فكما
حصل لهم شيء من المنافع كعصمة أموالهم ودمائهم وحصول
الغنائم لهم فانهم يرغبون في الدين ، فإذا لم يجدوا من تلك المنافع
شيئاً يكرهون الإيمان .

تجسد المثلين في جميع أحوال المنافقين ثم في الدار الآخرة ومهما يكن
من الأمر فإن الباحث المدقق يرى هذين المثلين كأنهما يتجسدان
في صورة حية في جميع أحوال المنافقين وصفاتهم وتفصيلات
أمرهم في الحرب والسلام . وتظل هذه الصور في ملازمتها لهم
حتى تلاحقهم في الدار الآخرة — قال الحسن البصري أن كلا
من المؤمنين والمنافقين يعطى نوراً يوم القيامة ، فيفرح المنافقون
ويظنون أنهم قد نجوا ، ثم يؤخذ من حر جهنم وما فيها من
الكلايب والحسك ويلقى على الطريق ، فتضي زمرة من المؤمنين

وجوههم كالقمر ليلة البدر ، ثم تمضي زمرة أخرى كانوا
 الكواكب في السماء ، ثم تغشاهم ظلمة فتطفىء نور المنافقين
 فيلتمسون النور من ورائهم فلا يجدون شيئاً . وقد وصف الله
 تعالى هذا المشهد بقوله : (يوم يقول المنافقون والمنافقات
 للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، فيل ارجعوا
 وراءكم فالتمسوا نورا ، فضررب بينهم بسور له باب ،
 باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . ينادونهم
 ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم
 وارتبتم وغررتكم الأمانى حتى جاء أمر الله ، وعركم بالله
 الغرور . فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين
 كفروا مأواكم النار هي - ولاكم وبش المصير)

(الحديد ١٣ ، ١٤ ، ١٥)

وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إذا جعل

المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم
فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين . فاذا رأى المنافقون الباب
مفتوحا أخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة وأهل
الجنة ينظرون إليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك يغلق
دونهم الباب .

وقد وصف الله حيرة المنافقين ، فى موضع آخر أنهم على
طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه يعمهم القلق والاضطراب
بدل السكون والطمأنينة فقال تعالى « ومن الناس من يعبد
الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به . وإن أصابته
فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والاخرة ، ذلك هو
الخسران المبين . يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه
ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ،
لبئس المولى ولبئس العشير » (الحج ١١ ، ١٢ ، ١٣) وهو تفصيل
لحالة القلق والاضطراب والحيرة لأن الثبات فى الدين إنما يكون

في طاعة الله والخوف من عقابه في حالتي السراء والضراء . أما إظهار الدين في السراء والرجوع عنه عند الضراء فلا يكون صاحبه إلا منافقاً . قال الكلبي إن هذه الآية نزلت في أعراب كانوا يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة مهاجرين من باديتهم ، فكان أحدهم إذا صحح بها جسمه وتبجت فرسه مهرأ حسناً وولدت امرأته غلاماً وكثر ماله وماشيته رضى به واطمأن إليه ، وإن أصابه وجع وولدت امرأته جارية أو أجهضت رماكه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان وقال له بما أتتك هذه الشرور إلا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه .

واتخذت حيرة المنافقين أشكالا عديدة والبستهم صفات من نسجها وأعصابها نذكر بعضها فيما يلي :

١ - حالة التربص

شرح للنبي صلى الله عليه وسلم هذه الحالة في قوله : « مثل المنافق مثل الشاة العابرة بين الغنمين - أى المترددة بينهما - تعبر الى هذه مرة وإلى هذه مرة ، وذلك أنهم كانوا ينتظرون ما يحدث المؤمن من خير أو شر ، فإن ظهر المؤمنون على اليهود أو الكفار قالوا للمؤمنين ألم تكن معكم فاعطونا قسماً من الغنيمة وإن ظهر الكفار قالوا للكفار ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم بأن ثبطنا عنكم الهمم وأدخلنا عليهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فها تواتوا لنا نصيباً مما أصبتم ، يقول الله تعالى : • وإن منكم من ليبطئن ، فإن أصابكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيداً ، وإن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ، يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ، (النساء ٧٢ و٧٣)

والظاهر أن المنافقين كانوا قد نصبوا أنفسهم عيوناً على من
تميل نفسه إلى الإسلام من الكفار واليهود يحذرونهم ويتذرونهم
ويردون من آمن منهم ويطعمونهم أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم
سيضعف وأن أمرهم سيقوى . فإذا اتفقت لهم صولة على المسلمين
قال المنافقون ألسنا غلبناكم على رأيكم في الدخول في الإسلام
ومنعناكم منه ، وقلنا لكم إنه سيضعف أمره وسيقوى أمركم ، فلو
شاهدتم صدق قولنا فادفعوا إلينا نصيباً مما وجدتم ، وبه هذه
الطريقة يمتنون على الكافرين . وقد تأكد هذا الوصف وفصل
تفصيلاً حاسماً في قوله تعالى : « الذين يترصدون بكم ، فإن
كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ، وإن كان للكافرين
نصيب قالوا ألم نستعوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ،
فإن الله يحكم بينكم يوم القيامة ، وإن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين سبيلاً » (النساء ١٤١) ثم قال (مذبذب بين بين ذلك

لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فان تجده
(سبيلا) (النساء ١٤٣)

٢ - حالة الخوف

وصف الله حالة الخوف الشديد التي لازمت المنافقين
فقال تعالى : « ويحملون بالله إنهم انكم ، وما هم منكم ،
ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون مخرجاً أو مغارات
أو مدخلا أو اوا إليه وهم يجمعون » (برائة ٥٦ ، ٥٧)
وقال أيضا : (ألم قر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ،
وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال
إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ،
وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال ، لو لا أخرتنا الى أجل
مقرب ، قل متاع الدنيا قليل ، والاخرة خير لمن اتقى ولا

تظلمون قليلا . أينما تكونوا يدر ككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة ، وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند
الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من
عند الله . فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .
(النساء ٧٧ وما بعدها)

والسبب في هذا الخوف أنهم كانوا يشاهدون دولة الاسلام
ترقى وتعاور وتزايد ، وكلما رقت واستعلت ، اشتد خوفهم على
أنفسهم وأولادهم وأموالهم من افتضاح أمرهم ، وكذلك
كانوا يخشون الناس وفتنتهم ويفضلون أن يتحاشوها ، ويقعوا
في عذاب الله الأليم الدائم ، وقالوا إن آمننا نتعرض للأذى من
أهلنا وعشائرننا ، وإن تركنا الإيمان نتعرض لما توعدنا به محمد
صلى الله عليه وسلم فاخترنا الاحتراز من الأذى العاجل ،
وفي ذلك يقول الله تعالى : ومن الناس من يقول آمنا بالله ،
فإذا أوردى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن

سواء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ، أوليس الله
بأعلم بما فى صدور العالمين . وليعلمن الله الذين آمنوا
وليعلمن المنافقين • (المنكوت : ١١ و ١٠)

٣ - المنافقون فى الصلاة

كانت التكاليف الشرعية الظاهرة ، وعلى رأسها الصلاة من
الأمور الثقيلة على المنافقين ، لأنهم يصلون ولا عقيدة لهم فيها ،
لذلك كانوا يتشاققون عنها ويتحايلون للتخلص من أدائها -
يقول الله تعالى (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى)
(برائة : ٥٤) « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » (النساء : ١٤٢)
وقد كانوا يضطرون إلى هذه الصلاة اضطراراً لأنها من شعائر
الإسلام الظاهرة القائمة فيصلاً ومييزاً للمؤمنين عن الكافرين .
فإذا أدوا الصلاة أدوها مراعاة وهم متكاسلون متشاقلون لأنهم

لا يرجون من أدائها ثواباً ولا يعتقدون في تركها عقاباً .
وقد ورد في صحيح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال : إن أثقل صلاة على المنافقين العتمة والصبح ، فإن العتمة
ثاني وقد أتعبهم عمل النهار فيثقل عليهم القيام بها ، وصلاة الصبح
ثاني والنوم أحب اليهم من مفروح به ولولا السيف ما قاموا -
وقال صلى الله عليه وسلم ذاماً لمن أخر الصلاة : تلك صلاة المنافقين
- ثلاثاً - يجلس أحدهم يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني
الشیطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً - كذلك
روى البخاري ومسلم في شأن قوم منافقين يتخلفون عن الجماعة
ولا يصلون أصلاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أثقل
الصلاة على المنافقين العشاء والفجر أي جماعتهما ولو يعلمون ما فيهما
لأتوهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر
رجالاً فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب
الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق بيوتهم بالنار .

٤ - المنافقون في الصدقات والاتفاق

في سبيل الله

أخذت الحيرة بخناق المنافقين وتلايبيهم في شئون المال ، سواء في نفقات الحرب والاتفاق في سبيل الله بوجه عام ، أو في أداء الزكاة ودفع الصدقات وتوزيعها . والمال بطبيعته أمره عزيز على النفوس المريضة ومناط لخبرة الإيمان وبلاء القلوب . والأصل أن من طلب الدنيا بالحرص والشر والتكالب آل أمره في الدين إلى النفاق ، وأن من طلب الدنيا بقدر ما أذن الله له فيه ، وكان عزمه منها أن يتوسل إلى مصالح الدين ، فهذا هو الطريق الحق ويرجع ذلك إلى الرضاء بقضاء الله ، وأن يظهر أثر هذا الرضاء على اللسان فيقول إن حسب الله ويرغب فيما عند الله مما يعطى له . وذلك بعيد على من كان قلبه ملتبساً بالنفاق .

النفقة في الحروب كان المنافقون يضطرون للاتفاق من أموالهم

على وجه لا يستفدون صحة أمرها ، وخاصة في الحروب .

كما كانوا يرسلون أولادهم كرهاً للجهاد ويعرضونهم للقتل ،
وكانوا يبغضون محمداً صلى الله عليه وسلم ، ويعيشون في نار هذا
البغض ترعى قلوبهم ، وإنما يضطرون إلى ذلك البذل خوفاً أن
يفتضح أمرهم ويظهر نفاقهم وكفرهم ظهوراً تاماً ، فينطبق عليهم
حكم سائر أهل الحرب من الكفار ، ويتعرضون للقتل وسبي
الأولاد ونهب الأموال . وقد بكتهم الله بذلك في سخرية قوية
يقوله عز وجل : « قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم
إنكم كنتم قوماً فاسقين . وما منعهم أن تقبل منكم
نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله ، ولا يؤتون الصلاة
إلا وهم كسالى ، ولا ينفقون إلا وهم كارهون »
(برادة : ٢٤٥)

في الصدقات فأما في الصدقات فكانوا يقفون فيها موقفين
المخويين ، أحدهما في دفعها والآخر في توزيعها ،

في بطلان الصدقة أما الأول فكانوا يلتفتون بأهل الصدقة

سواء أكثر بذلة ، أم قل ، ويحاولون الخط من شأنه .

وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحث على أن يجمعوا الصدقات فجاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف درهم فأمسكت لنفسى وعبالى أربعة ، وهذه الأربعة أقرضتها ربى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أقرضت وفيما أمسكت ، وجاء عمر بن الخطاب بنحو ذلك ، وجاء عاصم بن عدى الانصارى بسبعين وسقاً من التمر ، وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة فقال قوم من المنافقين ما أعظم رباؤهم . وروى أحد الصحابة أبو مسعود رضى الله عنه قال أمرنا بالصدقة وكنا نحامل (نحمل بالآجرة) على ظهورنا ، فجاء أبو عقيل بصاع من تمر وقال أجرت الليلة الماضية نفسى من رجل لإرسال الماء الى نخيل ، فأخذت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لعبالى وأقرضت الآخر ربى ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى الصدقات ، فقال المنافقون ما جاءوا

بصدقاتهم إلا رياء ومهمة ، وأما أبو عقيل فأنما جاء بصاعه ليذكر
مع سائر الاكابر والله غنى عن صاعه ، فنزل في جميع ذلك قوله
تعالى (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
والذين لا يجدون إلا جهدهم فيهم يخرجون منهم ، - يخرج
الله منهم ولهم عذاب أليم ، (براءة: ٧٩) وقد بينت الآية في
صورة جليلة أن المقصود من الأعمال الظاهرة هو النية والدواعي
والصوارف ، وأن القليل الذي يأتي به الفقير قد يكون أكثر
موقفاً عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به الغنى ، ولكن
المنافقين كانوا غارقين الى أذقانهم في ظلمات الجهل والاضطراب
ولم يتجاوز نظرهم ظاهر الأمر فعيروا الفقير بصدقته القليلة
واتهموا الغنى في نيته .

بعد توزيع الصدقات وأما الأمر الثاني وهو توزيع
الصدقات ، فقد كان مثار فتنة شديدة ، وكشف كثيراً من
أخلاق المنافقين وهنأمة طباعهم ، وشدة شراعتهم في الحصول

على المال . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم ما آتاه الله من قليل المال وكثيره ، وكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله عليه . وأما المنافقون فكانوا إن أعطوا كثيراً فرسحوا ، وإن أعطوا قليلاً سخطوا وطعنوا في النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا إنه يؤثر بالصدقات من يشاء من أقاربه وأهل مودته ، وينسبونه إلى الجور في القسم ، مع أنه كان أبعد خلق الله عن الميل إلى الدنيا .

روى الكلبي أن رجلاً من المنافقين كان يدعى أبا الجواظ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تزعم أن الله أمرك أن تضع الصدقات في الفقراء والمساكين ، ولم تضعها في رعاء الشاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أبا لك أما كان موسى راعياً ، أما كان داود راعياً ، فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون .

وروى أبو بكر الأصبم في تفسيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه ما علمك بفلان ؟ فقال مالي به علم

إلا أنك تدنيه في المجلس وتحزل له العطاء ، فقال عليه الصلاة والسلام إنه منافق أدارى من نفاقه وأخاف أن يفسد على غيره فقال لو أعطيت فلاناً بعض ما تعطيه ، فقال عليه الصلاة والسلام إنه مؤمن أكله إلى إيمانه وأما هذا فنفاق أداريه خوف إفساده .

وروى أبو سعيد الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مالا إذ جاءه حرقوص بن زهير (أصل الخوارج ويقال له ذو الخويصرة التميمي) فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك من يعدل إذا لم أعدل ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله أقتل هذا المنافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية . وفي هذا كله يقول الله تعالى « ومنهم من يلهو بك في الصدقات ، فإني أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم

يسخطون . ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا
 حسبنا الله ، سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله
 راغبون ، إنا الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها
 والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله
 وابن السبيل ، فربضة من الله ، والله عليم حكيم .
 (برامة ٥٨ و ٥٩ و ٦٠)

هـ - حالة المنافقين في القضاء

كان القضاء من أشد الأمور التي ابتلى بها المنافقون والتي
 قاموا تحت عبثها . فهم بطبيعة نفاقهم لا يحترمون العدل ، ويحتالون
 للباطل ، ويتملصون من الحق ما وسعتهم الحيلة . وأصاب الكثير
 منهم في ذلك غير قليل من العناء والمشقة ، فإن المؤمن المخلص
 يرضى بقضاء الله ورسوله ولا يجد غضاضة في الخضوع للحق
 إذا تجلت آياته ، وأما المنافق فقلبه خلو من الإيمان فهو خلو

من الدافع الذي يدفعه الى الرضا بقضاء الله ورسوله ، وهو ظالم لنفسه وللناس ، وهذا الظلم يدفعه إلى أكل الحقوق ، ولهذا كانوا يتباعدون من الاحتكام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحاولون التدليس إذا احتكموا اليه ، وكان شأنهم في ذلك أعجب الشأن ، فقد كان الرسول معروفاً بأنه الأمين وأنه لا يعدل عن الحق ، ولكن المبطل يخاف الاحتكام للقاض العادل .

بين على بن أبي طالب رضي الله عنه وأحد المناقبين روى عن الضجك أنه كان بين المغيرة بن وائل وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه أرض فقامسا فوقع إلى على منها مالا يصيبه الماء إلا بشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها إياه وتقابضا ، فقبل للمغيرة أخذت سبعة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فاني اشتريتها إن رضيتها ولم أرضها فلا ينالها الماء فقال على بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فليست آمنه

ولما أحاكم اليه فانه يهغضني وأنا أخاف أن يحيف علي . فزل
قول الله تعالى : ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ، ثم
يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين .

وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم
معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفي
قلوبهم مرض أم اردابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم
ورسوله بل أولئك هم الظالمون . إنا كان قول المؤمنين إذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا
وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله
ويمخش الله ويثقه فأولئك هم الفائزون ، (النور من ١٧ الى ٢٢)

قصة بصر النفاق مع اليهودي وقد حدث مثل ذلك من
أحد المنافقين يدعى بشر ، وكان الحادث عجبياً ، يدل على أن
بشراً هذا كان عريقاً في النفاق الى درجة الحق حتى أدى الى قتله

وهو أنه نازع رجلا من اليهود فقال اليهودى بينى وبينك
أبو القاسم وقال المنافق بينى وبينك كعب بن الأشرف (وهو
أحد طغاة اليهود من أشرافهم وعلماهم) وكان سبب تهرب
المنافق من الرسول عليه السلام أنه كان يعلم أن الرسول كان
يقضى بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة ، وكعب بن الأشرف كان
شديد الرغبة فى الرشوة ومعروفا بتلك الرغبة ، واليهودى كان
محقا ، والمنافق كان مبطلا ، فلهذا أراد اليهودى الاحتكام إلى
الرسول عليه للسلام ، وأراد المنافق الاحتكام إلى كعب بن
الأشرف . ثم أصر اليهودى على قوله فذهبا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحكم لليهودى على المنافق ، فقال المنافق لا أَرْضَى
انطلق بنا إلى أبى بكر ، فحكم أبو بكر رضى الله عنه لليهودى ،
فلم يَرْضِ المنافق وقال بينى وبينك عمر ، فذهبا إلى عمر رضى
الله عنه فأخبره اليهودى أن الرسول عليه الصلاة والسلام وأبا بكر
حكما على المنافق فلم يَرْضِ بحكمهما فقال عمر للمنافق هكذا !
فقال نعم قال اصبر ان لى حاجة أدخل فأقضيها وأخرج اليكما
فدخل فأخذهما ثم خرج اليهما فضرب المنافق حتى برد وهرب
اليهودى ، فجاء أهل المنافق فشكروا عمر إلى النبي صلى الله عليه

وسلم يطلبون ذية القتل ويحلفون ما نريد بطلب ذيته إلا
 الإحسان وموافقة الحق . فسأل عمر عن قصته فقال عمر إنه ورد
 حكمك يا رسول الله ، فجاء جبريل عليه السلام في الحال وقال
 إنه الفاروق فرق بين الحق والباطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 أنت الفاروق ونزل في ذلك قول الله تعالى : ألم تر إلى الذين
 يُزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون
 أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد
 الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما
 أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا
 فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك
 يحلفون بالله أن أردنا إلا أحسانا وتوفيقا . أولئك الذين يعلم
 الله ما في قلوبهم - ثم أنا عرض عنهم وعظائم وقل لهم في أنفسهم
 قولاً بليغا . وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله . ولو

أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله نوابك رحيم . فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا
مما قضات ويسلموا تسليما (النساء بين ٦٠ الى ٦٥)

قصة بقر ابن أيرق كذلك عمد منافق آخر كان
يدعى بشر بن أيرق الى ارتكاب سرقة ، وكان الى جانب النفاق
لصاً خبيثاً معتاداً على ذلك . وحاول التدليس عند ما عرض أمر
السرقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن
يوضح حقيقة الأمر ويقرر القواعد الأساسية في مثل هذه
العثون ، وقد ورد تفصيل ذلك بروايات مختلفة . وانا نورد
هنا ما أخرجه الترمذى في صحيحه حيث أورد القصة بكثير
من الفاظها :

روى الترمذى عن قتادة بن النعمان قال :
كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أيرق بشر وبشير ومبشر .

وكان بشير رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله بعض العرب ثم يقول قال فلان كذا وكذا قال فلان كذا وكذا فاذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا والله ما يقول هذا الشعر إلا النخيث أو كما قال الرجل وقالوا ابن الأيبرق قالها (٥) قال وكان أهل بيت حجة وفقر في الجاهلية والاسلام ، وكان الناس إنما يطعمهم بالمدينة التمر والشعير . وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرملك ابتاع الرجل منا فخص بها نفسه ، وأما العيال فأنما يطعمهم التمر والشعير ، فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمى رفاعه بن زيد حملا من الدرملك فجعله في مشربة له ، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف . فعدى

كان يصر يقول :

أو كما قال الرجال قصيدة — أضوا وقالوا ابن الأيبرق قالها

عليه من تحت البيت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح .
فلما أصبح أتاني عمي رفاعه فقال يا ابن أخي إنه قد عدى علينا
في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا ، قال .
فتحسسنا في الدار وسألنا ، فقليل لنا قد رأينا بني أبيرق استوقدوا
في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم ، قال
وكان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار والله ما نرى صاحبكم
إلا لييد بن سهل ، رجل منا له صلاح وإسلام ، فلما سمع
لييد اخترط سيفه وقال أنا أسرق أفر الله ليخالطكم هذا
السيف أو لتبين هذه السرقة ، قالوا اليك عنها أيها الرجل فما
أنت بصاحبها ، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها .
فقال لي عمي يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت ذلك له . قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي
رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه
فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه . فقال
النبي صلى الله عليه وسلم سأنظر في ذلك . فلما سمع بنو أبيرق

أتوا رجلا منهم يقال له أسير بن عروة فكلّموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا يا رسول الله إن قتادة ابن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمته فقال عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة، قال فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فأتاني عمي رفاعه فقال يا ابن أخي ما صنعت فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله المستعان فلم يابث أن نزل القرآن و إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق، لتحكم بين الناس بما أراك الله، ولا تكن للخائنين خصيما (*)، واستغفر الله، إن الله كان

(*) أي بنى أبيه

غفورا رحما . ولا تجادل عن الدين يختانون أنفسهم .
 إن الله لا يحب من كان خوانا أثما . يستخفون من الناس
 ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى
 من القول ، وكان الله بما يعملون محيطا . هاتم هؤلاء
 جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة
 أم من يكون عليهم وكيلا . ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه
 ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحما . ومن يكسب إثما
 فإنما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليها حكيما . ومن
 يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا
 وإثما مبينا (*) . وإلا فضل الله عليك ورحمته هبت
 طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما

ظفرونك من شيء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة

وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً ،

(النساء من ١٠٥ الى ١١١)

فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح
فردّه الى رفاعه فقال قتادة لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد
حسب أو عشى في الجاهلية ، وكنت أرى إسلامه مدخولاً ، فلما
أتيته بالسلاح قال يا ابن أخي هو في سبيل الله ، فعرفت أن إسلامه
كان صحيحاً .

هذه القصة على ما أخرجه الترمذى في صحيحه وقد روى
الطبرى صوراً أخرى لها منها :

أن طامعة بن أبيرق كان رجلاً من الأنصار من بني ظفر
سرق درعاً لعمه كانت وديعة عنده ثم قذفها على يهودى كان
يغشاهم يقال له زبد بن السمين فجاء اليهودى الى نبي الله صلى الله
عليه وسلم يهتف فلما رأى ذلك قومه بني ظفر جاءوا الى النبي صلى

الله عليه وسلم ليغذروا صاحبهم وكان النبي قد هم بعذره حتى أنزل الله في شأنه ما أنزل .

وروى الطبري أيضاً أن نفرأ من الأنصار غزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فسرق درع لأحدهم فأخذ بها رجلاً من الأنصار فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن طعمة بن أبيرق سرق درعي فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل برى . وقال لنفر من عشيرته إني قد غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده ، فأنطلقوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فقالوا يا نبي الله إن صاحبنا برى . وإن سارق الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علماً فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤوس الناس فأنزل الله الآية .

ومهما يكن من الاختلاف في تفاصيل القصة فالواضح منها

جميعاً أن ذلك المثنى كان محمد الساء في نفسه من السرقة ثم العناء
عما يحيط به من الأدلة ثم العناء عما ينزل في حقه من القرآن ظلمات
وحيرة يتخبط في دياجيرها . وقد روى أن ابن أبيرق لما نزلت
هذه الآيات لم يجد بداً من الهرب فهرب إلى مكة ولحق بالمشركين
ونزل على سلافة بنت سعد ، فقال حسان بن ثابت يعرض
بها :

وقد أقرته بنت سعد وأصبحت
ينازعها جلد استها وتنازعها
ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعتوا
وفينا نبي عنده الوحي وأضنه

فلما بلغها أخذت رحله فوضعت على رأسها ثم خرجت به
فرمت في الأبطح ثم قالت له إنما أهديت لي شعر حسان ما كنت
تأتيني بخير . ثم لحق بقريش ورجع في دينه ثم عدا على مشربة
للحجاج بن علاط البهري حليف لبني عبد الدار فتقبها فسقط
عليه حجر فلما أصبح أخرجوه من مكة . فهرب إلى خيبر ثم إنه
نقب بها بيتاً ذات ليلة يسرق فسقط عليه الحائط فأتى مرتداً .

٦ - المنافقون في القتال

لعل أشد أنواع الخيرة والاضطراب كانت تغشى المنافقين
 عندما كان يصدر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحشد الجيوش
 للقتال. وقد رأينا فيما سبق كيف لجثوا في أوائل الأمر لمحاولة
 إدخال الفشل على جيوش المسلمين كما حدث يوم أحد. فلما
 اشتدت قوة المسلمين واستحال على المنافقين أن يعودوا لتلك
 المحاولة، كان الأمر بالقتال يقع على أسماعهم وقع الصواعق
 حتى وصفوا في القرآن بأنهم كانوا ينظرون إلى النبي صلى الله عليه
 وسلم كأنهم في غشية الموت ثم يحاولون التماس من القتال
 باختلاف الابدان إذ يقولون كيف نقاتل والقتل إفساد، وإنما
 نقاتل العرب من ذوى أرحامنا وقبائلنا. يقول الله تعالى:
 (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة، فإذا أنزلت
 سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم
 مرض ينظرون إليك نظر الغشى عليه من الموت، فأولي

لهم طاعة وقول معروف ، فإذا عزم الأمر فلو صدقوا
الله لكان خيراً لهم . فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا
في الأرض وتقطعوا أرحابكم . أولئك الذين لعنهم الله
فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يبدلون القرآن أنهم
على قلوب أقفالها (القتال من ٢٠ الى ٢٤)

التخلف والاستئذان على أن القتال كان مجرد المناققين
من جميع أسلحتهم ويدفع أغلبهم إلى التخلف على ما فيه من
انكشاف السيرة ويعمد البعض إلى الاستئذان من النبي صلى
الله عليه وسلم ملتصقاً أتفه الأسباب ، ثم إن من لم يتخلف
واندس بين زمر المؤمنين في الجيش كان لا ينفع يأتي بالحديث
من القول أو العمل ما يفضح نيته .

وقد كان المناقرون يعمدون إلى الاستئذان مرة وإلى إخفائه

أخرى حسب ما تمليه عليهم ظروفهم . ففي حفر الخندق احتبأ ذنوا
بحجة أن ييوئهم عورة وبمحنة المرض والضعف ، كما عمدوا إلى
الاستئذان في التخلف عن غزوة تبوك متشبثين بأعذار واهية
وسخيفة ونزل في تبكيتهم ما مر ذكره من الآيات . ومع
ذلك فإن كثيراً من المناققين لم يكن ليلجأ إلى الاستئذان
ورأى أن يضرب بهذه الطريقة عرض الحائط ، وزعم في
نفسه أن أحداً سوف لا يشعر بما يخفيه في صدره . سواء في
أمور الحرب أو غيرها . ومثال ذلك أنهم كانوا يتسللون
متوارين عن المسلمين يوم الجمعة أثناء خطبة النبي صلى الله عليه
وسلم ، وخاصة إذا تعرض فيها لبعض أعمالهم ومكائدهم
فينظرون يمينا وشمالا فإذا لم يرههم أحد انسلوا وخرجوا
ولم يصلوا وإذا أبصرهم أحد ثبتوا وصلوا خوفاً . فانزل الله
تعالى في جميع ذلك : **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ**
وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا

حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن
لن شئت منهم واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم ،

النور ٦٢ و٦٣

الباب الخامس

أعمال المنافقين وأسلحتهم

عرض الله أسلحة المنافقين عرضاً عاماً بقوله تعالى :
« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرزون بالمنكر
ويمنهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فأنسىهم
إن المنافقين هم الفاسقون » (براءة ٦٧)

وقد عمد المنافقون الى جملة أسلحة لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كان من أهمها « ١ » ، البين الكاذبة و « ٢ » ، الخداع و « ٣ » ، إثارة الخلاف بين المسلمين و « ٤ » ، التنفير منهم و « ٥ » ، إيصال الأذى إليهم و « ٦ » ، نشر الخوف والإرجاف للتأثير في ضعف النفوس بالدعاية السيئة و « ٧ » ، موالاة الكفار و « ٨ » ، محاولة إدخال الفشل في القتال . وقد ادرع المنافقون بهذه الأسلحة

الدنيئة وغيرها من الوسائل الجبيئة ليحادوا الله ورسوله فأذلهم
الله أشد الذلة وأنذرهم بذلك فقال تعالى (إن الذين يحادون
الله ورسوله كتبوا كما كتب الذين من قبلكم، وقد أنزلنا
آيات بينات وللكافرين عذاب مهين : يوم يبعثهم الله جميعاً
فيمنبئهم بما عملوا أحصاه الله ونهشوم والله على كل شيء
شهيده) (المجادلة ٥٠) (إن الذين يحادون الله ورسوله أوثقك
في الأذلين) (المجادلة ٢٠)

وستفصل فيما يلي ما لم يسبق ذكره من تلك الأعمال :

١ - اليمين الكاذبة

ورد شأن هذه اليمين في جملة مواضع من القرآن :

(١) ويحلفون بالله إنهم لننكم وما هم منكم ولكنهم
-قوم يفرقون (براه ٥٦)

(٢) يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق
أن يرضوه إن كانوا مؤمنين (براه ٦٢)

(٣) يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا (براه ٧٤)

(٤) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن
-فل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون
(النور ٥٣)

(٥) ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم

منكم ولا منهم ، ويخافون على الله الكذب وهم يعلمون -
 أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون .
 اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين .
 إن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك
 أصحاب النار هم فيها خالدون . يوم يبعثهم الله جميعاً
 فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا
 إنهم هم الكاذبون . استعوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر
 الله أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان
 هم الخاسرون (المجادلة من ١٤ الى ١٩)

(٦) اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم
 ساء ما كانوا يعملون (الصفوت ٢)

وفي هذه الآيات ما يدل على أن المنافقين كانوا يكثر من
 الأيمان الكاذبة يطلقون بها ألسنتهم بدون مبالاة . ولعلمهم فطنوا

على ذلك إلى ما ورد في مثل فرنسي متداول معناه إذا لم تكن صاحب حق فقل الكذب وكرر الكذب وأصر على الكذب ، فإذا لم تغز بالتضليل على الحق فلا أقل من التهويش على خصومك وهي صفة ليست من الإيمان في شيء ، ولعل في هذه الآيات أكبر الزجر للذين يحسروا الحلف على ألسنتهم بسبب وبدون سبب ، ولاتفهم الأسباب : لا يعبثون إن كان حلفهم على حق أو على باطل وقد نهى الله تعالى عن الحلف الجذاف فكيف باليمين الكاذبة وهي تعقب النفاق في أظلم أشكاله وأرذل سيناته .

٢ - الخـداع

ورد شأن الخداع في موضعين :

(١) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (البقرة ٩)

(٢) ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم (النساء ١٢)

والمقصود من الخداع هو عدم مطابقة الظاهر للباطن وهو
أعظم عنصر من عناصر النفاق والركن الأساسي الذي يتكون
منه . وقد عهد المنافقون الى الخداع لأغراض أهمها :

(١) أن يكونوا محل احترام من النبي صلى الله عليه وسلم
ومن المؤمنين .

(٢) أن يقوموا بأدوار الجاسوسية فيطلعوا على أسرار النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وليتربصوا بهم الدوائر وليدلو
الكفار على ما قد ينفعون به للكيد لهم .

(٣) اتقاء القتل إن هم أظهروا الكفر .

(٤) الطمع في أموال الغنائم .

وقد رد الله خداعهم بأمرين الأول أنهم يخدعون أنفسهم
والثاني أن الله خادعهم . أما خداعهم لأنفسهم فذلك أنهم يظنون
أنهم لا تقسم طرقة للنجاة ، بيد أنها طرق للهلاك في الدنيا والآخرة
فحال خداعهم للكشف والفضيحة في الدنيا والعذاب الآخرة
أخزى . وأما أن الله تعالى خادعهم فقد ورد عن ابن عباس في

معنى ذلك أن الله تعالى يعطيهم نوراً يوم القيامة كما يعطى المؤمنين
فاذا وصلوا الى الصراط انطفأ نورهم وبقوا فى الظلمة ، والدليل
على ذلك ما سبق أن ذكرناه فى المثلىن اللذين ضرب بهما حال
المنافقين فى الحيرة .

وقد وصف الله حال المخادعين فى موضع آخر فقال تعالى :
« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله
على مافى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الارض
ليفسد فيها ويهلك الحث والنسل والله لا يحب الفساد .
وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم
ولبئس المهاد » (البقرة : ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦) وقد أورد القرطبي عن
الترمذى أن فى بعض كتب الله تعالى « إن من عبادى قوماً
السفتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر ؛ يابسون للناس
جلود الضأن من اللين يشترون الدنيا بالدين يقول الله تعالى أبى
يعثرون وعلى يجترثون فى حلفت لأتبعن لهم فتنة تدع الحليم
منهم حيران » .

ومن مظاهر خداع المنافقين واستغراقهم في لؤم الطبع أنهم كانوا يحادون الله ورسوله ويأتون بالأعمال المنكرة طوعاً وهدواً ويكذبون الرسول عليه السلام وينهون عن المعروف ويدفعون إلى المنكر ويقبضون أيديهم عن كل خير ويظنون بالله ظن السوء ومع ذلك كانوا إذا قابلوا الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتورعون أن يقولوا له نشهد أنك لرسول الله ويمسحونه . وتلك طريقة خبيثة يعلمها العريقون في فنون النفاق والكذب .

والخداع بصفة عامة يشترك فيه المنافقون وغيرهم وهو يحمل معنى الخدر . إلا أن خداع المنافقين يتميز بالاستمرار والمطاولة وقد ادعى الاسلام نفر من الكفار واحتالوا بذلك ليخدروا بمن يستطيعون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدروا بسة منهم وكان خداعهم قاصراً على ذلك الادعاء لم يعدوا في المنافقين وهم أصحاب الرجيع .

التبديت وقد كان من مظاهر خداع المنافقين ومستلزماته أن طائفة منهم كانوا يسهرون بالليل يتآمرون فيما بينهم على إحداث الفتن ويتواطئون على أنواع كثيرة من المكر والكيد ويقلبون أقوال النبي صلى الله عليه وسلم . وقد وصفت هذه المؤامرات في القرآن بكلمة التبديت وأمر الله تعالى بالاعراض عن تلك الأقوال حتى لا تشيع الفتن وأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على كثير من تفصيل تلك الأحوال وبكتهم على سوء صنيعهم قال الله تعالى : « ويقولون طاعة ، فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول ، والله يكتب ما يبيتون ، فأعرض عنهم وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا ، (النساء ٨١) وأيضاً : « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطاً » (النساء ١٨٠)

استنثار المنافقين ومن أعجب أنواع خداع المنافقين وأشدّها

دلالة على الصفاقة أنهم كانوا يطلبون الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم إمعاناً في التصنع والزياء . وقد خير النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك باعتبار أنه استغفار لساني لا ينفع مرغايته تطيب لقلوب بعض الأحياء من قرابات المستغفر لهم . يقول الله تعالى : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين » .
 على أن قناع ذلك الطلب كثيراً ما كان ينكشف كما حدث عند ما طلب الى ابن أبي عقرب حادث بني المصطلق ونزول تصديق زيد بن أرقم رضى الله عنه أن يذهب للنبي صلى الله عليه وسلم فيعتذر اليه ويطلب أن يستغفر له فما كان من ابن أبي إلا أن خلع ثوب ريائه وأرغى فيه نهن النفاق فقال : أمرتموني أن أؤمن فأمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة أموالى فأعطيت فما بقى إلا أن أسجد لمحمد ،

٣ - إثارة الخلاف بين المسلمين

ومثال ذلك ما فعله ابن أبي عند خروجه الى أحد حتى كان سبياً في إحداث الخلاف بين بني حارثة وبني سلسة ، فهموا بالرجوع كما مر ذكره ، وما نزل في شأن ذلك من القرآن . ويظهر أن المنافقين كانوا كثيراً ما ينتهزون فرص الخلافات الفردية النافذة لتوسيع شقتها واضرام نار الفتن بين القبائل وفروعها ، فقد أنزل الله تعالى إيضاحاً للمؤمنين ألا يختلفوا في شئون المنافقين وفتنهم فقال : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهِ أَرَكُمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النساء ٨٨ وما بعدهما) .

وقد اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية فقيل : — « إنها نزلت في قوم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم مسلمين فأقاموا بالمدينة ما شاء الله ، ثم قالوا يا رسول الله نريد أن نخرج الى الصحراء فأذن لنا ، فأذن لهم ، فلما خرجوا لم يزالوا

يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين ، فتكلم المؤمنون
فيهم فقال بعضهم لو كانوا مسلمين مثلنا لبقوا معنا وصبروا كما
صبرنا ، وقال قوم هم مسلمون وليس لنا أن نقسبهم الى الكفر
الى ان يظهر أمرهم فعين الله تعالى نفاقهم . ٢٠ ، وقال ابن
عباس وقتادة أنها نزلت في قوم أظهروا الاسلام بمكة
وكانوا يعينون المشركين على المسلمين فاختلف المسلمون فيهم
وتشاجروا .

ومهما يكن من الامر فان هذا يدل دلالة واضحة أن المؤمنين
كانوا يختلفون في شأن المنافقين بصفة عامة ، فكانت منهم فئة تميل اليهم
وتدب عنهم وتواليهم طمعاً أن يدخلوهم في الايمان الصحيح
وترغباً لهم ، وفرقة تعاديهم وتباينهم . فنبهوا عن ذلك
وأمرُوا أن يكونوا على نهج واحد في التبرؤ والتكفير
والتباين .

٤ - التنفير من المؤمنين

وقد عمدوا الى هذا التنفير بأوضاع خبيثة كما منحت لهم
الفرص ، وكان أهم تلك الأوضاع اثنان : الاول ، وهو
أنهم نسبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم التناقض في التشريع
والثاني السخرية .

زعم التناقض أما التناقض في التشريع فقد اغتتموا فرصة
زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب بنت جحش
بعد طلاقها من زيد بن حارثة رضي الله عنهما ، وأطالوا في ذلك
القول أيما إطالة وقالوا إن الرسول الكريم تزوج مطلقة ابنه
بعد أن نهي عن ذلك . فنفى الله هذه المزاعم ورد الأمور الى
أصولها وقضى أن النبي ليس إلا زوراً وبهتاناً على الطبيعة لا يفت
الى الحقيقة بشئ . يقول الله تعالى : (ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون
عنهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولاكم

بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهتدي السبيل ، ادعوهم
لآبائهم هو أفسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فآخوانكم
في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به
ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحماً :
الاجزاب ٤ و ٥

كذلك قامت قيامة المنافقين عند تحويل القبلة من المسجد
الاقصى الى المسجد الحرام وطفقوا يتساملون أسئلة شتى مليئة
بالسخرية عن السبب الذي من أجله كان هذا التحويل فورد الله
عليهم ذلك بقوله « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن
قبائلهم التي كانوا عليها قل الله المشرق والمغرب يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم » البقرة ١٤٢

السخرية وأما السخرية والاستهزاء فقد كانت رائداً يقود
المنافقين في كثير من أحوالهم وخاصة عند استماعهم لآيات القرآن
الكريم يقول الله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من

يقول أياكم زادة هذه إيماناً ، فأما الذين آمنوا فزادتهم
 إيماناً وهم يستبشرون • (برادة ١٢٤ وما بعدها) ومن غريب
 الأمر إصرارهم على السخرية رغم الخوف الشديد الذي كان
 كان ينتابهم عند ما ينزل من القرآن ما يفضح أمرهم وذلك إذ
 ينظر بعضهم الى بعض نظر الرعب يقولون هل يراكم من أحد
 إذا تكلمتم بهذا فينقله الى محمد ثم ينصرفون متسللين يقول تعالى
 • وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض ، هل
 يراكم من أحد ، ثم انصرفوا ، صرف الله قلوبهم بأنهم
 قوم لا يفقهون • (برادة ١٢٧) وقد أخبر الله تعالى أن تلك
 السخرية لا تغيد ولا تغني من الحق شيئاً فقال (يحذر المنافقون
 أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، قل استهزئوا
 إنه الله يخرج ما تكلمون) (برادة ٦٤)

٥ - الدعاية السيئة

أتقن المناقشون هذه الدعاية كأدق ما يتقن الآن رجال
السياسة الدعايات المغرضة ، وانتهزوا في ذلك ما جبل عليه بعض
الناس من الجبن وضعف النفس والقابلية للتأثر ، وأيضاً لأن
بعض المسلمين من أقارب رؤساء المناقشين كانوا ينظرون إليهم
بعين الاجلال والتعظيم .

وكان لهم في هذا الصدد فتون دقيقة من شأنها إدخال الفشل
على العقول وتشويش الأمور على ضعفاء المسلمين وإيقاعهم في
الحيرة والاضطراب ، ومن ذلك إذاعة أخبار الخوف وتربص
الاعداء ونشر الاراجيف بذلك . وواقع الامر أن النشر
سواء كان في جانب الأمن أو في جانب الخوف لم يكن ليخلو
من الكذب الكثير ، فان كان الكذب في جانب الخوف أضعف
لقلوب وأدخل اليها الملع ؛ وإن كان في جانب الأمن
فأدخل الشبهة في قلوب الضعفاء في صدق الرسول عليه السلام .

والارجاف في مهنائل الأمن والخوف من الاسباب التي
تستفز البحث الشديد والاستقصاء التام وكلاهما سبب لظهور
الأسرار وهو ما كان يقصده المنافقون ، لأن العداوة الشديدة
كانت قائمة بين المسلمين والكفار ، وكان كل واحد من الفريقين
في إعداد آلات الحرب وفي انتهاز الفرصة فيه . وأمن أحد الفريقين
خوف للآخر . فان وقع خبر الأمن للمسلمين وحصول العسكر
وآلات الحرب لهم أرجف المنافقون بذلك ووصل الخبر في
أسرع مدة الى الكفار فأخذوا في التحصن من المسلمين وفي
الاحتراز من استيلائهم عليهم . وإن وقع خبر الخوف للمسلمين
بالغوا في ذلك وزادوا فيه فآلقوا الرعب في قلوب الضعفاء ،
ولهذا كان الإرجاف سلاحاً ذا وجهين وكان منشأً للفتن والآفات
من كل الوجوه . ولهذا قال الله تعالى : وإذا جاءهم أمر من
الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول وإلى
أولي الأمر منهم لعليه الذين يستنبطونه منهم .

٦ - شجاعة المنافقين

منى المنافقون بالفشل فى كل تدبير ، فلم يكن لديهم إلا سلاح العجز والذلة ، وهو الشجاعة إن كان ذلك مما يعد سلاحاً . فصاروا يفرحون بمصائب المؤمنين ويتربصون بهم الدوائر ، وخاصة إذا لم يكن الفوز فى الحرب من نصيب المؤمنين ، مع أن ذلك لم يحدث إلا نادراً . على أن هذه الشجاعة لم تقدم فى شيء لأنها لم تخرجهم من دائرة الخوف والحيرة ، وإنما أضفت إلى قلوبهم أوضاراً من الحسرة والدناءة ، وإلى نفوسهم أقنعة ليستروا بها من مهانة العجز . وكان المؤمنون ذوى بصائر نافذة ونيات قوية وعزائم ثابتة يعلمون أنه ليس من شرط الأمر كونه حقاً حصول الدولة لهم والسلطان ، وأنه ليس تواتر الفتح والظفر ، يدل على كونه حقاً ، ولا تواتر الانهزام والانكسار يدل على كونه باطلاً . قال الله تعالى (إن تصيبك حسنة فسرّهم ، وإن تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمراً من قبل ويتوالوا وهم فرحون) (براه ٥٠ وما بعد ما) (إن تمسكم حسنة فسرّهم

وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط (آل عمران ١٢٠)

وقد حدث أثناء بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن مات نقيب بني النجار أسعد بن زرارة إذ أخذته الذبحة أو
الشفقة ، فكانت وفاته سبباً لتقول اليهود والمنافقين حيث قالوا
لو كان نبياً لم يميت صاحبه ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال عن ذلك يقولون لو كان نبياً لم يميت صاحبه ، ولا أملك
لنفسى ولا لصاحي من الله شيئاً .

الباب السادس

عرض عام

الآن وقد فصلنا أغلب حوادث المنافقين وصفاتهم وأحوالهم ومكائدهم ، سنحاول أن نأتى فى الصفحات التالية بعرض عام لمن وردت أسماؤهم من المنافقين فى كتب السير والتاريخ مع ذكر الحوادث التى لم يسبق ذكرها .

ولقد اختلفت الروايات عن عدد المنافقين وأسمائهم ومن عرف أمره منهم ، فقليل إنهم ثلثمائة وقيل سبعون . ولكن من هم ، وماذا كان من تفصيل أمرهم وأحوالهم وتدبير كيدهم ؟ صحائف غامضة من التاريخ لم تسطر أو تحقق على وجه التحديد .

وأشهر المنافقين الذين وردت أسماؤهم كانوا من الخوارج والأوس وبعض قبائل اليهود ، ولا شك أن كثيراً من الأعراب

دخلوا في هذا المضمار . وبيان ذلك فيما يلي :

١٠ . عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين

وأخص أتباعه من قومه :

٢٠ . مالك بن أبي قوقل

٣٠ . وسويد بن الحارث

٤٠ . وداعس

٥٠ . ووديعة بن ثابت وهو أحد الذين اشتركوا في بناء

مسجد الضرار ، وهو الذي قال إنما كنا نخوض ونلعب

ثم باقى بناء مسجد الضرار وهم :

٦٠ . ثعلبة بن حاطب وسبقت قصته في منع الصدقة

٧٠ . معتب بن قشير وهو الذى قال يوم أحد لو كان لنا

من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ، وقال يوم الأحزاب

كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصروا أحدنا

لا يأمن اليوم أن يذهب إلى الغنائم . وروى عنه

القرطبي أنه خرج وأصحابه يوم أحد طمعا في الغنيمة

و خوف المؤمنين فلم يخشهم الناس وجعلوا يتأسفون
على الحضور

٨٠ أبو حبيبة بن الأزعر

٩٠ عباد بن حنيف

١٠٠ جارية بن عامر بن العطف

١١٠ يجمع بن جارية بن عامر ، وسبق أن ذكرنا أنه

استعذر من عمر رضى الله عنه ، وأنه لم يكن يعلم

ما فى نفوسهم

(يراجع أمره فى باب مسجد الضرار)

١٢٠ زيد بن جارية بن عامر

١٣٠ نبيل بن الحرث ، وهو الجاسوس الذى وصفه

جبريل عليه السلام وحذر منه

١٤٠ بجاد بن عثمان

١٥٠ بحزج

١٦٠ خزام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار

من داره وجميع بناء مسجد الضرار من الأوس فيما

عدا وديعه بن ثابت فقد كان من رطل عبد الله بن أبي
من الخزرج

ونذكر بعد ذلك الذين أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بإخراجهم من المسجد حينما وجدهم في حالة
التأمر وهم :

١٧٠ عمرو بن قيس

١٨٠ رافع بن وديعه

١٩٠ زيد بن عمرو

٢٠٠ قيس بن عمرو بن سهل

٢١٠ الحارث بن عمرو

٢٢٠ زوى بن الحارث

وجميعهم من الخزرج ، فيما عدا الأخير فكان من
الأوس .

ونذكر بعد ذلك أشخاصاً آخرين ، كما نذكر الأخبار
التي وردت عن بعضهم :

- ٢٣٠ الحارث بن حاطب أخ ثعلبة بن حاطب من الاوس
- ٢٤٠ عبد الله بن نبتل من الاوس
- ٢٥٠ عمرو بن خذام من الاوس
- ٢٦٠ رافع بن زيد وأخوه :
- ٢٧٠ بشر بن زيد وكلاهما من بني زيد بن مالك من الاوس
- ٢٨٠ مربع بن قبيط وهو من بني حارثة من الاوس وكان
ضرب البصر . وقد حدث أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تصحابه عند خروجه مع الجيش في
الطريق الى أحد ، من رجل يخرج بنا على القوم من
كتب (أى من قرب) من طريق لا يمر بنا عليهم
فقال أبو خزيمة من بني حارثة أنا يا رسول الله ،
فتفقد به في حرة بني حارثة ، وبين أموالهم ، حتى
سلك في مال مربع بن قبيط ، فلما سمع حس رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، قام
يمشوا في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول
الله فاني لا أحل لك أن تدخل حائطي ، . وأخذ في

يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بها
غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فبدر إليه سعد بن زيد من
بنى عبد الأشهل بالقوس فشججه وابتدره القوم ليقتلوه . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى
القلب أعمى البصيرة . . وكان هذا سبباً في أن غضب له ناس
من قومه من بنى حارثة كانوا على مثل رأيه منافقين لم
يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أبي ، فهم بهم أسيد
ابن حننير حتى أوما إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك
ذلك .

٢٩٠ ، أوس بن قبيط وهو أخ مربع بن قبيط وهو الذي
قال يوم الخندق يا رسول الله إن بيوتنا عورة ، وأذن لنا
فانرجع إليها .

وقد دخل أوس بن قبيط في فتنة دبرها يهودى اسمه شاس
ابن قيس ، وقد كان من أمرها أن شاس بن قيس كان عظيم
الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، فر يوما

على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس
والخزرج في مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من
المنتهى وجماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الاسلام ، بعد الذى
كان بينهم من العداوة فى الجاهلية . فقال قد اجتمع ملائكة بنى قيلة
بهذه البلاد . لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار ،
فأمر فتى شاباً من اليهود كان معهم ، فقال : اعمد اليهم فاجلس
معهم ، ثم اذكر يوم بعث وما كان قبله . وأنشدكم بعض ما كانوا
تقاولوا فيه من الاشعار . فقميل اليهودى ما أمره به شاس .
فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواب رجلان
من الحيين على الركب وهما أوس بن قيطى من الاوس من بنى
حارثة ، وجبار بن صخر من الخزرج من بنى سلمة ، فتقاولا
ثم قال أحدهما لصاحبه ، إن شئتم رددناها الآن جذعة (أى
رددنا الحرب من أول أمرها) فغضب الفريقان وقالوا قد
فعلنا موعدهم الظاهرة — أى الحرة — السلاح السلاح . فخرجوا
اليها . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج اليهم
فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال : يا معشر

المسلمين الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أنه
 هذاكم الله للاسلام ، وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية ،
 واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم ؟ فعرف القوم
 أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال
 من الاوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول
 الله سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن
 قيس . وأنزل الله تعالى في شاس بن قيس وما صنع :
 « قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على
 ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
 من آمن ، تبغونها عوجاً وأنتم شهداء ، وما الله بغافل عما
 تعملون » آل عمران ٩٦ و ٩٨ وأنزل في أوس بن قيس وجبار
 ابن صمخر ومن كان معهما من قومه ما حيث توثبوا للحرب
 بسبب ما أدخل عليهم شاس من أمر الجاهلية (يا أيها الذين آمنوا
 ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد

إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات
الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط
مستقيم) آل عمران من ١٠٠ إلى ١٠٥

ودخول أوس بن قيطي في الفتنة على النحو الذي حصل
يدل على أنه كان ينتظر أقل إشارة للتمرد على تعاليم الإسلام
التي كان يدعيها ، ومن يدري لعله كان دسيسة أدخلها شاس
بين المسلمين وتأمر معه أوس على استفزاز النفوس لا ذكاء
فان التناحر .

(٣٠) حاطب بن أمية بن رافع من الخزرج من بني ظفر ،
وكان شيخاً جسيماً قد غشا (كبر وضمف) في جاهليته ، وكان
له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب ، أصيب يوم
أحد إصابات بليغة حتى أثبتته الجراحات فحمل إلى دار قومه
وهو بالموت فاجتمع إليه أهل الدار من رجال المسلمين وفساتهم
وجعلوا يقولون له أبشر يا حاطب بالجنة ، فنجم (ظهر) خيفة
تفان إليه وقل أجل بعة والله من حرمل ، بأي شيء تبشرونه .

فهررتهم والله هذا الغلام من نفسه .

(٣١) بهر بن أبيق سارق الدرع

(٣٢) قزما وكان حليفاً لبني ظفر من الاوس ، وقد

كان من شأنه أنه قاتل قتالا شديداً يوم أحد ، وكان أول من رمى من المسلمين بسهم فأتقن الرمية ، ثم جال بالسيف فادهش من رآه ، فقد روى أنه كان يرمى النبال كأنها الرحال ، وأنه كان يكت كتيبت الجمل ، وقتل ثمانية أو تسعة من المشركين ، ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال إنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك — فلما أثبتته الجراحات وحمل الى دار حلفائه من بني ظفر جعل رجال من المسلمين يقولون له أبشر يا قزما فقد ابتليت اليوم ، وقد أصابك ما ترى في الله ، فقال بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهماً من كنانته فقطع بها عنقه فقتل نفسه ، وفي رواية جعل ذباب سيفه في صدره .

بين نديه ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه .

ولم يكن هذا الرجل من الأوس ، وإنما كان غريباً ،
فقد روى عاصم بن عمرو بن قتادة من بنى ظفر من الأوس
قصة قزمان ، على أنه كان فيهم أتياً : أى غريباً لا يدرى
من هو .

ولما انتحر قزمان جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال أشهد أنك رسول الله قال وما ذاك؟ قال الرجل الذى ذكرت
أنفاً أنه من أصحاب النار فعل كذا وكذا . فقال الله أكبر أشهد
أنى عبد الله ورسوله ، وأمر بلال فنادى فى الناس انه لا يدخل
الجنة إلا نفس مسلم ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر . وقد أشار الامام السبكي الى قزمان فى تائيدته
فقال :

وقلت لشخص يدعى الدين أنه

بنار فالتقى نفسه للمنية

وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحكم

ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ،
وأن للرجل يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل
الجنة - وفي هذا إشارة الى أن باطن الامر قد يكون بخلاف
ظاهره . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل
يقاتل شجاعاً ، ويقاتل حمية ، ويقاتل ريام . فقال ، من يقاتل
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

٣٣٣ الضحاك بن ثابت من ابني عبد الاشهل من الأوس
وكان محباً لليهود . ولم ترو عنه حوادث خاصة ، وإنما ورد أن
حسان بن ثابت قال عنه :

من مبلغ الضحاك أن عروقه
أعيت على الاسلام أن تتمجدا

أتحب يهدان الحجاز ودينهم
كبد الحمار ، ولا تحب محمداً

ديننا لعمرى لا يوافق ديننا
ما استن آل في الغضا وخردا

١٣٤٠، الجلاس بن سوبد بن الصامت وهو من بني عمرو بن

عوف من الاوس وكان لزوجته ابن يتيم اسمه عمير بن سعد يعيش مع جلاس في منزله ولا مال له ، وكان جلاس يكفله ويحسن اليه . فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه ثم قال لئن كان ما يقوله محمد حقاً فلنمحن شر من الخير فقال عمير يا جلاس إك لأحب الناس إلى وأحسنهم عندي يداً وأعزهم على أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضيحتك ، ولئن صدمت عليها ليهلكن على ديني ولإحداها أيسر على من الأخرى ، فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جلاس خلف بالله لقد كذب على عمير وما قلت ما قال فقال عمير لقد قلت فنتب إلى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلني معك ما قلته . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف الجلاس عند المنبر فخاف أنه ما قال واستخلف الراوى عنه خلف لقد قال وقال اللهم أزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين فنزل قوله تعالى :

(يخلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا

بعد إسلامهم) برأيه ٧٤ وما بعدها فاعترف الجلاس وقاب
وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن
خير كان يفعله مع عمير ، فكان ذلك مما عرف به حسن توبته ،
وقال صلى الله عليه وسلم لعمير لقد وقيت أذنك .

« ٣٥ » الحارث بن سويد بن الصامت أخ الجلاس - خرج

مع المسلمين يوم أحد ، وانضح فيما بعد أنه لم يخرج بقصد الحرب
في صفوف المسلمين ، ولكن ليربص فرصة ليأخذ بثأره .
وكان من أمر هذا الثأر أن سويداً أباه قتل زياداً أبا المجذر في
الجاهلية فظن المجذر بسويد والد الحارث فقتله في أبيه ، وكان
ذلك قبل الإسلام . فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
أسلم الحارث بن سويد وأسلم المجذر بن زياد وشهد بدرأ ،
فجعل الحارث يطلب مجذراً ليقتله بأبيه فلم يقدر عليه . فلما كان
يوم أحد ورجال المسلمون حولتهم أتاه الحارث من خلفه فضرب
عنقه ، قتل وقتل أيضاً قيس بن زيد . فلما رجع النبي صلى الله

عليه وسلم الى المدينة عائداً من غزوة حراء الأسد أعقب غزوة
أحد جاءه جبريل عليه السلام أن الحارث بن سويد في قباء
فأنهض اليه واقتص منه بمن قتله من المسلمين غدرأ يوم أحد .
فتمض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء في وقت لم يكن
يأتيهم فيه وهو شدة الحر في يوم حار ، فخرج اليه الأنصار من
أهل قباء ومنهم الحارث بن سويد وعليه ثوب مورس وفي لفظ
آخر في ملحفة مورسه ، وفي لفظ آخر في ثوبين مضرجين فأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عويم بن ساعدة بضرب عنقه
وفي رواية أنه قال له قدم الحارث بن سويد الى باب المسجد
واضرب عنقه ، وقيل أمر عثمان بن عفان بذلك فقدمه ليضرب
عنقه فقال الحارث لم يا رسول الله فقال بقتلك المجذر بن زياد
وقيس بن زيد ، فما راجعه الحارث بكلمة فضرب عنقه - وفي
رواية أن الحارث قال والله قتلتك وما كان قتلي إياه رجوعاً عن
الاسلام ولا ارتياباً فيه ، ولكن حية الشيطان ، وإني أتوب الى
الله ورسوله بما عملت وأخرج ديتي وأصوم شهرين

متابعين وأعتق رقبة ، فلم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٦٥ . الجند بن قيس من بنى سلمة من الخزرج وسبق الكلام

عنه في غزوة تبوك والحديبية ، وكان مشهوراً بالبخل قال النبي صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة بعد أن نزل القرآن في شأن الجند ابن قيس : من سيدكم يا بنى سلمة ، قالوا : جند بن قيس غير أنه بخيل جبان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوا من البخل بل سيدكم الفتى الأبيض بشر بن البراء بن معرور . فقال حسان بن ثابت في ذلك :

وسود بشر بن البراء لجوده

وحق لبشر بن البراء أن يسودا

إذا ما أتاه الوفد أذهب ماله

وقال خذوه إني عائد غداً

منافقو اليهود

لم يكن النفاق قاصراً على الكفار من الأوس والخزرج ،
فقد دخل الاسلام أيضاً تقيهم من القتل ورغبة في الدسائس طائفة
من اليهود تدوزوا بالاسلام ودخلوا فيه . منهم من يأتي :

٣٧٠ سعد بن حنيف من بني قينقاع

٣٨٠ نعمان بن أوفى بن عمرو من بني قينقاع

٣٩٠ وأخوه عثمان بن أوفى

٤٠٠ زيد بن المصديت القينقاعي . وسبقت له قصة صغيرة

إذ كان مع جيش المسلمين في غزوة تبوك وقال

ما قال عند ما ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه

وسلم - وهو أيضاً الذي قاتل عمر بن الخطاب

رضي الله عنه بسوق بني قينقاع

٤١٠ سلسلة بن برهام

٤٢٠ كنانة بن صوريا

٤٣٠ رافع بن حريملة من بني قينقاع عده ابن هشام في

المنافقين وأورد عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عنه حين مات « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » ، ثم روى عنه بعد ذلك ما يدل على أنه من الكفار . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يهودا إلى الإسلام ، ورغبهم فيه ، وحذرهم غير الله وعقوبته ، فأبوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عباد ، وعقبة بن وهب . يا معشر يهود اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصعدونه لنا بصفته ، فقال رافع بن حريملة ووهب ابن يهوذا ، ما قلنا لكم هذا قط ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ، أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقمدهم جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) (الأنفال: ١٩) ثم قص عليهم خبر موسى ومالئق منهم وإنتقامهم عليه ، وما ردوا من أمر الله حتى تاهوا في الأرض

أربعين سنة عقوبة لهم .

ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أخبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة ما أنتم على شيء وكفر بعيسى .
والانجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود .
ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى فيهم (وقالت اليه - يود ليست النصارى على شيء ،
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلأون
الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ، قاله
يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)
البقرة ١١٣ . أى أن كلا يتلو في كتابه تصديق ما كفر به
أى بكفر اليهود لعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم
على لسان موسى عليه السلام بالتصديق لعيسى عليه السلام ،
وفي الانجيل ما جاء به عيسى عليه السلام من تصديق موسى

عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما في يد صاحبه .

ومما ورد عن رافع بن حريم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد إن كنت رسولا من عند الله كما تقول ، فقل لله فليكن منا حتى نسمع كلامه ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت فلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون) البقرة ١٢٨

كذلك ورد عن رافع بن حريم أنه ووهب بن زيد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد اتتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، أو نخر لنا أنهارا تتبعك ونصدقك ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) البقرة ١٠٨ وأيضا وقالوا لن

تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . أو تكون
لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها
تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي
بالقن والملائكة فيبلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو
ترقى في السماء ، ولن يؤمن لربك حتى تنزل علينا كتاباً
نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً .

الاسراء من ٩٠ الى ٩٢

وفى جميع ما ذكر يدل دلالة واضحة على أن رافع بن
حرمله كان كافراً كفراً حريصاً . وربما لجأ في أواخر حياته تحت
هذه الحوادث الى النفاق ليزداد إيماناً فى الكفر أو يحتال للفتنة
أو يتقى القتل .

« ٤٤ » رفاعه بن زيد بن الثابت روى ابن هشام أنه كان
من عظماء يهود بنى قينقاع ، وأنه كان ممن أسلم ظاهراً . ولكن

ورود عنه ما يفيد اعتباره كافراً ، وذلك فيما رواه أن كردم بن
قيس كان حليف كعب بن الأشرف ، وأسامة بن حبيب ، ونافع
ابن أبي نافع ، وبحري بن عمرو ، وحي بن أخطب ، ورقاعة
ابن زيد بن التابوت ، يأتون رجالا من الانصار كانوا يخالطونهم
يفتصحون لهم ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم ، فانا نخشى عليكم الفقر في
ذهابها ، ولا تسارعوا في النفقة فانكم لا تدرون علام الامر
يكون ، فانزل الله تعالى : **وَالَّذِينَ يَبْخُلُونَ** ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا . **وَالَّذِينَ يَنْفَقُونَ** أموالهم رثاء الناس
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا . **وَمَاذَا عَلَيْهِمْ** لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ،
(النساء من ٢٧ الى ٢٩) وكان رقاعة بن زيد بن التابوت إذا كلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال أرعنا سمعك يا محمد

حتى نفهمك ثم طمن في الاسلام وعابه ، فانزل الله فيه :
 « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة
 ويريدون أن تضلوا السبيل ، والله أعلم بأعدائكم وكفى
 بالله وليا وكفى بالله نصيرا . من الذين هادوا
 يحرفون الكلام عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا
 واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو
 أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم
 ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ،

(النساء من ١٤ الى ١٦)

وقد مات رفاعه بن زيد بن التايوت بالمدينة في أثناء عود
 النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من غزوة بني المصطلق .
 وعند ما وصلوا الى مكان يقال له بقعاء هبت على الناس ريح
 شديدة آذتهم وتخوفوها كادت تدفن الراكب ، وخاف المسلمون
 على أهلهم أن يكون ذلك لامر حدث بالمدينة ، فان مدة المواقعة

التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين عيينة بن حصن كان ذلك حين انقضائها فتخافوا على المدينة منه فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليكم منه بأس - يعنى عيينة بن حصن - ما بالمدينة من نقب (أى باب) إلا وملك يحرسه ، وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ، وإنما هبت هذه الرياح لموت عظيم من الكفار ، وفي رواية مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة ، فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إذ مات في ذلك اليوم رفاعه بن زيد - وقد ذكر أهل المدينة أن تلك الرياح وجدت بالمدينة وأنه لما دفن هدوا لله سكنت .

وقد روى أيضاً أن عبادة بن الصامت قال لعبد الله بن أبي ابن سلول وكان مع جيش المسلمين في الغزوة . يا أبا حبيب مات خليلك قال أى خليل قال من موته فتح للإسلام وأهله قال من قال رفاعه بن زيد قال وا ويلاه من أخبرك يا أبا الوليد بموته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه مات هذه الساعة فحزن حزناً شديداً .

وهذا يدل على أن رفاعه بن زيد كان على صلة وثيقة مع
 زعيم النفاق وأنه كان يدبر معه المكائد ويتردى تارة في الكفر الصريح
 وأخرى في النفاق حتى قيل إنه وسويد بن الحارث أظهر الإسلام
 ونافقا وأن رجالا من المسلمين كانوا يواهنهما فأنزل الله فيهما :
 « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ
 هُزُوا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارِ
 أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
 اتَّخَذُوا هُزُوا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ . قُلْ يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ هَلْ تَنْقَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا
 أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ . قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ
 مِنْ ذَلِكَ مَثْوًى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ
 مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا
 وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَأَذَا جِئْتُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا
 بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ »

أما المنافقون من الأعراب فلم يرد من أسمائهم إلا القليل
مثاله :

٤٥٠ الأخنس بن شريق واسمه أبي قيل إنه خنس يوم بدر
بثمانية رجل من حلفائه من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجاء بعد ذلك إليه فأظهر الإسلام وقال الله يعلم
أنى صادق ثم هرب بعد ذلك فر بزرع لقوم من المسلمين وبحمر
فأحرق الزرع وعقر الحمر - وقيل إنه الذى نزلت فيه
(ولا تطع كل حلاف مهين - هماز معشاء بنميم) و (ويل لكل
همزة لمزة) وقيل إنه لم يثبت قط إسلامه .

٤٦٠ أبو الجواظ وسبق ذكره فى أحوال المنافقين فى القضاء .

• • •

والى هنا وقف بنا المطاف حول مكان النفاق فى دورة
هذه الحقبة التاريخية الالامعة . فان يكن لنا من الامر فائدة
وموهظة فحسبنا أن نكون قد صاحبنا الحق مع الرسول الاعظم

وشهدنا من خلال الحادثات عنف الصراع مع باطل النفاق
كيف يلتفت ويلتوى ويظهر ويختفي ويدفع الى ظلمات الرجس
ومهاوى الفتن ثم هو يتضائل ويفنى ولا يخير من الحق شيئا.
ولنا في رسول الله أسوة حسنة. ولعلنا إذا حز بنا الأمر وأطافت
بنا طوائف الباطل وأفانين النفاق لا تأخذنا غاشية من بهرجة
وزخرفه ورجعنا الى الله الحق العلى مستعينين، واهتدينا بهدى رسوله
الكريم، فأكرمنا بالانقاذ من الفتن والاضالات وجعلنا من الذين
أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

ملحق

الآيات القرآنية التي وردت في شأن المنافقين

السورة	أول الآية	رقم الآية
البقرة	ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين	من ٨ الى ٢٠
"	سيقول السفهاء	١٤٢ و ١٤٣
"	ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا	٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦
آل عمران	وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره	٧٢
"	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة	من ١١٨ الى ١٢٠

السورة	أول الآية	رقم الآية
آل عمران	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين	١٤٢
"	وطائفة قد أهمتهم أنفسهم	من ١٥٤ الى ١٦٨
"	ما كان الله ليجزر المؤمنين على ما أنتم عليه	١٧٩
النساء	الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل	٣٧ و ٣٨
"	ألم تر إلى الذين يزعمون	من ٦٠-١١٠
"	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط	من ١٣٥ الى ١٤٦
المائدة	يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر	٤٦
"	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء	من ٥١ الى ٥٦

السورة	أول الآية	رقم الآية
المائدة	وإذا جاءوكم قالوا آمنا	٦١
الأنفال	إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم	٤٩
براءة	يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض	من ٢٨ إلى آخر السورة
الحج	ومن الناس من يعبد الله على حرف	١١ و ١٢ و ١٣
النور	إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم	من ١١ إلى ٢٦
•	ولا تكرر هوا فتياكم على البغاء	٣٣
•	ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا	من ٤٧ إلى ٥٣
•	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه	من ٦٢ إلى ٦٤

السورة	أول الآية	رقم الآية
العنكبوت	ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فإذا أودى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله	١١ و ١٠
الاحزاب	يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين	من ١ إلى ٢٠
•	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة	من ٣٦ إلى ٤٨
•	لئن لم ينته المنافقون	٦١ و ٦٠
•	إننا عرضنا الأمانة	٧٣ و ٧٢
القتال	ومنهم من يستمع إليك	من ١٦ إلى آخر السورة
الفتح	ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظالمين بالله ظن السوء	٦

السورة	أول الآية	رقم الآية
الفتح	سيقول لك المخلفون من الأعراب	من ١١ إلى ١٦
الحديد	يوم يقول المنافقون والمنافقات	من ١٣ إلى ١٥
المجادلة	ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى	٨
د	ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم	من ١٤ إلى ٢٢
الحشر	ألم تر إلى الذين نافقوا	من ١١ إلى ١٧
المنافقون	إذا جاءك المنافقون	من ١ إلى ٨
التحریم	يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين	٩

تصحيح الخطأ

رد المحتار	الخطأ	الصواب	الخطأ	الصواب	رد المحتار
٢	حكمة	كلمة	١٧٣٩	ابن	بن
٥	عقيدة	عتيدة	٢٤١	بحسبون	يحسبون
٦	لا يشك	لا شك	١١٤٨	الجين	الجيش
٦	يأتى	يأتى	١٥٤٨	ابن	بن
٨	تسيل	يسيل	١٤٤٩	بن	ابن
٩	الدى	الذى	١١٥٣	يأتى	يأتى
١١	اضطرت	اضطرت	١٥٦	وعضب	وعضب
١٣	البسيط	البسيطة	٢٦٢	أن أنه	أنه
١٨	الشرقى	الغربى	٩٧٥	آل عمران	آل عمران ١١٤
١٩	يرجع	يرجع	١٢٧٥	أكثر	أكثر
٢٣	وودا الخطوة	وودا الخطوة	١٦٧٥	وما	ما
٢٨	بين عمرو	بين عمرو	٢٧٦	لو كان	لو كان
٢٨	فاستكشفوا	فاستكشفوا	٩٧٦	آل عمران	آل عمران ١٥٨
٣٠	القلبه	القلبية	٩٧٧	آل عمران	آل عمران ١٥٩
٣٥	الحزرج	الحزرج	١٥٩١	ففرقت	ففرقت

رقم الآية	الخطأ	الصواب	رقم الآية	الخطأ	الصواب
٩٣	نقص	نقض	١٢٨	ونخرج	وتخرج
٩٤	وإن	إن	١٢٩	والمملكة	والمملكة
٩٤	دارنا	ديارنا	١٣٢	التشاقل	التشاقل
٩٤	بموتنا	بيوتنا	١٣٢	غيركم	غيركم
١٠٤	وسارو	وساروا	١٣٥	ثم	ثم
١٠٤	إزرق	أزرق	١٣٦	فأفعدوا	فأفعدوا
١٠٧	وإذا	وإذا	١٤٠	فسيكون	فسيكون
١١٣	رسول	رسول	١٤٢	رسو الله	رسو الله
١١٤	تأبث	أتأبث	١٤٤	يبغوبكم	يبغونكم
١١٤	فقمته	نقمته	١٥١	وتجعلون	وتجعلون
١١٦	ميرثي	ميرثي	١٥٤	يقولون	يقول
١١٧	من الجان	مثل الجان	١٥٦	واكتنهم	واكتنهم
١١٩	يتغلب	ينقلب	١٥٧	بالله	بالله
١٢٢	تفر منه	تفر منه	١٥٧	تقوا	تقموا
١٢٧	المساحي	المساحي	١٥٩	أليه	أليه

الخطأ	الاصواب	الخطأ	الاصواب	الخطأ	الاصواب	الخطأ	الاصواب
يقرئك	لا يقرئك	١٣	٢٢٣	٥	الحيت	الحيت	١٦٧
أرفى	أوفى	١٢	٢٢٣	٨	ويفتح	ويفتح	١٦٨
مسجوط	مسجد	٦	٢٣٠	٤	ولا	ولا	١٧٣
	يزاد في أول الصفحة ٤. ك.		٢٣٥	١	أمسك	أمسك	١٨٧
	الباب الثاني		٢٣٥	٦	إذا	إذا	
أقول	ألقوا	١	٢٣٥	١٥	يستند	يستند	١٩٤
نحسبهم	نحسبهم	٣	٢٤٠	٧	القرء	القرء	١٩٤
الذئب	الذئب	٥	٢٤١	٩	زراوشت	زراوشت	١٩٧
واصح	واصح	٨	٢٤٦	٨	لا يغار	لا يغار	٢٠٠
القلوت	القاوب	١٤	٢٥٥	٦	سعد	سعيد	٢٠٧
ورديت	ورديت	١٨	٢٥٨	١٤	وأدقه	وأدقه	٢٠٨
احداث	احداث	٨	٢٥٩	١٣	يقول	يقول	٢١١
أنعالي	تعالى	١٢	٢٧٦	٩	ورسوله	ورسوله	٢١٤
بت	ثبت	٣	٢٨٥	٨	يصلهم	يصلهم	٢١٦
نكتب	يكتب	١	٢٨٦	٤	فضلت	فضلت	٢١٨

الاصواب	الخطا	الترقيم	الترقيم
أضفوا	أضموا	٢٨٧	هامش
يضررونك	بضررونك	١٢٩١	
زيد	زبد	١٣٢٩١	
غيت	غيت	٨٢٩٢	
باختلاق	باختلاف	١٠٢٩٤	
على الكذب	على الله الكذب	١٣٠١	
فيها	قيها	٥٣٠١	
٣٠٥	٣٠٥ رقم الصحيفة	٣٠٥	
ولذلك لم يعدوا	لم يعدوا	١٤٣٠٥	
يكتب	بكتب	٩٣٠٦	
رحما	رحما	٤٣١١	
لصاحي	لصاحي	٨٣١٦	
يرجعوا	يرجعوا	٧٣٢٢	
أبليت	ابتليت	١١٣٣٦	
يننا	يننا	٨٢٣٦	